الجامعة الإسلاميـة – غـزة
عمـادة الدراسـات العليـا
كـليـة أصـول الـديـن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصر

الغيبيات وأثرها على الفرد والمجتمع في سورتي الكهف ويس

إعداد الطالبة
وفاء زياد أحمد حجو

إشراف
الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٣٣هـ –٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا، قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٢-١٠٧]

الإهـــداء

إلى والديّ الغاليَيـن اللّذين لا يفتر لسانـهما عن الدعاء لي

إلى إخوتـي وأختي الذين شجعوني على كتابة هذا البحث

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى الذين يبحثـون بصدق عن السعادة

فـي الدنيا والآخـرة

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر وعرفان

إن أقل ما يمليه الواجب عليَّ كلمة شكر وتقدير، لمن كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، ومن باب قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...﴾ [النمل:٤٠]

الشكر أولاً لله ﷻ، الذي لولا توفيقه ما خرج هذا البحث إلى النور، فأحمده سبحانه أن يسر لي إتمام هذا العمل المتواضع.

وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ: **(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)**(١).

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير، وعظيم الامتنان إلى مشرفي الفاضل، الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي حفظه الله، الذي بذل الكثير من وقته؛ لنصحي وإرشادي من أجل إثراء هذه الرسالة، وإخراجها في أحسن صورة، حتى خرجت إلى حيز الوجود، فأشكره على صبره، وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، كما أسأل الله ﷻ أن يبارك له في وقته وعلمه.

وأتوجه بالشكر الخالص لأستاذَي الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور/ محمد حسن رباح بخيت حفظه الله،،

فضيلة الدكتور/ رياض محمود جابر قاسم حفظه الله،،

اللّذين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة رغم انشغالهم، مما يثري الرسالة بملاحظاتهما القيمة التي ستزيده رصانة وقوة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي عوناً، ومساعدة سواء بمراجعة، أو بتوفير كتاب، أو بإسداء نصيحة طيبة، أو بدعاء في ظهر الغيب.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية عامة، وكلية أصول الدين خاصة ممثلة بعميدها وموظفيها أكاديميين وإداريين، وأخص كل أساتذتي الذين كان لهم فضل التدريس في مرحلة البكالوريوس والماجستير.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للدراسات العليا عميداً ، ومشرفاً، وإداريين الذين كانوا عوناً لي خلال فترة الدراسة وكتابة الرسالة.

راجيةً المولى ﷻ أن يبارك فيهم جميعاً، وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٥٠٥/٣، ح١٩٥٥.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمد الشاكرين العارفين، الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، هادي الأمة إلى درب النجاة، ومبلغ الأمة ما جاءها من ربها، ومتم دينه، حيث قال تعالى: ﴿...**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ...﴾ [المائدة:٣]، والذي قرن الله ﷻ طاعة رسوله بطاعته ﷻ في آي القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء:٥٩] . ورضي الله عن صحابته الكرام الذين أدوا الأمانة، وصانوا الدين، وأوصلوه إلى الأمة بإخلاص ويقين، والتابعين الذين ساروا على دربهم إلى يوم الدين، والذين قال في حقهم رسول الله ﷺ: (**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)(١). أما بعد:

فإن الاستمرار في الدراسة المتعمقة للعقيدة الاسلامية أمر هام في حياة المسلمين، وهذا لما يظهر من حين لآخر من حملات تشويه للعقيدة الاسلامية من أعدائها، والتي ينتج عنها إضعاف الانتماء العقائدي السليم لهذا الدين، حتى يصبح الإسلام فقط مجرد شعائر، وطقوس، ويندثر من داخل المسلمين المحرك الروحي الحقيقي، الذي كان سبباً في سيادة الاسلام في عصر النبوة وما بعده، وأزال كل الحضارات الزائفة التي سادت قبله.

وإن المصدر الحقيقي لفهم العقيدة السليمة بعيدة عن تلبيس الفرق الضالة، هو الرجوع إلى القرآن الكريم، وسنة نبينا محمد ﷺ، وواقع الحياة في عهده ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، لأنه الوسط الذي ظهرت فيه الثمار الحقيقية للعقيدة الصحيحة، والتي تسببت بقيام دولة الإسلام في أنحاء المعمورة، وهذا ناتج عن بنائها على الأساس الروحاني السليم، المستمد من العقيدة الصحيحة، والتطبيق العملي الملازم لها؛ فهو أساس العز والتمكين.

بواعث اختيار البحث:-

١. الرغبة في الأجر من الله ﷻ .
٢. رغبتي الشديدة في بحث موضوعات الدراسة والتعمق فيها.
٣. لم يسبق الكتابة في هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

(١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ٣/١٧١، ح٢٩٥١.

١. الإلمام بكل ما يتعلق بالغيبيات من خلال سورتي الكهف ويس بشكل مبسط.

٢. إثراء المكتبة الإسلامية بهذا الموضوع.

٣. إبراز الصلة الوثيقة بين الإيمان بالغيبيات، وبين الرقي بالفرد والمجتمع.

أهمية البحث:-

بناءً على ما قمت به من دراسة متواضعة لهذا الموضوع، رأت الباحثة أن أهمية الموضوع تكمن في الآتي:-

١. إن أول أهمية لهذا الموضوع، وأعظمها أنه يتصل بأرفع العلوم وأشرفها، ويسعى إلى كشف شيء من الدرر الثمينة التي احتواها أعظم الكتب، وأجلها على وجه البسيطة، ألا وهو كتاب الله الخالد، فأي شرف أعظم من أن يشتغل المرء بالعقيدة والقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢. إن عقائد الإسلام مرتبطة بالإيمان بالغيب، وله الأثر الأكبر على المؤمن، وسبب قوي في التزامه العقائدي، والتعبدي، والسلوكي.

٣. بيان أن العقيدة الاسلامية هي أساس نهضة الأمة الاسلامية وسيادتها، في عصر النبوة، وما بعده من عز وتمكين.

٤. بيان المنهج السليم لموضوعات الدراسة الموافقة لنص القرآن الكريم، في ضوء السور الكريمة المحددة للدراسة.

٥. توضيح الغيبيات بطريقة ميسرة.

منهج البحث:-

بناءً على ما يحتاجه البحث من دراسة وتحقيق، كان منهج البحث المنهج الوصفي التحليلي.

طريقة عملي في البحث:

١. استنباط قضايا العقيدة في سورتي الكهف ويس.

٢. توثيق الآيات القرآنية في متن الرسالة.

٣. الاستدلال بالأحاديث الشريفة، وتخريجها، وعزوها إلى مظانها، ونقل حكم العلماء عليها، إلا إذا كانت في الصحيحين أو أحدهما.

٤. الاكتفاء بذكر اسم الكتاب مختصراً، والصفحة في كل الرسالة، اعتماداً على بيانات الكتاب في فهرس المراجع.

٥. التعريف بالأعلام غير المشهورة.

٦. التعريف بالألفاظ الغريبة.

٧. ذكر المؤلف في الكتب المتشابهة الأسماء.

٨. ترتيب المراجع في الحاشية حسب تاريخ وفاة المؤلف.

الجهود السابقة:

ومن خلال البحث في هذا الموضوع، وجدت الباحثة أنه قد كُتبت بعض الرسائل العلمية ذات العلاقة بهذا الموضوع، وهي كالآتي:-

١. النبوات والتوحيد في سورة الكهف: للباحثة/ عزيزة محمد عطية البلوي من السعودية.

٢. أنباء الغيب في سورة الكهف: مجيدة عبد الرحمن يحيى قطاني من السعودية.

الفرق بين هاتين الرسالتين ورسالتي هو:

أ. حديثي عن الغيبيات من خلال سورتي الكهف ويس، والذي يعطي الموضوع أكثر سعة.

ب. حديثي عن أثر الغيبيات على الفرد والمجتمع من خلال سورتي الكهف ويس، والذي لم تشتمل عليه الرسالتين السابقتين.

٣. المضامين التربوية في سورتي الاسراء والكهف: أ. جميلة الشنطي:-

الفرق بين هذه الرسالة ورسالتي:

قد تناولت الباحثة/ جميلة الشنطي في رسالتها الحديث عن العقائد المتضمنة في هذه السور، ولكن بصورة مختصرة جداً، وذلك لأن رسالتها تربوية، وقد فصلت وأجادت في الجانب التربوي.

وأما عن موضوعي فهو يتناول الحديث عن الإيمان بالملائكة والجن، والقضاء والقدر، والإيمان باليوم الآخر بالتفصيل، وسأتناول فيها الحديث عن آثارها على الفرد والمجتمع، وهذا الجانب لم يتم تناوله من قبل في رسائل علمية، ولديّ الرغبة الجادة في دراسته.

خطة البحث:

اشتملت الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: والتي اشتملت على تعريف بالموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطته.

التمهيد

التعريف بسورتي الكهف ويس وموضوعاتهما

واشتمل على ما يلي:-

أولاً: أسماء السورتين، وسبب تسميتهما، وعدد آياتهما، وفضلهما.

ثانياً: معنى الغيبيات، وأهم الموضوعات التي تناولتها السورتان.

ثالثاً: أسباب النزول.

رابعاً: المناسبة بين الموضوعات التي تناولتها السور.

الفصل الأول

عقيدة الإيمان بالملائكة والجن وأثرها على الفرد والمجتمع في سورتي الكهف ويس

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة الإيمان بالملائكة.

واشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الملائكة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: صفات الملائكة وعلاقتها بالإنسان.

المطلب الرابع: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

المبحث الثاني: عقيدة الإيمان بالجن.

واشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الجن.

المبحث الثالث: الجنة والنار.

واشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: وصف الجنة والنار.

المطب الثاني: هل الجنة والنار مخلوقتان الآن؟.

المطلب الثالث: خلود الجنة والنار.

المطلب الرابع: الشفاعة.

المبحث الرابع: البعث والرد على منكريه.

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: البعث للجسد والروح والأدلة عليه.

المطلب الثاني: الرد على منكري البعث.

المبحث الخامس: أثر عقيدة الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع.

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثرها على الفرد.

المطلب الثاني: أثرها على المجتمع.

الفصل الثالث

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء سورتي الكهف ويس

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقضاء والقدر ومراتبه.

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر.

المطلب الثاني: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الهداية والضلال وأفعال العباد.

واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالهداية والضلال.

المطلب الثاني: مراتب الهداية والضلال.

المطلب الثالث: أفعال العباد.

المبحث الثالث: المشيئة والإرادة الإلهية .

واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المشيئة والإرادة.

المطلب الثاني: أقسام الإرادة الإلهية.

المطلب الثالث: هل ينسب الشر إلى الله ﷻ.

المبحث الرابع: الأخذ بالأسباب.

واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالأسباب وأنواعها.

المطلب الثاني: ضرورة الأخذ بالأسباب.

المطلب الثالث: الأخذ بالأسباب وعلاقته بالتوكل.

المبحث الخامس: أثر عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع.

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثرها على الفرد.

المطلب الثاني: أثرها على المجتمع.

الخاتمة: والتي اشتملت على النتائج والتوصيات.

الفهارس، واشتملت على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

التعريف بسورتي الكهف ويس، وسبب تسميتهما، وعدد آياتهما وفضلهما

أولاً: أسماء السورتين وسبب تسميتهما وعدد آياتهما وفضلهما.

ثانياً: معنى الغيبيات، وأهم الموضوعات التي تناولتها السورتان.

ثالثاً: أسباب النزول.

رابعاً: المناسبة بين الموضوعات التي تناولتها السور.

التمهيد

أولاً: أسماء السورتين، وسبب تسميتها، ونوعها، وعدد آياتها، وفضلها:-

١. التعريف بسورة الكهف:

إن عدد آيات سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية، وقول جميع المفسرين أنها مكية، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله تعالى: ﴿...جُرُزًا﴾ [الكهف:٨] والأول أصح[١].

أ. الأسماء وسبب التسمية:

لقد وردت عدة أسماء لسورة الكهف في كتب التفسير وهي:-

◈ **سورة الكهف:**

قد سماها رسول الله ﷺ فيما ورد عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ)**، وفي رواية عن شُعْبَةُ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ[٢].

◈ **سورة أصحاب الكهف:**

سميت بذلك؛ لأن قصة أصحاب الكهف[٣] أخذت شطراً كبيراً من السورة، وقد ورد هذا الاسم في رواية ضعيفة جداً[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦/١٠. التحرير والتنوير: ٢٤١/١٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ١٩٩/٢.

(٣) فتية كانوا من الروم على عهد الملك دقيانوس بمدينة أفسوس، وكانوا من قوم يعبدون الأوثان، فهداهم الله ﷻ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى ﵇ على أرجح الأقوال، فعلم بخبر إيمانهم فطاردهم، ففروا بدينهم إلى كهف، فناموا فيه مدة ثلاث مائة سنين، ثم بعثهم الله ﷻ في زمن ملك صالح على قوم مؤمنين ولكنهم مختلفون في مسألة البعث بعد الموت يكون للروح أم للجسد أم لكليهما؛ فكان أصحاب الكهف الدليل القاطع من الله ﷻ على أن البعث للروح والجسد معاً، ثم عاد الفتية إلى الكهف مرة أخرى فماتوا فيها. انظر تاريخ الأمم والملوك: ٣٧٤/١. الكامل في التاريخ: ٢٧٤/١.

(٤) وردت عن إسماعيل بن رافع ﷺ قال: " بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؟. سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطي نوراً يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه، حفظه وبعث من أي الليل شاء؟ سورة أصحاب الكهف) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: ٤٤٠/١، ح٤٧٥٠. قال الألباني: ضعيف جداً، ضعيف الجامع الصغير: ٣١٦/١،ح٤٩٦٩.

ب. فضل سورة الكهف:

لقد ورد في السنة النبوية فضل العديد من السور القرآنية، ومنها سورة الكهف، والتي ورد في فضلها أنها:

◈ سبب في نزول السكينة:

لما ورد عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ فَسَلَّمَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **(اقْرَأْ فُلَانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآن)**[١].

◈ تعصم من فتنة الدجال:

وذلك فيما ورد عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ)**، وفي رواية عن شُعْبَةُ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ[٢].

وما ورد عن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (.... **فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ- يَعْنِى الدَّجَّال- فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ)**[٣].

◈ قراءتها يوم الجمعة تضيء له ما بين الجمعتين:

لما ورد عن أبى سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)**[٤].

◈ قراءتها يوم الجمعة تضيء لهم ما بين بيته وبين البيت العتيق:

لما ورد عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **(مَنْ قَرَأَ سُورَة الْكَهْف يَوْم الْجُمُعَة أَضَاءَ لَهُ مِنْ النُّور مَا بَيْنه وَبَيْن الْبَيْت الْعَتِيق)**[٥].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام،٢٠١/٤، ح٣٦١٤ .

(٢) سبق تخريجه: ص٢

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨.

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة يس، ٣٦٨/٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، صححه الألباني، إرواء الغليل: ٩٣/٣، ح٦٢٦.

(٥) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: ٢١٦/٣، ح١٢١٨٦. قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزياداته: ١١٠٤/٢،ح ٦٤٧١.

◈ **نور لقارئها يوم القيامة:**

ورد أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: (**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْف كَمَا نَزَلَتْ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْم الْقِيَامَة** مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ)[١].

وقد ورت بعض الروايات ضعيفة جداً في فضل قراءة سورة الكهف، والعصمة من الدجال[٢].

٢. التعريف بسورة يس:

سورة يس مكية، وآياتها ثلاث وثمانون.

أ- أسماؤها:

لقد ورد عن المفسرين العديد من الأسماء لهذه السورة، فمنها ما هو ثابت، ومنها ما لا أصل له، وهي كالآتي:

◈ **يس:**

سميت سورة يس لافتتاحها بهذه الأحرف الهجائية يس، اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطّعة في أوائل السور إلى قولين:

أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله.

ثانيها: ذهب بعض العلماء في تفسيرها، وتحديد معناها إلى أقوال عدة، منها:

- أحدها: أن معناها: يا إنسان، بلغة طيء والحبشية.
- الثاني: أنها قَسَم أقسم اللهُ به، وهو من أسمائه.
- الثالث: أن معناها: يا محمد.
- الرابع: أن معناها: يا رجُل.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، باب فضيلة قراءة سورة الكهف، ٥٦٤/١، صححه الحاكم ووافقه الذهبي. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: ٩٤/٣. قال الألباني: وهذا سنده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين.

(٢) ما ورد أن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ سُورَةِ الكَهْفِ يَومَ الجُمُعَة، فَهُوَ مَعْصُوم إلى ثَمَانِيَةَ أَيَامٍ مِنْ كُلِ فِتْنَةٍ تَكُون، فَإِنْ خَرَجَ الدَجَال، عُصِمَ مِنْهُ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢٦/٥، ح٢٠١٣، قال الألباني: ضعيف جداً.
وما ورد عن أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)، سنن الترمذي: فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب: ما جاء في فضل سورة الكهف، ١٣/٥. قال الألباني: " الحديث صحيح بغير هذا اللفظ، و أما هذا، فشاذ. أخطأ فيه شعبة أو من دونه، و قد أخطأ شعبة في موضع آخر منه، فالأول قوله: " ثلاث " و الصواب : "عشر ". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٥٠٩/٣، ح١٣٣٦.

- الخامس: اسم من أسماء القرآن.
- السادس: أنها أسماء للسور التي افتتحت بها(١).
- السابع: أنها للإعجاز والتحدي؛ وفي ذلك تنبيه بأن القرآن مكون من الحروف العربية التي تتقنوها، وهم معروفون بفصاحتهم، وبه يتحداهم الله ﷻ أن يأتوا بشيء يقارب القرآن بلاغة، وفصاحة، وقوة(٢).

والقول الراجح الذي اختاره جمع عظيم من العلماء، ويدل استقراء القرآن على رجحانه فهو: أن يس حروف هجائية للإعجاز والتحدي؛ ودليل ذلك أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة، يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه(٣).

وقد ورد لسورة يس أسماء أخرى في كتب التفسير المعمة، الدافعة، والقاضية (٤)؛ ولكن دليلها قول موضوع(٥) ولذلك لا يجوز الأخذ بها.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٣/٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٦٦/٢.

(٢) الكشاف: ٧٢/١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٦٦/٢. تفسير القرآن العظيم:٢٥٦/١. مفاتيح الغيب: ٧/٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٦٧/٢.

(٤) اللباب في علوم الكتاب:٢٦٨/١٦-٢٦٩.

(٥) ما روي هذه الأسماء فيما رُوي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (يس تُدْعَى المُعِمَّة) قيل: يا رسول الله: وما المُعمَّة؟ قال: (تَعُمّ صاحبها خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَة وتُدْعَى الدافِعَة القَاضِيَة تَدْفَعُ عَنه كُلَّ سُوءٍ وتَقْضِي له كُلَّ حَاجَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ لَهُ عِشْرينَ حَجّةً ومَنْ سَمِعَهَا كَانَ لَهُ أَلْفُ دِينَارٍ في سَبِيل اللّهُ ﷻ، وَمَنْ كَتَبَهَا وَشَرِبَهَا أَدْخَلَتْ جَوْفَه ألفَ دَواء وأَلْفَ يَقين وألفَ رَأْفَةٍ ونُزِعَ منه كُلُّ دَاءٍ وغِلّ) شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة يس، ٩٦/٤، ح٢٢٣٧. قال ابن الجوزي: قول موضوع، الموضوعات: ٢٤٦/١.

ب- فضل سورة يس:

بعد البحث عن أحاديث في فضل سورة يس، توصلْت إلى أنه لم يثبت أي حديث في هذا الباب، وقد حكم الألباني على الأقوال الواردة في فضلها ما بين الضعف والوضع[1].

(١) ١. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (سورة يس تدعى في التوراة : المعمة؛ تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة ..)، شعب الإيمان: ٩٦/٤، قال الألباني: "حديث ضعيف جداً". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٢٥٧/٧، ح,٣٢٦٠

٢. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة؛ غفر له)، الترغيب والترهيب: ٥٢٣/١، قال الألباني: "حديث ضعيف جداً". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٩١/١١،ح٥١١١.

٣. ما ورد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَرَأَ يس كُلَّ لَيْلَةٍ غُفِرَ لَهُ)، شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة يس، ٩٥/٤، ح٢٢٣٤. قال الألباني: "حديث ضعيف". ضعيف الجامع الصغير وزيادته: ٨٣٥/١، ح,٥٧٨٨

٤. (من قرأ يس يريد بها الله؛ غفر الله له، وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيما مريض قرىء عنده سورة يس؛ نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً؛ فيصلون ويستغفرون له، ويشهدون قبضه وغسله، ويتبعون جنازته ويصلون عليه، ويشهدون دفنه. وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت؛ لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من الجنة؛ فيشربها وهو على فراشه، فيموت وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء؛ حتى يدخل الجنة وهو ريان)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:١٥٧/١٠، ح٤٦٣٦.

٥. (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان لهم بعدد من فيها حسنات)، قال الألباني: "موضوع". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٣٩٧/٣، ح ١٢٤٦.

٦. (ما من ميت يموت، فيقرأ عنده سورة يس، إلا هون الله ﷻ عليه)، قال الألباني: "موضوع".المرجع السابق: ٣٦٣/١١، ح٥٢١٩.

٧. (لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبٌ، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس، مَنْ قَرَأَ يس كَتَبَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ)، قال الألباني: "موضوع". المرجع السابق: ٣١٢/١، ح,١٦٩

٨. (مَنْ قَرَأَ يس ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﷻ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ فَاقْرَءُوهَا عِنْدَ مَوْتَاكُمْ)، شعب الإيمان: ٩٣/٤. قال الألباني: موضوع، ضعيف الجامع الصغير: ٨٣٤/١، ح٥٧٨٥.

٩. (مَنْ قَرَأَ يس فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ)، شعب الإيمان: ٩٤/٤. قال البيهقي: مرسل، وقال الألباني: موضوع، ضعيف الجامع الصغير:٨٣٥/١، ح٥٧٨٦.

١٠. (إني فرضت على أمتي قراءة يس كل ليلة، فمن داوم على قراءتها كل ليلة ثم مات؛ مات شهيداً)، قال الألباني: موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٤/ ٧٨٩، ح٦٨٤٤.

ثانيـاً: معنى الغيبيات وأهم الموضوعات التي تناولتها السورتان:-

معنى الغيبيات:

أ- الغيب لغة:

(غيب) الغين والياء والباء أصلٌ صحيح، تقول: غاب عنه غَيبةً وغَيْباً وغُيوباً ومَغيباً. وجمع الغائب غُيَّبٌ وغُيَّابٌ وغَيَبٌ، ويدلُّ على تستُّر الشيء عن العُيون، فيقال: غابت الشَّمس إذا غربت واستترت. وغابَ الرَّجل عن بلده(١).

ثم يقاس على ذلك الغَيْب: ما غَابَ ممّا لا يعلمه إلا الله، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨]

ب- الغيب اصطلاحاً:

لقد عرف العلماء الغيب بالعديد من التعريفات ومنها:

التعريف الأول: "ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقل، فمنه ما لم ينصب عليه دليل، وتفرد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه كعلم القدر مثلاً، ومنه ما نصب عليه دليل كالحق تعالى وصفاته العلا "(٢).

التعريف الثاني: " الغيب ما غاب عن شهود العباد والشهادة ما شهدوها"(٣).

ومن خلال دراسة التعريفات السابقة لمعنى الغيب، يمكن القول بأن التعريفات السابقة لا تعارض بينها، وإنما كلها تصب في معنى واحد، وهو أن الغيب: كل ما غاب عن الحواس، ولا تقتضيه بديهة العقل مع وجود ما يدل عليه في الشرع قرآناً، أو سنة، أو كليهما.

١. أهم الموضوعات التي تناولتها السورتان:

سورتا الكهف ويس سور مكيتان، ومعلوم من خصائص السور المكية أنها تعالج العقيدة في أصولها الكبيرة: التوحيد، والوحي، والرسالة، والبعث، والحساب، والجزاء.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٠٣/٤. الصحاح تاج اللغة: ١٦٩/١. لسان العرب: ٣٣٢١/٥. المحيط في اللغة: ٢١٥/١.

(٢) روح المعاني: ١١٤/١.

(٣) درء تعارض العقل مع النقل: ١٧٢/٥.

أ- أهم الموضوعات التي تناولتها سورة الكهف:

إن أهم الموضوعات الخاصة بسورة الكهف، والذي يغلب عليها في معالجتها لقضايا العقيدة السير على منهجين:

المنهج الأول: هو الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ، وإلى العصبة المؤمنة معه طوال العهد المكي؛ لتثبيتهم على دعوة الحق، والتسرية عنهم في مواجهة مضطهديهم من المشركين.

والمنهج الثاني: القصص القرآني عن دعوات الأنبياء، والرسل، والصالحين، وما يتبع ذلك، وينسجه من قصص وأمثلة تاريخية أو من مشاهد الطبيعة، أو الدار الآخرة. والموضوعات التي تناولتها كالآتي:-

١. قد افتتحت سورة الكهف بثناء الله ﷻ على نفسه؛ ليعلّم عباده كيفية حمده، وثنائه ﷻ، وبيان استحقاقه للثناء على نعمه العظيمة، والتي أعظمها نعمة الإسلام، والتي كانت بإنزال القرآن على عبده ونبيه محمد ﷺ، وتكفل الله ﷻ بحفظه من التحريف والاعوجاج.

٢. بيان الحكمة من إنزال الله ﷻ الكتب، وإرسال الرسل، والتي تتمثل في أنها نذير لمن يكفر بالله، ورسله، وكتبه، وبشرى لمن آمن، وعمل صالحاً في أكثر من موضع، ونهت الآيات عن الخوض في جدالات عقيمة مع المشركين الجاحدين، الذين تأتيهم آيات الله ﷻ ورسله ويتخذونها هزواً، ونتيجة ذلك كتب عليهم الضلال.

٣. تنزيه الله ﷻ عن الصاحبة، والولد، وكل ما لا يليق به ﷻ، وبيان أن من ادعى ذلك لله ﷻ مثل اليهود والنصارى، ما ذلك إلا محض كذب وافتراء، وخوض بما لا علم لهم به.

٤. مواساة النبي ﷺ، والتسرية عنه على أثر عدم استجابة قومه لدعوته ﷺ.

٥. بيان حقيقة الدنيا بأنها دار ابتلاء واختبار؛ لتمييز الصالح من الفاسد.

٦. قصة أصحاب الكهف، والتي تضمنت العديد من قضايا العقيدة منها:

أ. بيان قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، واثبات البعث، والذي كان ينكره مشركو مكة.

ب. بيان أن الهداية والضلال هو توفيق وفضل من الله ﷻ.

ج. العزم بعد رد المشيئة إلى رب العالمين.

د. الثبات على الدين، وحتمية نصره ولو بعد حين.

٧. أمر الله ﷻ النبي ﷺ بتلاوة القرآن الكريم، المحفوظ من التبديل، والذي فيه ملاذ في الشدائد، وبيان شمولية القرآن، وأنه يتضمن كل ما يصلح حال البشر في الدنيا والآخرة.

٨. أمر النبي ﷺ بالثبات مع المستضعفين، الذين لا يريدون من إيمانهم إلا وجه الله ﷻ.

٩. تأكيد السورة على حرية الاعتقاد، مع بيان عاقبة من يشرك بالله ﷻ، وبيان جزاء من يؤمن به.

١٠. ضربت الآيات مثلاً لمن أبطرته النعمة، وعقوبة ذلك في الدنيا والآخرة، ومن ثبته الله ﷻ على العقيدة الصحيحة بقصة صاحب الجنتين، وضَرْبُ الآيات مثلاً يبين حقيقة أن المال والبنين والحياة الدنيا زينة، والباقيات الصالحات خير.

١١. عرضت الآيات الكريمة بعض أهوال يوم القيامة، ثم حال الضالين المشركين يوم عرضهم على رب العالمين في أكثر من موضع.

١٢. ذكرت الآيات قصة آدم عليه السلام، وأمْر الله ﷻ للملائكة وإبليس بالسجود لآدم، وجحود إبليس عليه لعنة الله ﷻ، ومن ثم توضح الآيات أن من الناس سيضل بموالاة إبليس لعنه الله ﷻ وأعوانه، فأوضح الله ﷻ عجز إبليس وأعوانه عن خلق شيء، وعدم شهودهم خلق الله السموات والأرض ولا أنفسهم، ومن ثم وضحت الآيات بعدها مصير المضلين، والضالين يوم القيامة.

١٣. بيان أن من رحمة الله ﷻ أنه لا يعاجل الضالين الجاحدين بالعذاب؛ ولكن جعل الله لمهلكهم موعداً، وهذه سنة الله ﷻ في الأمم السابقة الجاحدة المصرة على كفرها.

١٤. قصة موسى عليه السلام والخضر(١) رضي الله عنه والتي تضمنت المواضيع الآتية:

أ. قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

---

(١) اختلف العلماء في من هو الخضر، وفي نبوته، وهل هو حي أم ميت؟
ويترجح لدي ما ذهب إليه ابن الجوزي من التوقف في الخوض في تفاصيل شخصيته، وأخذ العبرة مما ورد عنه في القرآن الكريم، حيث قال ابن الجوزي: " فقد صح لما بينا أن الخضر عبد من عباد الله الصالحين نُصِب لموسى؛ لأمر أراده الله، وقد مضى لسبيله، فليعرف ذلك". المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١/٣٦٥.
ويترجح لدي ما ذهب إليه ابن كثير ضعف الروايات التي تحدثت عن حياته إلى اليوم، وأنها لا يقوم بها حجة، حيث قال: "وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في الدين. والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد، وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي، أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم". البداية والنهاية: ١/٣٣٤

ب. الأدب مع الله ﷻ وعدم نسبة الشر إليه.

ج. التسليم لقدر الله ﷻ، وإن خفت الحكمة من وراء المصيبة التي يصاب بها المسلم فكل قدر الله ﷻ خير.

د. الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى احتاج الموقف، ولكن بالأسلوب المناسب.

هـ. الصبر والمثابرة في طلب العلم، وأن الإنسان مهما تعلم فإن علمه قاصر محدود، وهناك من هو أعلم منه.

١٥. قصة ذي القرنين –رضي الله عنه وأرضاه–[١] ، والذي تضمنت المواضيع الآتية:

أ. الأخذ بالأسباب، ورد النتيجة إلى الله ﷻ، وعدم الاعتماد على النفس.

ب. الجزاء من جنس العمل.

ج. عدم الاغترار بالنجاح، والاعتراف بفضل الله ﷻ.

د. انهيار السد الذي بناه ذو القرنين، وخروج يأجوج ومأجوج[٢] من علامات القيامة الكبرى.

١٦. تحدثت الآيات عن إثبات أن كلام الله ﷻ لا حصرله، ولو كان البحر مداداً له لنفذ قبل أن ينفذ كلام الله ﷻ والذي كان رداً على اليهود الذين يتفاخرون بأنهم قد أوتوا التوراة، وأن فيه خيراً كثيراً.

١٧. واختتمت السورة بتأكيد بشرية سيدنا محمد ﷺ، وأنه يوحى إليه، وأن دعوته هي توحيد العبودية لله ﷻ، فمن كان يرجو لقاء الله مرضياً عنه، فليعمل صالحاً بعد الإيمان بالله ﷻ وعدم الإشراك به.

---

(١) اختلف العلماء في من هو ذو القرنين؟ وفي أي عصر كان؟ والأماكن التي فتحها في ضوء الآيات؟ البداية والنهاية: ٢/١٠٢–١٠٨، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:١/٢٨٦–٢٩٤.
ولكن المجمع عليه وفق ما بينته الآيات في سورة الكهف أنه عبد صالح آتاه الله ﷻ الملك، فمكن له في الأرض. والمطلوب منا هو أخذ العبرة مما ورد ذكره في القرآن الكريم، لا التمحيص فيما لا مردود إيماني منه.

(٢) سيتم الحديث عنهم في الفصل الثاني خلال الحديث عن علامات الساعة الكبرى.

ب- أهم الموضوعات التي تناولتها سورة يس:-

إن الموضوعات الرئيسة، والهدف الأول من السورة هو بناء أسس العقيدة، التوحيد، والوحي، والرسالة، والبعث، والحساب، وهي كما يلي:

١. افتتحت السورة بقسم من الله ﷻ بالقرآن الكريم لإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ والوحي. وتخلل آيات السورة ما يثبت ذلك.

٢. تعرضت الآيات لموضوع الهداية والضلال وأسبابها.

٣. إثبات البعث والنشور والذي ذكر في أكثر من موضع في السورة، وأثبتت الآيات قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، وبينت أنه ﷻ لا يعجزه شيء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يكون إنما بقوله كن فيكون.

٤. ذكرت السورة قصة أصحاب القرية[١]، وتكرار إرسال الرسل إليهم؛ لتحذر من عاقبة الكفر بالوحي، والرسالة.

٥. كذلك تعرضت السورة لقضية الألوهية والوحدانية، فيجيء استنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن، الذي جاء من أقصى المدينة ليحاج قومه في شأن المرسلين، والتي بيّن فيها جزاء من يؤمن بالله ﷻ وعقوبه من يضل، وفي ختام السورة يجيء ذكر هذا الموضوع مرة أخرى.

٦. والقضية التي يشتد عليها التركيز في السورة هي قضية البعث والنشور، وهي تتردد في مواضع كثيرة في السورة.

٧. وتحدثت الآيات عن مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون، ونعمه على عباده.

٨. تناولت السورة الحديث عن أحداث يوم القيامة، وبيان حال كل من المؤمنين والمشركين.

---

(١) اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن القرية قرية أنطاكية، كان ملكها يعبد الأصنام، فأرسل الله ﷻ إليهم العديد من الرسل، فلم يؤمنوا، فأخذهم الله ﷻ بالصيحة، وقيل إن الرسل هم رسل عيسى عليه السلام إليهم، أو أنهم رسل من الله ﷻ قبل عيسى عليه السلام. والقول الراجح هو القول الثاني: لأن قرية أنطاكية أول القرى إيماناً بعيسى عليه السلام والرسل ليس من حواريّي عيسى عليه السلام. انظر: البداية والنهاية:١/٢٢٩-٢٣١.

ثالثاً: أسباب النزول:-

١. أسباب نزول آيات سورة الكهف:

لقد ورد في كتب التفسير سبب نزول لسورة الكهف كاملة ولكن ثبت ضعفها(١)، وثبت ورود سبب نزول لبعض الآيات وهي على النحو التالي:

◈ **سبب نزول قوله تعالى:** ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف:٢٨]

فيما ورد أنه جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ ﷺ فَوَجَدَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَعَ صُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ ﷺ قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنْ الضُّعَفَاءِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَرُوهُمْ فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ قَالَ: (نَعَمْ قَالُوا فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا قَالَ فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ**

---

(١) ما ورد عنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا. فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلُوا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُمْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: سَلُوهُ عَنْ ثلاث نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ. وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَمَا كَانَ نَبَؤُهُ. وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُو؟، فَقَدِمَا مَكَّةَ فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا أَحْبَارُ يهود أن نسأله عن أمور، فجاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا، وَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: (أُخْبِرُكُمْ غَدًا)، وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، فَمَكَثَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحْدِثُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَمْ يَأْتِهِ جِبْرِيلُ ﷺ، حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ، وَقَالُوا: وَعَدَنَا غَدًا وَالْيَوْمُ خَمْسَ عَشَرَ، وَأَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُكْثُ الْوَحْيِ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ، وَخَبَرُ الْفِتْيَةِ وَالرَّجُلُ الطَّوَّافُ وَقَالَ: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء:٨٥])، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٥٩٨/١. قال ابن حجر العسقلاني: "وهذا حديث غريب، ففيه راوٍ مبهم؛ لكن سنده حسن ولكن فيه ما ينكر وهو السؤال عن الروح ونزول الآية فيها، وأن ذلك وقع بمكة، والثابت في الصحيحين أن ذلك كان بالمدينة وقع مصرحاً به في رواية ابن مسعود". موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر: ٧٠/٢.

مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤]، قَالَ فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] وَلَا تُجَالِسِ الْأَشْرَافَ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ قَالَ: هَلَاكًا. قَالَ: أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالَ خَبَّابٌ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ(١).

◈ سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]

ما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: **قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ، قَالَ: فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، **قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَاةَ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا فَأُنْزِلَتْ:** ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩])(٢).

◈ **سبب نزول قوله تعالى:** ﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما–، **قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا حَتَّى**

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب مجالس الفقراء،٥/٥٦٧، ح ٤١٢٧. قال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: ٣/٣٥٣، ٣٣٤٦.

(٢) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة بني اسرائيل، ٥/٢٠٨، ح٣١٤٠. قال الألباني: إسناده صحيح، صحيح سنن الترمذي: ٣/٢٦٩، ح٣١٤٠.

نَزَلَتْ قوله تعالى: ﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. [الكهف:١١٠](١).

وهناك بعض الروايات الضعيفة تناولتها كتب التفسير ولا يجوز الأخذ ومن ذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٣-٢٤](٢).

٢. أسباب نزول سورة يس:

- **سبب نزول قوله تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢]

لقد تعدد أسباب نزول الآية فمنها ما يلي:

ما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– **قَالَ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ بَعِيدَةً مَنَازِلُهُمْ مِنْ الْمَسْجِدِ فَأَرَادُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا فَنَزَلَتْ** ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] **قَالَ: فَثَبَتُوا**(٣).

وما ورد عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال **كانت بَنُو سَلَمَةَ ﷺ في نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَأَرَادُوا النُّقْلَةَ إلى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةَ:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ

---

(١) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص: كتاب الجهاد، باب وأما حديث عبد الله بن يزيد الأنصاري،١١١/٢. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". قال الألباني: " ضعيف"، ضعيف الترغيب والترهيب: ٢٢/١.

(٢) ما رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ ابنِ عَبّاسٍ ﷺ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَلَفَ عَلَى شَيءٍ، فَمَضَى أَرْبَعُون لَيْلَة، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] فَاسْتَثْنَى النَبِيّ ﷺ بَعْدَ أَرْبَعِين لَيْلَة) موافقة الخبر الخبر: ٥٩/٢ قال ابن حجر: هذا حديث غريب وهو ضعيف.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً ٩١/٢، ح٧٨٥. قال الألباني: "حديث صحيح"، صحيح ابن ماجة: ١٣١/١، ح٦٤٤.

وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] **فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتَبُ فلم ينتقلوا)**(١).

◈ سبب نزول قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ [يس:٧٧]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: **جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ ؟ قَالَ: (نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ قَالَ: فَنَزَلَتِ الآيَاتُ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾** [يس:٧٧] **إِلَى آخِرِ السُّورَةِ)**(٢).

رابعاً: المناسبة بين الموضوعات:

١. المناسبة بين موضوعات سورة الكهف:

من خلال التأمل في اسم السورة وموضوعاتها، يمكن القول بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين اسم السورة وموضوعاتها، فمن تدبّرها، ولجأ إليها، كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفًا محسوسًا ملموسًا، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله ﷻ، وحفظه وستره، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة، ولو كانت مثل قطع الليل المظلم. وإذا نظرنا إلى الاسم الآخر للسورة "سورة أصحاب الكهف" نلاحظ أن الأشخاص أصحاب العقيدة السليمة، والموقف السديد هم الملاحظون في التسمية.

ولو نظرنا إلى الفتية نجدهم يمثلون موقف المتمسكين بالقيم الصحيحة، التي يملكون الميزان الرباني لقياس الأمور بها: الإيمان، الجرأة في الحق، المنطق السليم، الحجة المقنعة، التضرع إلى الله ﷻ، اتخاذ الأسباب الظاهرة في مقارعة الباطل. ويعقب كل ذلك العناية الربانية بهم، وتسخير جزء من الكون لحمايتهم وحفظهم، ثم نصرة دعوتهم – ولو بعد حين.

ويمكن القول إن أصحاب الكهف بسيرتهم مثال لمن يُبتلى ويُفتتن في دينه، لذا كانت هذه التسمية أيضًا مناسبة للموضوعات في سورة الكهف، حيث تمثل العنصر البشري المُفتتن(٣).

(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القران عن رسول الله، باب ومن سورة يس ٣٦٣/٥، ح ٣٢٢٦. قال الترمذي: "هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ". وقال الألباني: "سنده ضعيف؛ لكن يقويه أن له شاهداً". سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٤٥٢/٧، ح٣٥٠٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، باب تفسير سورة يس،٤٢٩/٢. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه"

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص١٧٩-١٨٠

فكل القصص الأربع –التي تشكل المقاطع الأساسية في السورة– توجه الأنظار إلى ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن، تجاه الفتن التي تكون في طريق دعوة الحق، وتبرز القيم الصحيحة التي تُتخذ موازين لتمييز الحق، والصدق، والصواب من غيرها.

ولقد اشتملت القصص الأربع في سورة الكهف أسباب الفتن الأساسية في الحياة الدنيا؛ فتنة الدين، والسلطان، والمال، والعلم، ثم يأتي بعده تعقيب والعصمة والنجاة منها(١).

والفتن كالتالي:–

١– **فتنة الدين:** وتمثلت فتنة الدين في قصة الفتية الذين فرُّوا من الملك الظالم، وتركوا متاع الدنيا الزائف وراءهم؛ في سبيل الحفاظ على الدين، فلجأوا إلى الكهف، فجعلهم الله ﷻ آية تُتلى إلى يوم القيامة، ومعجزة بإبقاء أجسادهم دون، تلف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً؛ وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد، ثم أورد الله ﷻ كيفية العصمة من هذه الفتنة، والتي تكون بالصحبة الصالحة، وتذكّر الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف:٢٨–٢٩]

٢– **فتنة المال:** وتجسدت هذه الفتنة في قصة صاحب الجنتين؛ الذي أغناه الله ﷻ بأنعمه؛ فكفر بأنعم الله ﷻ، فكان مثالاً لمن فتنته مظاهر الدنيا ومتاعها الزائف؛ فألقته في أوحال الجحود والإنكار لفضل المنعم الواهب تبارك وتعالى، فأهلك الله ﷻ الجنتين؛ إيقافاً لغروره، وعجبه، وتكبره، وتطبيقاً عملياً يوقفه على حقيقة عجزه وضعفه؛ ليرده هو وأمثاله إلى جادة الصواب، ثم بيّن الله ﷻ أن العصمة من هذه الفتنة تكون في فهم حقيقة الدنيا، وتذكر الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف:٤٥–٤٦].

٣– **فتنة العلم:** لقد مثّل القرآن الكريم هذه الفتنة بقصة موسى مع الخضر عليهم السلام، وقد ظنّ موسى عليه السلام أنه أعلم أهل الأرض، فأوحى الله ﷻ إليه بأن هناك من هو أعلم منه، فرحل للقائه والتعلم منه، فلم يصبر على ما فعل الخضر عليه السلام من أفعال يظهر منها أنها أفعال منكرة

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص١٨٩–١٩٠

وخالية من الحكمة؛ لخفاء الحكمة من وراء أفعاله على موسى ؛ وإنما أخذ بظاهر الموقف. والعصمة من فتنة العلم هي الصبر على آلام طريق العلم، والتواضع، وعدم الغرور به، حيث قال تعالى: ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا** ﴾ [الكهف:٦٩].

٤- **فتنة السلطة:** لقد بينت قصة ذي القرنين في سورة الكهف فتنة السلطة، الرجل الصالح الذي آتاه الله ﷻ المُلك، وأسباب التمكين في الأرض، فكان يمتلك المُلك، والعلم، والقوة، والحكمة، والقبول بين الناس، فملك الأرض من مشرقها إلى مغربها، فأدى أمانة الملك الذي أمّنه الله ﷻ عليه، ودعا إلى الله ﷻ ونشر الخير، حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج، فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم.

والعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله ﷻ في العمل، وتذكّر الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

وختم الله ﷻ السورة بقوله تعالى: ﴿ ... **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:١١٠] والذي يحمل في طياته أهم أسباب العصمة من الفتن، وهي: العبودية الحقة لله ﷻ، والعمل الصالح، وإخلاص النية، واستحضار لحظة لقاء الله ﷻ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

٢. المناسبات بين موضوعات سورة يس:

إن الموضوعات الرئيسة للسورة هي موضوعات السور المكية، وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، ويمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر بأقوى البراهين، فهي تتعرض لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة منذ افتتاحها: ﴿ **يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** ﴾ [يس:١-٥]. وتسوق قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون؛ لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة؛ وتعرض هذه العاقبة في القصة على طريقة القرآن في استخدام القصص لتدعيم قضاياه، وقرب نهاية السورة تعود إلى الموضوع ذاته: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** ﴾ [يس:٦٩]

كذلك تتعرض السورة لقضية الألوهية والوحدانية، فيجيء استنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة ليحاج قومه في شأن المرسلين وهو يقول: ﴿ **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا**

يُنْقِذُونِ، إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٢٢-٢٤]. وقرب ختام السورة يجيء ذكر هذا الموضوع مرة أخرى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٧٤-٧٥].

وانتقلت الآيات للحديث عن قضية البعث والنشور، هي القضية التي يشتد التركيز عليها في السورة، وهي تتردد في مواضع كثيرة في السورة، تجيء في أولها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢]. وتأتي في قصة أصحاب القرية، فيما وقع للرجل المؤمن، وقد كان جزاؤها العاجل في السياق: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧] . ثم ترد في وسط السورة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[يس:٤٨-٥٠] ثم ترد في ختام السورة: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

ثم يستطرد السياق إلى مشهد كامل من مشاهد القيامة، وفي نهاية السورة ترد هذه القضية في صورة حوار: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٨-٧٩].

إن القضايا المتعلقة ببناء العقيدة من أساسها تتكرر في السور المكية؛ ولكنها تعرض في كل مرة من زاوية معينة، تحت ضوء معين، مصحوبة بمؤثرات تناسب جوها، وهذه المؤثرات منتزعة في هذه السورة من مشاهد القيامة بصفة خاصة، ومن مشاهد القصة ومواقفها وحوارها، ومن مَصارع الغابرين على مدار القرون، ثم من المشاهد الكونية الكثيرة المتنوعة الموحية: مشهد الأرض الميتة تدب فيها الحياة، ومشهد الليل يسلخ منه النهار فإذا هو ظلام، ومشهد الشمس تجري لمستقر لها، ومشهد القمر يتدرج في منازله حتى يعود كالعرجون القديم، ومشهد الفلك المشحون يحمل ذرية البشر الأولين، ومشهد الأنعام مُسخّرة للآدميين، وتدرج الإنسان في أطوار النمو!، ومشهد الشجر الأخضر تكمن فيه النار التي يوقدون!.

وإلى جوار هذه المشاهد مؤثرات أخرى تلمس الوجدان الإنساني وتوقظه: منها صورة المكذبين الذين حقت عليهم كلمة الله ﷻ بكفرهم، فلم تعد تنفعهم الآيات والنذر: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٨-٩] ومنها صورة نفوسهم في سرهم وعلانيتهم مكشوفة لعلم الله ﷻ لا

يخفيها عنه ستار، ومنها تصوير وسيلة الخلق بكلمة لا تزيد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢] وكلها مؤثرات تلمس القلب البشري وهو يعاين مصداقها في واقع الحياة.

والسورة كلها إيقاظ شديد للمشاعر والوجدان، وتحريك قوي للأحاسيس، وفتح نفّاذ للقلوب، لكي تبادر إلى الإقرار بالخالق وتوحيده، والإيمان بالبعث، والحشر، والجزاء [1].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/٢٤٠-٢٤١. في ظلال القرآن: ٥/٢٩٥٦-٢٩٥٧. في رحاب التفسير: ٤٥٦٢/١١.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٢١/٢٨٨-٢٨٩.

الفصل الأول

عقيدة الإيمان بالملائكة والجن وأثرهما على الفرد والمجتمع في سورتي الكهف ويس

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: عقيدة الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: عقيدة الإيمان بالجن.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالملائكة والجن على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول

عقيدة الإيمان بالملائكة

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: معنى الملائكة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: صفات الملائكة وعلاقتها بالإنسان.

المطلب الرابع: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

المبحث الأول

عقيدة الإيمان بالملائكة

المطلب الأول: معنى الإيمان بالملائكة:-

أولاً: معنى الملائكة لغة:

الملائكة جمع مَلَكُ، أصله مَأْلَك مشتق من (ألك)، والألوك الرسالة، وهي المَأْلُكة على مَفْعُلة، سميت أَلوكاً؛ لأَنه يُؤْلَكُ في الفم، مشتق من قول العرب الفرس يَأْلُك اللُّجُمَ، والمعروف يَلوك، أَو يَعْلُك أَي يمضغ. أَلَكَ الفرسُ اللجام في فيه يَأْلُكه عَلَكه، والأَلوك، والمَأْلَكة، والمَأْلُكة الرسالة؛ لأنها تُؤْلَك في الفم.

مألك قلبت الهمزة إلى موضع اللام، فقيل مَلأَك ثم خففت الهمزة بأَن أُلقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، فقيل مَلَك، وقد يستعمل متمماً والحذف، والجمع ملائكة دخلت فيها الهاء لا لعجمة، وقد قالوا المَلائك هي المَأْلَكة والمَلأَكة على القلب، والملائكة جمع مَلأَكة، ثم ترك الهمز فقيل مَلَك في الوحدان وأَصله مَلأَك كما ترى، ويقال جاء فلان قد اسْتَأْلكَ مَأْلُكَته أَي حمل رسالته(١).

وقد ورد في كتاب تاج العروس أن من العلماء (٢) يرى أن مَلَك مشتقة من مُلْك، وذلك في قوله: " اشتقاقه من المُلك وهو القوة، كأنهم توهموا أنه فعّال" (٣) وهذا القول بيّن المؤلف فيه أنه من الوهم، القول باشتقاق المَلَك من المُلْك. كما أيده في ذلك صاحب كتاب المحكم والمحيط الأعظم في قوله: "ظُن ملك الموت من [م ل ك] فصاغ مالكا من ذلك؛ وهو غلط منه، وقد غلط بذلك في غير موضع"(٤). ولم أقف في كتب اللغة على أحد أورد مُلْك أصلا لكلمة مَلَك.

ثانياً: معنى الملائكة اصطلاحا:

لقد وردت أقوال للعلماء في تعريف الملائكة، جميعها تحمل معانٍ متقاربة، ومنها ما يلي:-

١. "إن الملائكة أجسام لطيفة، نورانية، قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة، كاملة في والقدرة على الأفعال الشاقة، شأنها الطاعات، ومسكنها السموات، هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه

---

(١) انظر: العين: ٣٨١/٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢٩٩/١. القاموس المحيط: ٩٥٤/١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، ٣٠٦/٦.

(٣) تاج العروس: ٣٥٥/٢٧.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ٨٩/٧.

عليهم السلام، وأمناؤه على وحيه، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"(١).

٢. "إن الملائكة أجسام لطيفة، تظهر في صور مختلفة، وتقوى على أفعال شاقة، هم عباد مكرمون، يواظبون على الطاعة والعبادة، ولا يوصفون بالذكورة والأنوثة"(٢).

٣. "قال جمهور أهل الكلام من المسلمين إن الملائكة أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات"(٣).

٤. "الملائكة هم عباد الله المكرمون، والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، "الكرام" خَلقاً وخُلُقاً، والكرام على الله تعالى، "البررة" الطاهرون ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعون لله ﷻ، وهم عباد من عباد الله ﷻ ، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتاً لله ﷻ ، ولابنين ، ولا شركاء معه، ولا أنداداً، تعالى الله عما يقول الظالمون، والجاحدون، والملحدون، علواً كبيراً"(٤).

وبعد الوقوف على التعريفات السابقة، يمكن القول بأنها تعريفات غير جامعة لمعنى الملائكة، ويمكن تعريف الملائكة بتعريف جامع مشتق من التعريفات السابقة:

هم خلق من مخلوقات الله ﷻ، خُلقوا من نور، وهم عباد له، مكرمون، لا شركاء له، ولا أنداداً، والسفرة بينه ﷻ وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، الأمناء على وحيه، الكرام خَلقاً وخُلقاً، الطاهرون ذاتاً وصفةً وأفعالاً، وهم أجسام لطيفة أُعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، أسكنهم سماواته، ووكّلهم بشؤون خلقه، وتقوى على أفعال شاقة، ووصفهم في كتابه بأنهم لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون الله بالليل والنهار، لا يفترون، ليسوا بناتاً لله ﷻ ولا بنين، ولا ينكحون، تعالى الله ﷻ عما يصف المبطلون.

ذِكْر ما في التعريفات السابقة من نقص:

- التعريف الأول: أنهم الكرام خَلقاً وخُلقاً، والطاهرون ذاتاً وصفةً وأفعالاً، ووكلهم بشؤون خلقه، ليسوا بناتاً لله ﷻ ولا بنين، ولا شركاء له ولا أنداداً.

(١) شرح المقاصد: ٣/٣٦٨

(٢) المرجع السابق: ٥/٦٤.

(٣) فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، ٦/٣٠٦.

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٢/٦٥٦.

- التعريف الثاني: أنهم خُلقوا من نور، والسفرة بينه وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، الكرام خَلقاً وخُلقاً، والطاهرون ذاتاً وصفةً وأفعالاً، ووكلهم بشؤون خلقه، وتقوى على أفعال شاقة، وهم عباد له مكرمون، ولا شركاء له، ولا أنداداً.
- التعريف الثالث: أنهم خلقوا من نور، والسفرة بينه وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، الكرام خَلقاً وخُلقاً، والطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، ووكلهم بشؤون خلقه، وتقوى على أفعال شاقة، ليسوا بناتاً لله ﷻ ولا بنون، ولا شركاء له ولا أنداداً.
- التعريف الرابع: أن لهم القدرة على التشكل، والقدرة على أفعال شاقة، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشؤون خلقه.

ثالثاً: تعريف الإيمان بالملائكة:

ويمكن تعريف الإيمان بالملائكة بأنه: الاعتقاد الجازم، والتسليم بكل ما أخبر الله ﷻ به في محكم تنزيله، ووحيه على نبيه عن الملائكة من صفاتهم وأفعالهم.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالملائكة:

يعد الإيمان بالملائكة الركن الثاني من أركان الإيمان، وعدم الاعتقاد بوجودهم على ما ورد في القرآن والسنة كفر بالله ﷻ؛ لأن معرفة الملائكة من المعلوم من الدين بالضرورة، فيجب الإيمان بما ورد في حقهم، من صفات وأعمال في الكتاب والسنة، والتوقف عما وراء ذلك؛ فإن هذا من الغيب الذي لا نعلم منها إلا ما علّمنا الله ﷻ في وحيه قرآناً وسنة.

أولاً: الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، أدلة مستفيضة على وجوب الإيمان بالملائكة ومنها ما يلي:

١. **الأدلة من القرآن:**

أ. قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨]

ب. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]

ج. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ....﴾ [البقرة:١٧٧]

٢. الأدلة من السنة:

ويدلل على ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ قَالَ ﷺ: **(الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ...)**[١].

وهناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة، سترد عند التفصيل في الحديث عن صفات الملائكة وأعمالها.

ثانياً- الإيمان بالملائكة يتضمّن معانٍ عدة[٢]:

١- التصديق بوجودهم.

٢- الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً:

أ. **الإيمان بهم إجمالاً:** أي جعل الله ﷻ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة من الملائكة، والتي لم يحصر عددها، وجعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، وما يدل على كثرة الملائكة، والتي لم يفصِّل القرآن الكريم، والسنة النبوية الحديث عنها، ما ورد في صحيح البخاري من حديث الإسراء والمعراج فيما ورد عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﷺ[٣] قَالَ: قال رسول الله ﷺ: (... **فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**) [٤].

ب. **الإيمان بهم تفصيلاً:** ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمّى اللَّه ﷻ، ورسوله ﷺ منهم؛ كجبريل، وميكائيل، ومالك خازن النَّار، والموكل بالنفخ في الصور.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الايمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، ١٩/١، ح٤٧٧٧.

(٢) انظر: شعب الإيمان: ١٦٣/١، الحبائك في أخبار الملائك: ص١٠. الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه: ص٢٠٨.

(٣) مالك بن صعصعة الأنصاري له صحبة روى عن النبي ﷺ حديث المعراج بطوله، ويقال إنه ليس في أحاديث المعراج أصح ولا أحسن منه روى عنه أنس بن مالك، قال أبو عمر بن عبد البر مالك بن صعصعة الأنصاري المازني من بني مازن بن النجار روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي مالك. تهذيب الكمال: ١٤٧/٢٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ١١٠/٤، ح٣٢٠٧.

٣- الإيمان بما علمناه من صفاتهم، وإنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله تعالى وخلقه؛ كالإنس والجن، مأمورون مكلَّفون، لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصَفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

٤- الإيمان بما علِمناه من أعمالهم، والإقرار بأن منهم رسل الله ﷻ، يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، إلى غير ذلك من الأعمال الوارد ذكرها في القرآن والسنة، والتي سيأتي الحديث عنها.

المطلب الثالث: صفات الملائكة وعلاقتها بالله والإنسان:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، الكثير من النصوص التي توضح صفات الملائكة، وعلاقتها بالله ﷻ والإنسان، وهي كما يلي:

أولاً: صفات الملائكة:

١. خلقت الملائكة من نور:

وذلك فيما ورد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)**(١).

٢. الملائكة مخلوق عظيم الخلقة:

وثبت ذلك فيما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **(.... مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ)** (٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب أحاديث متفرقة، ٢٢٦/٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ١١٥/٤، ح٣٢٣٤.

وما ورد عَنْ زِرِّ بْنَ حُبَيْشٍ رضي الله عنه[1] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النَّجم:٩] قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ**[2].

٣. **الملائكة منظمون ويتحلون بأسمى الأخلاق:**

حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَّبأ:٣٨]،وما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه[3] قَالَ: **خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ**[4] **اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ) قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا**[5] **فَقَالَ: (مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ)**[6]. **قَالَ: (ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا. قَالَ: (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)**[7].

٤. **الملائكة تتصف بالحياء:**

وذلك فيما ورد أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ**

---

(١) زِرّ بن حُبَيْش بن حُبَاشَة ابن أوْس الأسَدِيّ، من أسد بني خزيمة، يكنى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف. أدرك الجاهلية ولم ير النبي، وهو من كبار التابعين. روى عن عُمَر وعلي وابن مسعود. روى عنه الشعبي والنخعي، وكان فاضلاً عالماً بالقرآن، توفي سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة. أسد الغابة: ١٠١/٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الايمان، باب في ذكر سدرة المنتهى،١٠٩/١.

(٣) جابر بْن سمرة بْن جنادة بْن جندب بْن حجير بْن رئاب بْن حبيب بْن سواءة بْن عَامِر بْن صعصعة العامري ثم السوائي. وقيل: جابر بْن سمرة بْن عمرو بْن جندب. صحابي قد اختلف في كنيته، فقيل: أَبُو خَالِد، وقيل: أَبُو عَبْد اللَّهِ. وهو حليف بني زهرة، وهو ابن أخت سعد بْن أَبِي وقاص، أمه خالدة بنت أَبِي وقاص. سكن الكوفة، وتوفي في أيام بشر بْن مروان عَلَى الكوفة، وصلى عليه عمرو بْن حريث المخزومي، وقيل: توفي سنة ست وستين أيام المختار.

روى عَنِ النَّبِيّ ﷺ أحاديث كثيرة، روى عنه الشعبي، وعامر بْن سعد بْن أَبِي وقاص، وتميم بْن طرفة الطائي، وَأَبُو إِسْحَاق السبيعي وغيرهم. أسد الغابة: ٣٠٤/١

(٤) أذناب خيل شمس: الخيل الشمس شرد وجمح ومنع ظهره عن الركوب لشدة شغبه وحدته فهو لا يستقر فهو شامس، تاج العروس من جواهر القاموس: ١٧٤/١٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥٠١/٢، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ١٥٣/٤. وفيه دلالة على نهي النبي ﷺ عن كثرة الحركة في الصلاة.

(٥) حَلَقا: بكسر الحاء وفتحها لغتان جمع حلقة، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ١٥٣/٤.

(٦) عزين: متفرقين مختلفين لا يجمعكم مجلس واحد، شرح السنة للبغوي: ٣٠٣/١٢.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب السكون في الصلاة، ٢٩/٢.

اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ﷺ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ﷺ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَلَمْ تَهْتَشَّ[1] لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ ﷺ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ ﷺ: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) [2].

٥. **الملائكة منزهة عن العوارض البشرية:**

لقد ورد من الأدلة القرآنية ما يبين طبيعة المَلك المخالفة لطبيعة البشر، وذلك بنفي الفتور، والتعب، والإعياء عنهم، وكذلك نفي فتورهم عن عبادة الله ﷻ، والتسبيح ليل نهار من خلال قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾. [الأنبياء:٢٠]

ومن خلال استنكار المشركين على النبي ﷺ بأنه يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وذلك خلال قوله تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٧]

أي قالوا إن صح أنه ﷺ رسول لله ﷻ، فما باله يأكل الطعام، كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنساناً معه ملك؛ حتى يساعده في الإنذار والتخويف[3].

وقد ردّ الله ﷻ على تصورهم هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]

وتأكيداً على ذلك ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام عندما جاءته الملائكة على هيئة بشر، فقدم لهم الطعام فلم يأكلوه، فأخبروه أنهم ملائكة لا يأكلون، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠]

٦. **القدرة على التشكل بصورة البشر:**

إن الله ﷻ قد أعطى الملائكة القدرة على التشكل بهيئة البشر، على حسب المواقف لحِكَم من الله ﷻ، وقد ورد هذا في القرآن الكريم في مواضع منها:

---

(١) فلم تهتش: لم تباله ولم تكترث لدخوله، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ١٦٨/١٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان ﷺ، ١١٦/٧.

(٣) مدارك التنزيل: ٥٢٦/٢.

أ- تصورت الملائكة بشراً عندما أرسلها الله ﷻ إلى مريم عليها السلام:

وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٦-١٧]

ب- تصورت الملائكة بشراً عندما أرسلها الله ﷻ إلى إبراهيم عليه السلام:

وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذريات:٢٤-٢٩] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠]

وغير ذلك من المواقف الواردة في القرآن مثل قصة زكريا عليه السلام.

٧. **خلقت الملائكة قبل آدم عليه السلام:**

وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

ففي هذه الآية يخبر الله ﷻ الملائكة بأنه سيخلق من سيعمّر الأرض؛ وهو آدم عليه السلام وذريته، وبعدها أمرهم بالسجود له، وهذا دليل على أن الله ﷻ خلق الملائكة قبل البشر.

٨. **عصمة الملائكة عن المعصية:**

حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠]

ففي هذه الآية بيان لمدى طاعة الملائكة لله ﷻ فيما يؤمرون به، حيث عبرت الآية القرآنية عن ذلك بالفاء، التي تفيد سرعة الاستجابة والسجود، دون أدنى اعتراض بعد الأمر مباشرة. ﴿...لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦]

وأما ما ورد عن معصية الملكين هاروت وماروت فيما روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ آدَمَ ﷺ لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ ﷻ تَعَالَى إِلَى الأَرْضِ ، قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: أَيْ رَبِّ ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:٣٠] ، **قَالُوا: رَبَّنَا نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلاَئِكَةِ: هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، حَتَّى يُهْبَطَ بِهِمَا إِلَى الأَرْضِ ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلاَنِ.**

قَالُوا: رَبَّنَا، هَارُوتُ وَمَارُوتُ. فَأُهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ، وَمُثِّلَتْ لَهُمَا الزُّهَرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ، حَتَّى تَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الإِشْرَاكِ. فَقَالاَ: وَاللَّهِ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ أَبَدًا. فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ، حَتَّى تَقْتُلاَ هَذَا الصَّبِيَّ، فَقَالاَ: وَاللَّهِ لاَ نَقْتُلُهُ أَبَدًا. فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ، حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ. فَشَرِبَا، فَسَكِرَا فَوَقَعَا عَلَيْهَا، وَقَتَلاَ الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَفَاقَا، قَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا مِمَّا أَبَيْتُمَاهُ عَلَيَّ إِلاَّ قَدْ فَعَلْتُمَا حِينَ سَكِرْتُمَا ، فَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا)[١].

فهذه الرواية مردودة لتضعيف علماء الحديث لها[٢]، وقال علماء التفسير: مع تعدد رواياتها لا تعويل عليها؛ لأنها من الإسرائيليات، مع ما فيها من المخالفة لأدلة العقل، والنقل، والتي تتمثل بعدة وجوه: [٣]

- أحدها: أنهم ذكروا في القصة أن الله تعالى قال لهما: لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني، فقالا: لو فعلت ذلك بنا يا رب لما عصيناك، وهذا تكذيب منهم لله تعالى، وتجهيل له، وذلك من صريح الكفر.
- وثانيها: في القصة أنهما خُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك فاسد بل كان الأولى أن يُخيرا بين التوبة، وبين العذاب.
- وثالثها: في القصة أنهما يعلمان السحر حال كونهما معذبين، ويدعوان إليه، وهما معاقبان على المعصية.
- ورابعها: كيف يعقل أن المرأة لما فجرت صعدت إلى السماء؟، وجعلها الله تعالى كوكباً مضيئاً، وعظّم قدره، بحيث أقسم به حيث قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التَّكوير:١٥-١٦].

وعلى هذا فلا دليل يصح الاحتجاج به على قول من قال بعدم عصمة الملائكة

وأما تعليم المَلَكين هاروت وماروت السحر للناس حيث قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، ٣١٨/١٠، ح ٦١٧٨ .

(٢) إسناده ضعيف ومتنه باطل: شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد: ٣١٨/١٠. الموضوعات: لابن الجوزي، ١٨٦/١-١٨٧. قال الألباني: باطل مرفوع، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٣١٤/١.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: ١٥٧/٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٣٨/١. لباب التأويل في معاني التنزيل:٩١/١. المحرر الوجيز:١٨٧/١

الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...﴾ [البقرة:١٠٢] يكون لعدة أسباب منها:

أ. إن الله ﷻ امتحن النَّاس بالملكين فِي ذلك الوقت، وجعل الابتلاء في الكفر والإيمان؛ بأن يُقبِل على تعلُّم السِّحر، فيكفر بتعلُّمه، ويؤمن بترك تعلمه، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء[١].

ب. كثرة السحر في ذلك الزمان، وكانوا يدّعون النبوة، ويتحدون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلِّما الناس أبواب السحر؛ حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدّعون النبوة كذباً، ويظهروا حقيقتهم، ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد[٢].

٩. الملائكة لها أجنحة:

حيث قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]

وما ورد عَنْ زِرّ بْن حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النَّجم:٩] **قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ**[٣].

١٠. الملائكة غير موصوفين بجنس محدد:

حيث قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ، وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصَّفات:١٥٠-١٥٣] هذه الآيات تحمل الاستفهام للتقريع والتوبيخ، على قول المشركين على الله ﷻ البهتان، ونسبة الولد لله ﷻ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٤].

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على تنزيه الله ﷻ عن الولد، ولم يصف القرآن الكريم الملائكة بأي صفة كانت، سوى أنهم عبادٌ لله ﷻ، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٢١/١. البحر المحيط: ٤٩٧/١. شرح المقاصد: ٦٦/٥.
(٢) مفاتيح الغيب: ١٩٩/٣. تبسيط العقائد الاسلامية: ص١٨٦.
(٣) سبق تخريجه: ص٣٨.
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦٢/٧.

عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]، وعالم الملائكة عالم غيبي، علينا التوقف فيه في حدود النص الشرعي فقط.

١١. جمال الملائكة:

ويوضح ذلك ما ورد في قصة يوسف ؛، عندما خرج على النسوة فقطّعن أيديهن من ذهولهن وإعجابهن به من شدة جماله، وقُلْن بأن هذا الجمال لا يكون إلا لملك، وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿... وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] أي أن الملائكة معروف عنها شدة الجمال، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النَّجم:٥-٦] ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي أن جبريل ؛ صاحب قوة، وشدة، وطول، وحسن منظر في خلقه(١).

ثانياً: علاقتها بالله ﻷ والإنسان:-

١. علاقة الملائكة بالله ﻷ:

أ- دوام العبادة والتسبيح:

إن الله ﻷ خلق الملائكة، وجبلهم على العبادة والتسبيح الدائم، من غير فتور، ولا ملل، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلوم، وَإِنَّا لنَحْنُ الصَّافُّون، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصَّفات:١٦٤-١٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٤٩] ، وقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

ب- دوام الطاعة لأمر الله ﻷ، وخشيته، وعدم معصيته:

حيث قال تعالى: ﴿ ...لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿ ...وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

(١) انظر: معالم التنزيل: ٧/٤٠٠.

ومن مظاهر طاعة الملائكة لله ﷻ قيام الملائكة بكل ما يكلفهم الله ﷻ به، دون كلل، أو ملل؛ فالملك الموكَّل بالنفخ في الصور[1] ينتظر إلى يوم القيامة، ودليل ذلك ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ قَالَ الْمُسْلِمُونَ فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا)**[2].

وما ورد عَنْ أبي سَلَمَةَ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَتْ: **(كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [3].

وكذلك الملائكة الموكَّلة بحمل العرش حيث قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ...**﴾ [غافر:٧]، وقال تعالى: ﴿... **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقَّة:١٧]

ومنها ما يقوم بتدبير أمر الكون، امتثالاً لأمر الله ﷻ؛ ومن ذلك الملائكة الموكَّلة بالجبال، وثبت ذلك فيما ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **(هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ**

---

(١) معنى الصور: "هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكل به عند بعث الموتى إلى المحشر. وقال بعضهم: إن الصور جمع صورة يريد صور الموتى ينفخ فيها الأرواح. والصحيح الأول؛ لأن الأحاديث تعاضدت عليه تارة بالصور وتارة بالقرن". النهاية في غريب الأثر والحديث: لابن الأثير، ٣/٦٠.

(٢) سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصور، ٥/٢٩٠، ح ٣٢٤٣. قال الألباني: "حديث صحيح"، صحيح سنن الترمذي: ٣/٣٢٢، ح٣٢٤٣.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، ١/٢٤٠. قال الألباني: حديث حسن. صحيح أبي داود: ٣/٢١٨، ح٧٦٧.

قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[١].

٢. علاقة الملائكة بالإنسان:

أ- الشفاعة لعصاة المؤمنين:

حيث قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى...﴾ [الأنبياء: ٢٨]

ففي هذه الآية حديث عن صفات الملائكة، وبين الله ﷻ فيها أن الملائكة تشفع للمؤمنين الذي يقبل الله ﷻ الشفاعة فيهم[٢].

ب- الطواف في الطرق لالتماس أهل الذكر:

ويوضح ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي، قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي، قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ، قَالَ: يَقُولُونَ مِنْ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)** [٣].

وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنهما- أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)** [٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، ٤/١١٥، ح٣٢٣١.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/٧٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، ٨/٢٤، ح٦٤٠٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ٨/٧٢.

ج- قبض الأرواح:

حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]
وقال تعالى: ﴿... إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]

د- منهم موكلون بحفظ العبد في كل أحواله:

حيث قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد:١٠-١١].

معنى قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ أي أن للّه تعالى ملائكة، يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل، عقبتها ملائكة النهار، وبالعكس، يحفظون العباد بما أمرهم الله ﷻ، وإذا قدر الله شيئاً خلت الملائكة بينهم وبين القدر(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ...﴾ [الأنعام:٦١]

﴿حَفَظَةً﴾ هي الملائكة التي تتعاقب على الناس ليلاً ونهارًا، يحفظون أعمالهم، ويحصونها ويحفظون عليهم أرزاقهم وآجالهم، ولا يفرّطون في حفظ ذلك، وإحصائه، ولا يُضيّعون، فإذا جاء أجلهم قُبضت إلى ربها(٢).

هـ- كتابة أعمال الإنسان:

حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٦-١٨]

وورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي**

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/٣٦٩-٣٧٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤/٢٩٩-٣٠٠. الجامع لأحكام القرآن: ٩/٢٩١.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١١/٤٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ٧/٦.

فَاكْتُبُوهَا لَـهُ حَسَنَـةً. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَـلَ حَسَنَـةً فَلَـمْ يَعْمَلْـهَا فَاكْتُبُوهَا لَـهُ حَسَنَـةً، فَإِنْ عَمِلَـهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ) (١).

و- شهود صلاة الفجر وصلاة العصر:

ودليل ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : **(يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَـةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)** (٢).

ز- تسجيل من يأتون الجمعة:

حيث ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ثُمَّ كَبْشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)**(٣).

ح- كتابة أعمال العباد في الصلاة:

ويدل على ذلك ما ورد عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ﷺ (٤) قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ : **(فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ مَنْ الْمُتَكَلِّمُ قَالَ أَنَا قَالَ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ)**(٥).

ط- النزول عند قراءة القرآن:

ويدل على ذلك فيما ورد أَنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ ﷺ بَيْنَمَا هو لَيْلَةً يَقْرَأُ في مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا قال أُسَيْدٌ فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يحيى فَقُمْتُ إِلَيْهَا فإذا مِثْلُ

---

(١) صحيح البخاري: الكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿...يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ...﴾ [الفتح:١٥]، ٩/١٤٤، ح٧٥٠١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، ٩/١٢٦، ح٧٤٢٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، ٢/١٢، ح٩٢٢.

(٤) رفاعة بْن رافع بْن مالك بْنُ العجلان بْن عَمْرو بْن عَامِرِ بْن زريق، الأنصاري الخزرجي الزرقي، يكنى أبا معاذ، وأمّه أم مالك بنت أبى بن سلول، أخت عَبْد اللَّهِ بْن أَبِي رأس المنافقين. شهد العقبة، إنه ممن شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ ﷺ. أسد الغابة : ٧٣/٢

(٥) صحيح البخاري: كتاب الآذان، باب استواء الظهر في الركوع، ١٥٩/١، ح٧٩٩.

الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فيها أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ في الْجَوِّ حتى ما أَرَاهَا قال فَغَدَوْتُ على رسول اللَّهِ ﷺ فقلت: يا رَسُولَ اللَّه ﷺ بَيْنَمَا أنا الْبَارِحَةَ من جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ في مِرْبَدِي[(١)]. إذْ جَالَتْ فَرَسِي فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (اقرأ بن حُضَيْرٍ) قال: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (اقرأ بن حُضَيْرٍ) قال: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (اقرأ بن حُضَيْرٍ) قال: فَانْصَرَفْتُ وكان يحيى قَرِيبًا منها خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ في الْجَوِّ حتى ما أَرَاهَا فقال رسول اللَّهِ ﷺ :(تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كانت تَسْتَمِعُ لك وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا الناس ما تَسْتَتِرُ منهم)[(٢)].

ي- الدعاء والاستغفار للمؤمنين:

حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشُّورى:٥]

ويدل على ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[(٣)].

وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ وَتُصَلِّي يَعْنِي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ)[(٤)].

---

(١) المربد: موضع يجفف فيه التمر. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢١٣/١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، ١٩٤/٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، ٨٣/٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ١٠٣/١، ح٤٧٧.

وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِذَا قَالَ الْإِمَامُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة:٧] **فَقُولُوا آمِينَ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)[١].

ك- القتال مع المؤمنون ويثبتونهم:

حيث قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٥]

ل- إلهام البشر بعمل الخير:

إن الملائكة تحث المؤمن على فعل الخير، كالصلاة، والصوم، والتصديق بالحق ككتب الله ﷻ ورسوله[٢]، ويبين ذلك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ ﷻ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٦٨]) [٣].

م- إعلان محبة الله أو بغضه للعبد في الأرض:

لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الآذان، باب جهر المأموم بالتأمين، ١/١٥٦، ح٧٨٢.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١/١٤٣.

(٣) سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب سورة البقرة، ٥/٢١٩، ح٢٩٨٨. قال الترمذي: الحديث حسن غريب، قال الألباني: حديث صحيح. صحيح سنن الترمذي: ٣/٢٠٠، ح٢٩٨٨.

فَيَقُولُ إِنِّـي أُبْغِضُ فُلَانًـا فَأَبْغِضْـهُ قَالَ فَيُبْغِضُـهُ جِبْرِيـلُ ثُـمَّ يُنَـادِي فِـي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّـهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ)(١).

ن- تحمل البشرى للمؤمن:

حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصِّلت:٣٠]

ويدل على ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : **(أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَـهُ فِي قَرْيَـةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِـي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)**(٢).

س- موالاة المؤمنين في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ* نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصِّلت:٣١-٣٢]

في هذه الآية الكريمة تقول الملائكة للمؤمنين ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي نحن الحفظة الذين كنا معكم، وأحبابكم وأنصاركم، ونسدد خطاكم في الحياة الدنيا، ولا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة(٣).

ع- زيارة أهل الجنة:

حيث قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣]

ف- خزنة النار:

حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦]

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والأدب والصلة، باب إذا أحب الله عبداً، ٨/٤٠.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والأدب والصلة، باب في فضل الحب في الله، ٨/١٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤/١٣٢. تفسير القرآن العظيم: ٧/١٧٧.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [الزُّمر:٧١]

ص- خزنة الجنة:

حيث قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمر:٧٣]

ق- النزول بالوحي:

حيث قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]

قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:١٠٢]

ر- الموكل بالنطفة:

وذلك فيما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)**(١).

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٨/٤٤.

المطلب الرابع: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

ذهب العلماء في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر إلى مذاهب عدة:

١. ذهب المعتزلة[١] إلى تفضيل الملائكة.

٢. وذهب الشيعة إلى تفضيل جميع الأئمة على جميع الملائكة.

٣. وذهب أتباع الأشعري[٢] إلى ثلاثة أقوال:

- منهم من يفضل الأنبياء والأولياء.
- ومنهم من يقف، ولا يقطع في ذلك قولاً.
- وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة[٣].

٤. وذهب أهل السنة في المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة إلى أقوال عدة:

- ما ذهب إليه جمهور أهل السنة والجماعة: وهو القول بتفضيل صالحي البشر على الملائكة.
- التوقف وعدم الخوض في الموضوع؛ لأنه من فضول الكلام[٤].
- تفضيل صالحي البشر باعتبار النهاية في الآخرة، وما أُعِد لهم من نعيم، وتفضيل الملائكة في الدنيا باعتبار حالهم، ودوام عبادتهم وطاعتهم لله ﷻ[٥].

---

(١) المعتزلة: هم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله، في أوائل المائة الثانية، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولبسوا فيها الحق بالباطل. تلبيس إبليس: ص٧٨. فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام: ١٩٩/٢.

(٢) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها: إمامة الصديق، الرد على المجسمة، مقالات الاسلاميين، الإبانة عن أصول الديانة. الأعلام: ٢٦٣/٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥٦/٤. شرح المقاصد: ٦٦/٥. شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٠١-٣٠٢.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ص٣٠٢.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٤٣/٤. بدائع الفوائد: ١١٠٤/٣.

أولاً: أدلة القائلين بتفضيل صالحي البشر على الملائكة من أهل السنة والجماعة:

لقد استند القائلون بأن صالحي البشر أفضل من الملائكة إلى أدلة عدة، منها:

١. أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠]؛ الحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى، وإباء إبليس واستكباره، والتعليل بأنه خير من آدم لكونه من نار وآدم من طين، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] يدل على أن المأمور به كان سجود تكريم وتعظيم، ويؤيد ذلك قوله تعالى على لسان إبليس اللعين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾ [الإسراء:٦٢] (١). وأن السجود لا سجود تحية وزيارة، ولا سجود الأعلى للأدنى.

٢. ما اختص الله ﷻ به آدم عليه السلام من علم عن غيره من الملائكة، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:٣١-٣٢]. ومن المعلوم أن العالِم أفضل ممن دونه في العلم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزُّمر:٩].

٣. إن ما يقع من صالحي البشر من الزلات والهفوات، ترفع لهم الدرجات، وتبدّل سيئاتهم إلى حسنات، ﴿... إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]، ومنهم من يعمل سيئة تكون سبباً لدخول الجنة، ولو لم يكن العفو أحب اليه، لما ابتُلي بالذنب أكرم الخلق عليه، وكذلك فرحه بتوبة عبيدة، وضحكه ﷻ من علم العبد أنه لا يغفر الذنوب إلا الله؛ فهذا من أسرار ربوبيته، ولو شاء ما عصاه أحد من خلقه سبحانه وتعالى.

٤. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] واستدلوا بها من وجهين:

الأول: أن الخليفة يفضَّل على من هو خليفة عليه، وقد كان في الأرض ملائكة.

(١) انظر: شرح المقاصد: ٥/٦٥.

والثاني: أن الملائكة طلبت من الله تعالى أن يكون الاستخلاف فيهم، والخليفة منهم، فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها(١).

٥. مباهاة الله ﷻ ملائكته بعباده يوم عرفة(٢)، حيث ورد عَنْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ)**(٣).

ثانياً: أدلة المعتزلة والصوفية القائلين بتفضيل الملائكة على صالحي البشر:

لقد استدل هذا الفريق بأدلة عدة، منها:

١. عصمة الملائكة، ودوام الطاعة، والعبادة، والتسبيح لقوله تعالى:﴿ **وَلله يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [النحل:٤٩]وقوله تعالى: ﴿ ... **لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التَّحريم:٦].

٢. وصفهم الله ﷻ بأنهم عباد مكرَمون في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء:٢٦]؛ ولكن قد ورد تكريم الله ﷻ لبني آدم، ونسب الفعل إلى نفسه زيادة في التكريم والشرف، وعلو المكانة، في قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ [الإسراء:٧٠]

٣. قوله تعالى: ﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ...** ﴾ [النساء:١٧٢] أي لا يترفع عيسى عليه السلام عن العبودية لله ﷻ، ولا من هو أرفع منه درجة؛ ولكن الكلام سيق للرد على النصارى، وغيرهم في المسيح، وادعائهم فيه مع النبوة البنوة بل الألوهية والترفع عن العبودية؛ لكونه روح الله ولد بلا أب، ولكونه يبرئ الأكمه والأبرص. والمعنى لا يترفع عيسى عليه السلام عن العبودية لله ﷻ، ولا من هو فوقه في هذا المعنى، وهم الملائكة الذين لا أب لهم، ولا أم، ويقدرون على مالا يقدر عليه عيسى عليه السلام، ولا دلالة على الأفضلية(٤).

ويترجح لي ما قال به ابن تيمية رحمه الله: "إن صالحي البشر أفضل، باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلابسه بنو

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٦٧/٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٦٧/٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ١٠٧/٤.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم: ٢٦١/٢. معالم التنزيل: ٣١٥/٣. شرح المقاصد:٧٢/٥.

آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة" (١)

(١) مجموع الفتاوى: ٣٤٣/٤.

المبحث الثاني

عقيــدة الإيمـــان بالجـــن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الجن.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالجن.

المطلب الثالث: صفات الجن.

المطلب الرابع: حقيقة إبليس وعلاقته بالجن.

المبحث الثانـي

الإيمـان بالجـن

المطلب الأول: تعريف الجن:

أولاً: الجن لغة:

إن أصل كلمة (جَنَّ) ومشتقاتها، تحمل معنى الستر والخفاء(١).

ثانياً: الجن اصطلاحاً:

١- "هم أجسام رقاق صافية هوائية، لا ألوان لها، وعنصرهم النار، كما أن عنصرنا التراب"(٢). ودليل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧].

٢- "أجسام لطيفة هوائية، تتشكل بأشكال مختلفة، وتظهر منها أفعال عجيبة، منهم المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي" قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن:١٤](٣).

توصلت إليه الباحثة من التعريفات السابقة ونصوص الكتاب والسنة أن تعريف الجن هو: أنهم خَلْق من مخلوقات الله، خُلقوا من النار، لا تُرى على صورتها الأصلية، مكلّفون، منهم المؤمن والعاصي، والفاسق والكافر، يأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ويتوالدون، لهم القدرة على الطيران، والتشكل وعندهم القدرة على الأعمال الشاقة.

وسيتم التفصيل في هذا التعريف من خلال الحديث عن صفاتهم في ضوء القرآن والسنة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالجن:

اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالجن، وبكفر من ينكر وجودهم؛ "وذلك لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار"(٤)، وقد أثبتت الأدلة من القرآن

---

(١) انظر: كتاب العين: ٦/٢٠-٢٢. المحكم والمحيط الأعظم: ٧/٢١١-٢١٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/٣٠٧-٣٠٩. لسان العرب: ١/٧٠١-٧٠٤.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٥/٩.

(٣) شرح المقاصد: ٣/٣٦٨.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٩/١٠.

والسنة وجود الجن، وعلى هذا فيجب الإيمان بوجودهم رغم عدم إدراكهم، وذلك من صميم الإيمان بالغيب المكلَّفين به، والذي اعتبره الله ﷻ أول صفة تميز المتقين، وذلك لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

وهم مما لم يُدرَك بالحواس، وعلمنا بضرورة العقل إمكان كونهم؛ لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها، وهو ﷻ يخلق ما يشاء، فمن أنكر الجن، أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم به عن هذا الظاهر، فهو كافر، مشرك، حلال الدم والمال(١).

الأدلة من الكتاب والسنة:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية من الأدلة على ثبوت وجود الجن، ما يحول بين عقول المؤمنين، وبين التردد في التسليم بوجودهم، ومن تلك الأدلة ما يلي:

أولاً: الأدلة من القرآن:

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات تتحدث عن الجن، وقد أنزل الله ﷻ سورة تحمل اسمهم وهي سورة الجن، وفي ذلك زيادة على تأكيد وجودهم حقيقة ومن تلك الأدلة ما يلي: –

١– قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[الجنّ:١].

٢– وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[الأحقاف:٢٩].

٣– قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٢٨].

٤– قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠]

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٥/٩.

ثانياً: الأدلة من السنة:

لقد أثبتت السنة النبوية وجود الجن، وذلك كما يلي:

١- التصريح بأصل خلقة الجن:

وذلك فيما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)** [1].

٢- تصريح النبي ﷺ بلقائهم ودعوتهم:

وذلك فيما ورد عَنْ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ ﷺ: **(أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ)** [2].

المطلب الثالث: صفات الجن:

إن الله ﷻ خلق الجن، وهم عالم غيبي، لا نعلم صفاتهم وطبيعتهم؛ فوضح الله ﷻ بعض ما يتعلق بهم، وقد ذكر القرآن الكريم، والسنة النبوية صفات كثيرة للجن؛ وفيما يلي بعض صفات الجن، كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولاً: يأكلون ويشربون:

لقد أثبتت السنة النبوية أن الجن يأكلون، وأن طعام الجن المسلم هو عظام ما أكل المسلمون بعد التسمية عليه، ودليل ذلك في نص الحديث السابق

وفيما ورد عَنْ عَبدِ الله بن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(إذا أَكَلَ أحدكم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وإذا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فإن الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)** [3].

ففي هذا الحديث بيان لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله فنهى عن التشبه به.

(١) سبق تخريجه: ص٣٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر فى القراءة فى الصبح والقراءة على الجن، ٣٦/٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ١٠٩/٩.

ثانياً: يتزاوجون ويتكاثرون:

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرَّحمن:٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرَّحمن:٧٤]

فالآية الأولى توضح تزاوج وتوالد الجن في قوله تعالى: ﴿ ...أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ ﴾، وفي الآية الثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ دليل على أن الجن يتزاوجون(١).

ثالثاً: لهم القدرة على الطيران:

لقد ورد في القرآن الكريم أن الجن تصعد إلى السماء الدنيا؛ محاولة منها استراق السمع، والإتيان بخبر السماء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ [الجنّ:٨-٩]

رابعاً: لهم القدرة على الأعمال الشاقة:

لقد أعطى الله ﷻ الجن القدرة على الأعمال الشاقة والخارقة، والتي لم يقدر عليها البشر، وذلك واضح في قصة سيدنا سليمان ﷺ، وتسخير الجن له، كما في قوله تعالى على لسان سليمان ﷺ: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [سبأ :٣٨-٣٩]

خامساً: يموتون:

لا شك أن الجن يموتون، إذ هم داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[الرَّحمن:٢٦]، ويدل على ذلك ما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** (٢).

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٥١/١٨. لباب التأويل في معاني التنزيل:٢٣١/٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الصَّفات:١٨٠]، ١١٧/٩، ح٧٣٨٣.

أما مقدار أعمارهم فلا نعلمها، إلا ما أخبرنا الله ﷻ عن إبليس اللعين، أنه سيبقى حيّاً إلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٤-١٥]، أما غيره من الجن، فلا ندري مقدار أعمارهم.

سادساً: أصل خلقتهم:

لقد تبين في القرآن الكريم والسنة النبوية أن المادة التي خُلق منها الجن، حيث قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرَّحمن:١٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]

ويؤيد ذلك ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)**(١).

سابعاً: مكلفون:

لقد ثبت أن الله ﷻ أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن، ولا يختلف أحد من طوائف المسلمين في ذلك(٢). وقد وردت الأدلة على ذلك من القرآن الكريم، والسنة النبوية، فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

وما ورد عَنْ جَابِرِ بن عبد اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: **(أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي كان كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى كل أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ولم تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صلى حَيْثُ كان وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بين يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)** (٣).

ففي قوله ﷺ: **(وبعثت إلى كل أحمر وأسود)** تأكيد على أن النبي ﷺ بعث للإنس والجن، وأن الجنّ مكلّفون وذلك على قول من فسر من العلماء معنى **(أحمر وأسود)** أن الأحمر الإنس، والأسود الجن، وقيل المراد بالأحمر البيض من العجم وغيرهم، وبالأسود العرب؛ لغلبة السمرة فيهم وغيرهم من السودان، وقيل المراد بالأسود السودان وبالأحمر من عداهم من العرب وغيرهم، والجميع صحيح، فقد بعث إلى جميعهم(٤).

---

(١) سبق تخريجه: ص٣٧.

(٢) انظر: غرائب وعجائب الجن: ص٥١. مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٩/٤٠. ثلاثة أصول: ص١٩٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ٦٣/٢.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٥/٥.

ويؤكد ذلك ما ورد عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(فُضِّلْتُ على الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ؛ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إلى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)** (1). فقوله ﷺ: **(وَأُرْسِلْتُ إلى الْخَلْقِ كَافَّةً)** "يدخل فيه الجن بلا ريب"(2).

ثامناً: يدخلون الجنة والنار:

"اتفق الصحابة، والتابعون، وسائر المسلمين وأئمتهم من أهل السنة والجماعة، وغيرهم، على أن عصاة ومشركي وكافري الجن يدخلون النار". (3)

ويثبت ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ... ﴾ [الأعراف:١٧٩]

ويمكن الاستدلال على دخول الجن الجنة بقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرَّحمن:٤٦] وذلك لأن الآيات السابقة لهذه الآية خطاب للثقلين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرَّحمن:٣١-٣٣]

تاسعاً: تحداهم الله ﷻ بالقرآن كما البشر:

حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]

عاشراً: قدرتهم على التشكل:

لا شك أن الجن يتصورون، ويتشكلون في صور البشر، والحيوانات، والزواحف، والطير. ففيما ورد عن تصورهم على صور البشر، كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم، لما أرادوا الخروج إلى بدر، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٦٤/٢.
(٢) فتح الباري: لابن رجب الحنبلي، ٢٦/٢.
(٣) الجن: ص٤.

لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨][(١)].

وفيما ورد عن تصورهم بصورة الهوام ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ)**[(٢)].

الحادي عشر: لا يمكن رؤيتهم وهم يرون البشر:

حيث قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف:٢٧] وموطن الشاهد هنا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ " قال العلماء رحمهم الله: إن الله تعالى خلق في عيون الجن إدراكاً، يرون بذلك الإدراك الإنس، ولم يخلق في عيون الإنس هذا الإدراك، فلم يروا الجن"[(٣)].

الثاني عشر: لا يعلمون الغيب:

حيث قال تعالى: **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾**[سبأ:١٤]، ففي هذه الآية بيان لكذب ما كانت تدعيه الجن على عهد سليمان عليه السلام أنها تعلم الغيب؛ فمات سليمان عليه السلام واقفاً، متكئاً على عصاه، فلم تعلم الجن بوفاته عليه السلام، إلا بعد أن تآكلت، وسقطت عصاه؛ فعلم الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، ما مكثوا في الأعمال الشاقة إلى حين سقوط العصا[(٤)].

المطلب الرابع: حقيقة إبليس، وعلاقته بالجن:

اختلف العلماء حول حقيقة إبليس وأنه من الملائكة أم لا إلى أقوال عدة [(٥)]:

---

(١) انظر: السيرة النبوية: ٣٨٦/٢. غرائب وعجائب الجن: ص٣٢.
(٢) صحيح مسلم: كتاب السلام، باب قتل الحيات غيرها، ٤١/٧.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: ١٩٢/٢
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣٩٢/٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٨٤/٣.
(٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٠١/٦. زاد المسير في علم التفسير: ١٥٣/٥. لسان العرب: ٧٠٤/١. اللباب في علوم الكتاب: ٥٠٨/١٢..

- **القول الأول: أن إبليس من الملائكة:** وهذا الفريق له دليلان:

- **الدليل الأول:** استدل هذا الفريق بأن إبليس دخل في عموم من أُمروا بالسجود، في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾[ص:٧٣-٧٤] وأن ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هذا الاستثناء متصل؛ أي استثناء الشيء من جنسه؛ أي أن إبليس من جنس الملائكة.

- **الدليل الثاني:** إن القرآن الكريم أطلق على الملائكة لفظ الجِنة، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصَّفات:١٥٨] والمقصود بالجِنَّة هنا الملائكة؛ أي جعلوا الملائكة بناتاً لله ﷻ –تعالى عما يقولون علواً كبيراً–(١).

ففي هذه الآية أطلق الله ﷻ لفظ الجِنة على الملائكة، وهذا بالاعتبار اللغوي، إذ إن الجنة في اللغة تُطلق على كل ما غاب واستتر عن الحواس، وعلى هذا الاعتبار، فإن كل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة.

- **القول الثاني: أن إبليس أبو الجن كما أن آدم عليه السلام أبو الإنس، وليس من الملائكة:** واستند هذا الفريق إلى أدلة عدة، منها:

- الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف:٥٠] ففي هذه الآية بيّن الله ﷻ أن سبب عصيان إبليس، أنه كان من الجن، ففسق عن أمر ربه. ويمكن القول بأن الاستثناء في الآية منقطع؛ وقد ورد في اللغة العربية أنه يمكن استثناء شيء من جنس مختلف عن المجموع الموجود فيه من باب التغليب. ودليل ذلك ما ورد في قوله تعالى مخبراً عن قول المشركين: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧١-٧٧] فقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾ فرب العالمين ليس من جنس الأول ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ ولا يقدر أحد أن يعرف من معنى الكلام غير هذا.

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٧٥/٤. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٦١/٣.

- الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] ففيه يبين الله ﷻ اختلاف أصل الخِلقة؛ فالملائكة قد بيّنا أن أصل خَلقهم من نور، وهذه الآية وغيرها مما سبق تبيّن أن الجن أصل خَلقهم من النار.
- الدليل الثالث: أن الله ﷻ أخبرنا أن الملائكة معصومون عن المعصية، وذلك لقوله تعالى: ﴿... لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦] وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، ولكن القرآن بيّن أن ابليس كان من الكافرين، وعصى الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿... إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]
- الدليل الرابع: أن الملائكة لا يتكاثرون، ومنزهون عن الشهوات، وأن قوله تعالى: ﴿...فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي...﴾ [الكهف:٥٠] يثبت أن إبليس يتكاثر وله ذرية.
- الدليل الخامس: ﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾ "كلام مستأنف جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد. فقيل: كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، والفاء للتسبيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله ﷻ؛ لأن الملائكة معصومون البتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، وهذا الكلام المعترض من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم"(١).

- القول الثالث: أن إبليس كان من حي من الملائكة، يقال لهم الجن خُلقوا من نار السموم.
- القول الرابع: إن الجِنّ ضرْبٌ من الملائكة، كانوا خُزَّانَ الأَرض، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض فعصى، فسخط الله ﷻ عليه
- القول الخامس: أن إبليس كان من خزنة الجنة.
- **القول الراجح في المسألة،** هو القول الثاني؛ لدلالة نصوص القرآن بوضوح على اختلافات كثيرة بين الملائكة وإبليس، وعليه أكثر المفسرين(٢).

---

(١) الكشاف: ٦٧٩/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٩٣/٣. النكت والعيون: ٣١٣/٣. مفاتيح الغيب: ١١٧/٢١. التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٧/١. إرشاد العقل السليم: ٢٢٧/٥. روح المعاني: ٢٩٢/٨.

المبحث الثالث
أثر عقيدة الإيمان بالملائكة والجن على الفرد والمجتمع

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر الإيمان بالملائكة والجن على الفرد.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالملائكة والجن على المجتمع.

المبحث الثالث

أثر عقيدة الإيمان بالملائكة والجن على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر الإيمان بالملائكة والجن على الفرد.

إن للإيمان بالملائكة والجن أثر إيجابي عميق على استقامة نفس المؤمن وقلبه وعمله، فوجودهم نعمة من الله ﷻ، والإيمان بهم مصدرٌ للارتقاء بالجانب الروحي، ويقوي صلة العبد بربه، وهو مصدر للاستقرار النفسي والاجتماعي، وهذا يعد من الأسباب الأساسية لبناء علاقات إنسانية، اجتماعية، خالية من الأحقاد والضغينة. والإيمان بهم من الإيمان بالغيب، الذي هو من أوصاف المتقين، حيث قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:٢-٣].

أولاً: أثر الإيمان بالملائكة والجن على علاقة الفرد بالله ﷻ:

إن للإيمان بالملائكة الأثر الإيجابي العميق في تقوية علاقة الإنسان بربه، وهي كالآتي:

١. العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، إذ إن عظمة خِلقة الملائكة والجن، تدل على عظمة الخالقﷻ، ومن عظمته ﷻ أن الملائكة جندٌ له، يعملون بأمره، حيث قال تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[النحل:٥٠][(١)] .

٢. إن الإيمان بالملائكة متممٌ للإيمان بالله ﷻ، ومن لوازمه، حيث قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...**﴾ [البقرة:٢٨٥] ، إذ أنه لا يصح الإيمان بالله ﷻ، إلا بالإيمان بما أخبر به ﷻ في كتابه الكريم.

٣. حبُّ الله ﷻ، فالمسلم عندما يؤمن بالملائكة، وأعمالهم، ويرى كيف أن الله ﷻ وكَّل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب .. إلخ، وكل ذلك من أجل الإنسان وراحته، فتزداد محبة الله ﷻ في قلبه، ويعمل على طاعته. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،**

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ص٩٢. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ص ١١٩. الإيمان بالملائكة: ص١٤٧.

وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ).[١]

٤. التأدب مع الله ﷻ؛ وذلك عند النظر إلى علاقة الملائكة بالله ﷻ، من طاعة مطلقة، وعبادة، وتسبيح غير منقطع، وهذا بدوره يكون دافعاً للمؤمن، إلى أن يشعر بالتقصير، مهما أدى من طاعات وعبادات، مقارنة بحال الملائكة، وهذا بدوره يدفعه إلى استصغار طاعاته مع الزيادة فيها، والخضوع، والتذلل، والخشية، ورجاء قبول العمل؛ ليزداد قرباً من الله ﷻ[٢].

٥. شكر الله تعالى على لطفه، وعنايته بعباده، حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة، من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة[٣].

٦. إن الإيمان بالملائكة له الأثر الكبير على باقي أركان الإيمان، وذلك من خلال الإيمان بمهامهم، ووظائفهم؛ حيث إن الإيمان بالملائكة القائمة على تدبير الكون، ودقة مهامهم، وأن ذلك كله بأمر الله ﷻ، يؤدي إلى الإيمان بربوبيته ﷻ، والتسليم التام لاستحقاقه العبادة الخالصة لوجهه الكريم. والإيمان بجبريل عليه السلام يؤدي إلى الإيمان بالوحي والرسل، ثم إن الإيمان بكتبة أعمال الإنسان، والملائكة التي تسأل العباد في القبر، والملائكة الموكلة بالعباد في الآخرة، سواء خزنة جهنم، أم القائمون على الجنة وأصحابها، يؤدي إلى الإيمان باليوم الآخر.

٧. إن الإيمان بالملائكة يجنبنا عداوة الله ﷻ لنا؛ لأنه من عادى الملائكة وأبغضهم؛ فإن الله عدو له، حيث قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٩٨]، ومن عاداه الله، فإنه لا تقوم له قائمة، ولا يصلح له حال.

(١) سبق تخريجه: ص٤٧.

(٢) انظر: أركان الايمان: ص١٢١، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه: ص٢١٦.

(٣) انظر: أصول العقيدة الإسلامية: ص١٠٢.أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ص ١١٩.

ثانياً: أثر الإيمان بالملائكة على علاقة الفرد بالملائكة:

إن للإيمان بالملائكة أثر واضح جلي، على علاقة الإنسان بالملائكة، وذلك من خلال ما يلي:

١. محبة الملائكة على ما هداهم الله ﷻ إليه، من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل، ونصرتهم للمؤمنين، واستغفارهم، ودعائهم لهم بالرحمة، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] ، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[سورة غافر:٧–٩](١) .

٢. أنْ يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعونَ ولا يضرون، وإنما هم عباد مكرَمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؛ حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦ – ٣٠] فلا يعبدهم، ولا يتوجه إليهم بطلب العون، والحاجة، والشفاعة، ولا يتعلقُ بهم تعلقاً زائداً عن الحد اللائق بهم.

ثالثاً: أثر الإيمان بالملائكة على المؤمن:

إنَّ الله ﷻ لم يطلع الناس على شيء من غيبه، إلا وكان فيه نعمة عظيمة لهم، ومن فضل الله علينا أن عَرَّفَنَا بهذه المخلوقات الكريمة، وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيبِ، الذي يعد أول صفة للمتقين؛ حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٢-٣]. ومن الآثار الإيجابية للإيمان بالملائكة على حياة المؤمنين ما يلي:

---

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ص ١١٩. أركان الإيمان: ص٦٢ –٦٤. شرح ثلاثة الأصول للعثيمين: ص٩٢.

١. اطمئنان المؤمن إلى أنه محاطٌ برعاية الله تعالى له، بهؤلاء الخلق العظام، الذين يرعون شؤونه، ويسيّرون كثيراً من شؤون الكون بإذن الله تعالى، فالمسلمُ مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظًا يحفظه من الجن، والشياطين، ومن كل شرٍّ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله ...﴾ [الرعد:١١]، فإن من يستشعر بوجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له، ويؤمن برقابتهم لأعماله، وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، ليستحيي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه في أمر، ولا يعصيه في العلانية أو في السرِّ، فكيف يعصى الله مَنْ علم أن كل شيء يعمله مكتوبٌ، وسيحاسب عليه، حيث قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩][(١)].

٢. إن الإيمان بالملائكة يدفع الإنسان إلى الاقتداء بهم في الطاعات، والتجرد إلى الله ﷻ والبعد عن المعاصي؛ وذلك لما يعلم من حال الملائكة، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويسبحونه بالليل والنهار، لا يفترون، وبهذا كانوا مقربين إلى الله ﷻ، فبالتشبه بهم ننال القربى إليه ﷻ[(٢)].

٣. الارتقاء بالمؤمن من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان؛ وذلك بتنشيط المخافة من الله ﷻ، ومراقبته الدائمة في كل صغيرة وكبيرة، وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ** ؑ **فَقَالَ: (... مَا الْإِحْسَانُ) قَالَ** ﷺ: **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)** [(٣)]

٤. إغلاقُ باب الخرافة والتخيلاتِ الباطلة، والاعتقاد الزائف في الملائكة والجن، وذلك ببيان الحقِّ في شأنهم، وتوضيح ما يخص البشر، وينفعهم العلم به من أمر الملائكة والجن[(٤)].

٥. أنْ تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشركِ وأدرانه، التي وقع فيها من لا يؤمن بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي، لأنَّ المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله

---

(١) انظر: الإيمان بالملائكة: ص١٤٩.

(٢) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية: ص١٣٣. العقيدة الاسلامية: ص٢٩٥. أركان الإيمان: ١٥٩. الإيمان بالملائكة: ص١٤٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الايمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، ١٩/١، ح٤٧٧٧.

(٤) انظر: العقيدة الاسلامية: ص٢٩٥. أركان الإيمان: ١٥٩. أصول العقيدة الإسلامية: ص١٠٢.

بهذه الأعمال العظيمة، تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهميةٍ، تسهمُ في تسيير أمور الكون.

٦. الصبر والثبات على طريق الإيمان، وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فعندما يصبح المؤمن غريبًا في وطنه، وبين أهله وقومه، حينما يدعوهم إلى الله، ويجد منهم الصدَّ والاستهزاء، يجد الملائكة تؤنسه، وتصحبه وتطمئنه وتشجعه على مواصلة السير في طريق الهدى، لأن جنود الله معه، يعبدون الله كما يعبد المؤمن ربه، ويتجهون إلى خالق السموات والأرض كما يتجه، فيشعر بأنه لا يسير وحده إلى الله دائمًا، بل يسير في موكب إيماني مع الملائكة، ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض، وباقي مخلوقات الله التي تسبح بحمده(١).

٧. الانضباط واتقان العمل وترتيب الأمور، فالله ﷻ القادر على كل شيء، قد نظم شؤون الكون، ووكّل بعض ملائكته بأعمال مخصصة، فأطاعوه وأتقنوا، وكان نتاج ذلك تسيير الكون بنظام محكم منظم، وهذا بدوره ينبه المسؤول إلى التفويض في الأعمال كل لما يصلح له، وهذا مدعاة إلى الإتقان، والإنجاز، وتوفير الوقت، والجهد.

٨. النظام والترتيب؛ وذلك عندما يعلم بحال الملائكة ترتيبهم في سجودهم لله ﷻ ومجيئهم إليه ﷻ حيث قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

٩. الإقدام، والشجاعة، والثبات، أثناء الجهاد في سبيل الله ﷻ، وذلك لأن الله ﷻ وكّل بكل إنسان ملائكة، تحفظه حتى يأتي أمر الله، فيخلونه متى انتهى أجله،حيث قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله ...﴾ [الرعد:١١]، وهذا بدوره يدفعه إلى الدفاع بإقدام وشجاعة في المعارك؛ لأنه يؤمن بأن الله ﷻ يحفظه بملائكته.

١٠. الزهد في الدنيا والإقبال على الله ﷻ، وذلك عند الوقوف على بعض وظائف الملائكة المختصة بالقبر عذابه ونعيمه، والملائكة التي تسوق أهل النار إلى النار، والملائكة الموكلة بالترحيب بأهل الجنان وسوقهم إليها، إلى غير ذلك من مشاهد يوم القيامة.

١١. توسيع مدارك الإنسان إلى ما هو أبعد من المحسوسات والأمور السطحية؛ وذلك من خلال إيمانهم بوجود الملائكة، وهي كائنات لا تدركها الحواس، وهذا يفتح آفاق الإنسان للتأمل في الكون بصورة أدق، وأكثر عمقاً لاكتشاف خفاياه، وعدم السطحية في النظر فيه.

---

(١) انظر: أركان الإيمان: ١٥٩. أصول العقيدة الإسلامية: ص١٠٢. الإيمان بالملائكة: ص١٤٨.

١٢. الإيمان بالملائكة يعكس مكانة الإنسان عند الله ﷻ، وذلك يتبين من أمره ﷻ للملائكة بالسجود لآدمﷺ حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ...﴾ [الكهف:٥٠]، وأنهم سخروا لتدبير أمور حياتنا في هذه الدنيا(١).

١٣. الحرص على حضور حلقات الذكر، وصلاة الجماعة في المسجد، وذلك عندما يعلم بأن الملائكة تتواجد معهم في مجالسهم، حيث ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)**(٢).

١٤. الحرص على الانفاق في سبيل الله، وذلك عندما يعلم المسلم أن الملائكة تدعو للمنفقين في سبيل الله ﷻ حيث ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**(٣).

١٥. الحرص على طلب العلم والاستزادة فيه، وهذا يفتح للإنسان آفاق المستقبل، لما يعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، وأنها تحفه وتنزل السكينة على قلبه، حيث ورد عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ (٤) ، **أَنَّهُ جَاءَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: مَا أَعْمَلَكَ إِلَيَّ إِلَّا ذَلِكَ ؟ قَالَ: مَا أَعْمَلْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِذَلِكَ، قَالَ: (فَأَبْشِرْ فَإِنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، إِلَّا بَسَطَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى بِمَا يَفْعَلُ حَتَّى يَرْجِعَ)**(٥). (٦)

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالملائكة على المجتمع:

إن للإيمان بالملائكة أثر كبير على رقي، وتقدم المجتمع الإسلامي؛ حيث إنه أحد أركان الإيمان؛ والذي يعد مصدر عز هذه الأمة، وتقدمها ما تمسكوا به، فالمجتمع الاسلامي داؤه

(١) انظر: أركان الإيمان: ص٦٢ -٦٤. الإيمان بالملائكة: ص١٤٧-١٥١. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٨١-٨٢. العقيدة الاسلامية: ٢٩٥-١٩٦، أصول العقيدة الاسلامية ومذاهبها: ص٢٠٢.

(٢) سبق تخريجه: ص٣٤.

(٣) سبق تخريجه: ص٤٨.

(٤) صفوان بْن عسال من بني الربض بن زاهر بن عامر بن عوبثان بن مراد. سكن الكوفة، وغزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة. روى عنه: عبد الله بن مسعود، وزر بن حبيش، وعبد الله بن سلمة، وأبو الغريف. أسد الغابة: ٢٨/٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم، ١٠٠/١. قال الحاكم: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، ووافقه الذهبي.

(٦) انظر: شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص١٠٢. مدخل إلى دراسة العقيدة الاسلامية: ص١٤٢.

ضعف الإيمان، ودواؤه العودة إلى الإيمان الصادق، واليقين الذي كان عليه المسلمون الأولون، وإن الإنسانية لن تجد دواءها وهداها إلا في ظل الإيمان[١]. فللإيمان بالملائكة الأثر على المجتمع في نواحٍ كثيرة، وهي كالآتي:

أولاً: تقوية الروابط الاجتماعية:

إن للإيمان بالملائكة أثر إيجابي كبير في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال تقوية روح الأخوة، والمحبة في المجتمع بأكثر من صورة، منها ما يلي:

١- **زرع المحبة في قلوب المسلمين ونزع الأنانية والحقد:** حيث ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ)**[٢]. فهذا يُنَمّي روابط الأخوة، والمحبة؛ بحيث يربي المرء المسلم على حب الخير لغيره، ونزع الأنانية، والضغينة، والحقد، والحسد من قلبه؛ بل يتذكر أخاه المسلم حتى في الدعاء بالخير له فيما يحب ويحتاج لنفسه.

٢- **التكافل الاجتماعي:** حيث ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**[٣]. وعلى هذا فإن الإيمان بدعاء الملائكة له بالبركة عند الإنفاق، والتصدق في سبيل الله ﷻ، يُنَمي في المسلم روابط الأخوة والمحبة، وذلك بتفقد أحوال المسلمين، والإحساس بهم وتسديد حاجاتهم؛ حرصاً منه على أن ينال دعاء المَلَك له بالزيادة والنماء، وتجنباً من أن يدعوا على ماله بالتلف.

وهذا بدوره يجنب المجتمع المسلم كثيراً من الآفات، والأمراض الاجتماعية؛ مثل السرقة، والتسول، والطبقية التي بسببها ينتشر الحقد، والحسد، والاستبداد، واستعباد العباد لبعضهم، والسقوط في وحل الرذيلة، والخيانة للدين، وللوطن بسبب الحاجة عند ضعيفي الإيمان.

ثانياً: الرقي بالمجتمع والتطور العلمي:

إن للإيمان بالملائكة أثر طيب في الرقي بالمجتمعات المسلمة، والتطور العلمي، وهذا نتيجة لإيماننا بما أخبرنا به الله ﷻ من أحوال الملائكة في أكثر من حال، وهي كالآتي: [٤]

(١) انظر: الإيمان خصائصه علاماته ثمراته: ١/١٢٩.
(٢) صحيح مسلم: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ٨/٨٦.
(٣) سبق تخريجه: ص٤٨.
(٤) العقيدة الإسلامية وإثرها على المجتمع: ٧٤-٧٥.

١- الحالة الأولى: أن الملائكة عالم غيبي، روحاني، غير محسوس وهذا يفتح أمام الإنسان النظر، والتأمل في الكون، والبحث عن كل جديد، وعدم الوقوف أمام المدركات الحسية السطحية البسيطة؛ والذي بدوره يدفع المجتمع إلى التطور، والتقدم العلمي.

٢- الحالة الثانية: الاقتداء بالملائكة في عملهم؛ وذلك من خلال التخصصية، والتفرغ لما خصصه الله ﷻ له من عمل مع الإتقان والطاعة، فهذا بدوره يدفع الإنسان إلى التخصص في مجال قدراته وطاقته، والإتقان به، والإبداع، والتقدم، والرقي بالمجتمع الإسلامي.

٣- الحالة الثالثة: الحرص على مجالس العلم والسعي إليها؛ وذلك لعلمه بحضور الملائكة مجالس العلم والدعاء للحاضرين؛ وهذا بدوره ينعكس على المجتمع بالرقي والازدهار.

٤- الحالة الرابعة: الاقتداء بالملائكة في نظامهم وترتيبهم يرتقي بالمجتمع الإسلامي؛ وهذا يزيد في سرعة الإنجاز للعمل، وزيادة الإتقان.

ثالثاً: الحفاظ على قوة المجتمع الإسلامي:

إن للإيمان بالملائكة الأثر الكبير في الحفاظ على المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال ما يلي:

١- التخلص من آفات ضعف المجتمع:

وذلك من خلال الإيمان بالرقابة المتواصلة لكل صغيرة وكبيرة، تصدر من أفراد المجتمع الإسلامي؛ وذلك بتسجيل الملائكة لأعمالهم، وأنهم سيحاسبون عليها، وبهذا يكون المسلم الكيس الفطن حريصاً على عدم تسجيل أي معصية عليه، على أي حالة كان هو، وهذا بدوره يقوي المجتمع الإسلامي من خلال أمرين:

- التخلص من السلوكيات الاجتماعية السلبية التي تضعف المجتمع، مثل: السرقة، والخيانة، والقتل، والزنا، وغيرها من المعاصي.
- التخلص من المعاصي سببٌ في قوة المجتمع الإسلامي، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

٢- الدفاع عن المجتمع بكل إقدام:

وذلك من خلال الإيمان بأن الله ﷻ قد وكّل بكل إنسان ملكٌ يحفظه بأمر الله ﷻ، إلى حين انقضاء أجله، وبهذا يكون آمناً على نفسه، حتى وإن كان في ساحة المعركة، وبذلك لا يبالي بالمخاطر مع أخذه بالأسباب، ويحمي الوطن، والدين بكل إقدام وأمان وثقة.

٣- الرخاء الاقتصادي:

إن للإيمان بالملائكة الأثر الكبير، والواضح في التوبة، وترك المعاصي، وتقوية الجانب الإيماني، وبناء الشخصية المؤمنة التقية، والتي تستحق من الله ما وعدها من سعة في الرزق والبركة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأعراف:٩٦] وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:١٠-١٢]

وهذا بدوره يكون سبباً في الرقي الاقتصادي للمجتمع، وهذا أحد أهم أسباب قوة المجتمع.

الفصل الثاني

عقيدة الإيمان باليوم الآخر وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء سورتي الكهف ويس

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اليوم الآخر وعلامات الساعة الكبرى.

المبحث الثاني: مظاهر يوم القيامة

المبحث الثالث: الجنة والنار.

المبحث الرابع: البعث والرد على منكريه.

المبحث الخامس: أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول

الإيمان باليوم الآخر وعلامات الساعة الكبرى في ضوء سورتي الكهف ويس

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر وأسمائه وحكمه.

المطلب الثاني: علامات الساعة الكبرى.

المبحث الأول

الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر، وأسمائه، وحكمه:

إن الإيمان باليوم الآخر يعني: "التصديق بأن هذه الدنيا منتقضة، والاعتراف بانتقاضها اعتراف بابتدائها؛ لأن القديم لا يفنى ولا يتغير"(١). ويعني أيضاً: "الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت"(٢)، أي بكل وما ورد ذكره في الكتاب والسنة من علامات الساعة الصغرى والكبرى، وعن النفخ في الصور، وعن أهوال يوم القيامة، وكيف تُبدل الأرض غير الأرض للحشر، والعرض، والحساب، والميزان، والصراط إلى غير ذلك مما ورد ذكره في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

أولاً: أسماء اليوم الآخر:-

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من أسماء اليوم الآخر ومنها:

١- الساعة:

حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ...﴾ [الكهف:٢١] والمراد بالساعة: يوم القيامة. وسميت بالساعة إما لقربها، أو لأنها تأتي بغتة، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة، أو لأن فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة(٣).

٢- يوم البعث:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:٥٦]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا

---

(١) انظر: شعب الإيمان: ٤٠٦/١.

(٢) مجموع الفتاوى: /١٤٥.

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية:٧٠/٢.

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ...﴾ [الحج:٥]، وسمي بذلك؛ لأن الله ﷻ يبعث من في القبور، ويعيدهم أحياءً لحسابهم.

٣- اليوم الآخر:

حيث قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]**، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة:١٢٦]، سمي باليوم الآخر لأنه اليوم الذي لا يأتي بعده أيام، فهو آخر أيام الخليقة، فإما إلى شقاء بائس، وإما إلى نعيم دائم.

٤- يوم القيامة:

حيث قال تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [البقرة:٢١٢]، وقال تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [آل عمران:١٨٥]، وسمي بذلك الاسم لأن العباد في ذلك اليوم يقومون من قبورهم، ويبقون قياماً أمام رب العالمين لفصل الحساب بينهم ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [المطففين:٦].

٥- يوم الخروج:

حيث قال تعالى: **﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾** [ق:٤٢]، وسمي بذلك؛ لأن الله ﷻ يخرج عباده من القبور للحساب.

٦- اليوم الموعود:

حيث قال تعالى: **﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾** [البروج:٢]، قال تعالى: **﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾** [سبأ:٣٠]، وسمي بذلك لأنه اليوم الذي كان يَعِد الله ﷻ فيه المؤمنين بلقاء جزاء أعمالهم، ويجني فيه الكافرون والجاحدون لآيات الله ورسله ما عملوا.

٧- يوم التلاق:

حيث قال تعالى: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾** [غافر:١٥]، وسمي بذلك؛ لأن فيه يلقى الناس بعضهم بعضاً بعد أن فرّقهم الموت،

ويلقى كل إنسان عمله الذي قدمه في الدنيا ليحاسب عليه، ويلتقي العابدون والمعبودون، ويلتقي الخصوم والظالم والمظلوم(١).

٨- يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿... لهمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ﴾ [ص:١٦]، وسمي بيوم الحساب لأن الله ﷻ يجمع عباده، ويحاسبهم على ما قدمت أيديهم في الدنيا.

٩- يوم الفصل:

حيث قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:٣٨]، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصَّفات:٢١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدُّخان:٤٠]

وسمي بيوم الفصل؛ لأن الله ﷻ يفصل بين عباده بعد أن جمعهم على أرض واحدة، فيميز صالحهم من فاجرهم، ويفصل أيضاً رب العزة في مظالم العباد، فلا يبقى لأحدٍ مظلمة عند آخر(٢).

١٠- يوم الحسرة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وسمي بيوم الحسرة لما ينتاب قلوب المنافقين والكفار من حسرة، على ما فاتهم من نعيم، وذعر مما ينتظرهم من عذاب(٣).

ثانياً: حكم الإيمان باليوم الآخر:-

يعد الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، وهو من المعلوم في الدين بالضرورة؛ لورود ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلى هذا يكفر منكره، فلا يستقيم إيمان المرء إلا به، ومن الأدلة على ثبوته ما يلي:

---

(١) معالم التنزيل: ٤/١٠٨.
(٢) تيسير الكريم المنان: ص٧٠١.
(٣) معالم التنزيل: ٥/٢٣٣.

١. الأدلة من القرآن الكريم:

أ. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]

ب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:٦٩].

٢. الأدلة من السنة:

ويدل على أن الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، ما ورد في السنة النبوية من حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ قال: **فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ قال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**[١].

ثالثاً: مظاهر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر:

لقد ظهرت أهمية هذه العقيدة، ومكانتها من خلال عناية القرآن الكريم بها، وذلك من خلال ما يلي:

١- قرن القرآن الكريم بين الإيمان بالله ﷻ، والإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع، وذلك يدل على أنه لا يكتمل الإيمان بالله ﷻ، إلا بتمام الإيمان باليوم الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]

٢- إفراد القرآن الكريم سوراً خاصة، للحديث عن يوم القيامة مثل: سورة القيامة، والانشقاق، والانفطار، والتكوير.

٣- تسمية اليوم الآخر بكثير من الأسماء كما تم بيانه سابقاً.

٤- تناول الحديث عن اليوم الآخر من نواحٍ مختلفة، ما بين الحديث عن أحداث يوم القيامة، وأهوالها، وعلاماتها، كما سيتم بيانه فيما يلي، وما بين إثباته بالقسم كما في قوله تعالى:

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، ٢٨/١.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:١] أي أقسم بيوم القيامة.[١] أو بالرد على منكريه ومنكري البعث، وذلك من خلال الأدلة الواقعية في قصص القرآن، أو من خلال الطبيعة وما فيها، أو عن أصل خلق الإنسان وكيفية إعادته، والذي سيتم توضيحه في ضوء سورتي الدراسة.

ومن خلال إثبات القرآن الكريم لليوم الآخر، والرد على منكريه، يتبين وجوب الإيمان به وأن إنكاره كفر، وضلال، وأن الإيمان بالله واليوم الآخر هو مدار قبول الأعمال عند الله ﷻ[٢].

المطلب الثاني: علامات الساعة الكبرى:

إنه من المعلوم من الدين بالضرورة وجوب الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ، والنبي ﷺ وصح به النقل عنه ﷺ فيما شاهدناه أو غاب عنا، ونعلم أنه حق وصدق، سواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه.

ومن ذلك أن نؤمن بعلامات الساعة منها: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها، وسائر علامات يوم القيامة، على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[٣].

الدليل الجامع لعلامات الساعة الكبرى:

لقد وردت علامات الساعة من خلال أدلة كثيرة في السنة النبوية، وقد ذُكرت هذه العلامات في حديث جامع لمعظمها، وهو ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: **اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)**[٤].

وفي رواية أخرى عَنْ أَبِى سَرِيحَةَ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(... وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ)**[٥].

---

(١) معالم التنزيل في تأويل القرآن: ٢٧٦/٨. الجامع لأحكام القرآن: ٩١/١٩.

(٢) انظر: الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه: ص٧٠-٧١.

(٣) انظر: متن العقيدة الطحاوية: ص٣١. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: ص٣١. الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر: ص٧٢.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٨/٨.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٩/٨.

وفيما ورد عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ قَالَ شُعْبَةُ رحمه الله وَأَحْسِبُهُ قَالَ: **(تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا)**. [(١)]

وقد بين القرآن الكريم، والسنة النبوية علامات يوم القيامة الكبرى، وورد في سورتي الكهف ويس منها ما ذكر بشكل صريح وهو يأجوج ومأجوج، ومنها ما ذكر بشكل ضمني وهو خروج الدجال، الذي ورد ذكره في فضل سورة الكهف، وخروج الشمس من مغربها في سورة يس، وبناءً على ذلك سأذكر علامات الساعة الكبرى بالدليل دون توسع، سوى خروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وخروج الشمس من مغربها، سأوضحها بشيء من التفصيل لعلاقتهما بالسور موضوع الدراسة، وهي كما يلي:-

أولاً: خروج المهدي:

المهدي الذي يكون في آخر الزمان، هو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الرافضة[(٢)] وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء، فإن ذاك ما لا حقيقة له، ولا عين، ولا أثر [(٣)].

ويملك المهدي الدنيا وقد روي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران فالمؤمنان: نبي الله سليمان عليه السلام وذو القرنين، والكافران: نمرود وبخت نصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي[(٤)].

و قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى عليه السلام، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي عليه السلام غير عيسى عليه السلام، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٩/٨.

(٢) الرافضة: فرقة ضالة يسمون الشيعة: وهم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية. ويسبون أبا بكر وعمر. الملل والنحل:١٤٦/١، السنة والرد على الجهمية: ١٧٠/٢.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم: ص٢٣.

(٤) علامات يوم القيامة: ص٣.

بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم.

"وقد ورد عن الصحابة بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة"(١).

وقد تحدثت السنة النبوية عن المهدي عليه السلام في أكثر من جانب، كالآتي:

١. نسبه واسمه ومُلكه:

فقد بينت السنة النبوية أن المهدي عليه السلام من أهل بيت النبي ﷺ، ويوافق اسمه اسم النبي ﷺ ، ويملك بلاد العرب حيث ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي)**(٢).

٢. انتشار الخير والرخاء في عهده:

وورد ذلك فيما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **(يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا)**(٣).

٣. علامة ظهوره:

لقد بينت السنة النبوية علامات ظهور المهدي ومن ذلك ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: **يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ(٤) وَلَا دِرْهَمٌ قُلْنَا مِنْ أَيْنَ ذَاكَ قَالَ مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ ثُمَّ قَالَ يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ قُلْنَا مِنْ أَيْنَ ذَاكَ قَالَ مِنْ قِبَلِ الرُّومِ ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ**

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٨٤/٢. انظر: منهاج السنة النبوية: ٩٥/٤. الإشاعة لأشراط الساعة: ص٨٩.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الفتن، وباب ما جاء في المهدي، ٥٠٥/٤، ح٢٢٣٠. قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن الترمذي:٤٨٨/٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص: كتاب الفتن والملاحم، ٥٥٨/٤. قال الحاكم: " حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ"، وقال الذهبي: "حديث صحيح".

(٤) القفيز: مكيال يتواضع الناس عليه. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٠/٤.

حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا) قَالَ: **قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَا: لَا**[١].

ومعنى: (يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ) و(يُوشِكُ أَهْلُ الْشام أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ): "منعها الجزية والخراج لغلبة العجم والروم على البلاد"[٢]. "وفيه التحذير من ظلمهم وأنه متى وقع ذلك، نقضوا العهد فلم يَجتبَ المسلمون منهم شيئا فتضيق أحوالهم"[٣].

ثانياً: الخسوف الثلاثة:

وثبت ذلك فيما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: **اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ ... وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ...)** [٤].

لا تقوم الساعة حتى تحدث هذه الخسوف الثلاثة، وقد وجد خسوف في بعض المواضع؛ ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرا[٥].

ثالثاً: نزول عيسى عليه السلام:

إن من علامات الساعة الكبرى أن ينزل سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونزوله ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب، ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ [النساء:١٥٩] أي سيؤمن من أهل الكتاب في آخر الزمان بعيسى عليه السلام قبل موته، وذلك عند نزوله من السماء؛ حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً[٦].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ١٨٤/٨.
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: ٢٢٨/٨.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، ٢٨٠/٦.
(٤) سبق تخريجه: ص٨٢.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، ٨٤/١٣.
(٦) انظر: أصول الدين: للغزنوي، ص٢٠٧. الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: ص٢٣٨. لوامع الأنوار البهية: ٩٤/٢.

وإذا نزل عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان، فإنما ينزل على شريعة نبينا محمد ﷺ، ويدعو الناس إلى شريعته، ويكون واحداً من الدعاة إلى الاسلام، ويقتل الدجال ، ويصلي خلف إمام المسلمين ويموت ويدفنه المسلمون(1). وقد ورد هذا كله وصفاته في سنة النبي ﷺ كما يلي:

١- صفات عيسى عليه السلام:

لقد بينت السنة النبوية صفات عيسى عليه السلام وذلك فيما ورد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام...**)(2). فالحديث يحمل العديد من الصفات منها:

- أنه عليه السلام (رَجُلٌ آدَمُ): أي سواد البشرة المائل للحمرة(3).
- (سَبِطُ الشَّعْرِ): المسترسل ليس فيه تكسر(4).
- (يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً): يقطر ويسيل أو ينصب منه ماء(5). (بَيْنَ رَجُلَيْنِ): أي متوسط الطول ويؤيد هذا ما ورد في رواية أخرى أنه (رَجُلٌ مَرْبُوعٌ)(6): أي بين الطويل والقصير(7).

٢- ما يقوم به عيسى عليه السلام عند نزوله:

- الدعوة إلى الإسلام، وإلغاء الشرائع الأخرى، وإثبات أن دين الله واحد، وإن اختلفت الشرائع، وذلك بكسر الصليب، وقتل الخنزير، وإلغاء الجزية، ومعنى ذلك أنه لا يقبل إلا الإسلام، والذي يدل عليه هو عدم قبول الجزية وقتل الخنزير.
- يهلك على يديه الدجال، وأتباعه من اليهود، والكفار، والمنافقين.
- انتشار الأمن، ورغد العيش في زمانه وكثرة المال.
- بدعائه يهلك الله قوم يأجوج ومأجوج.

---

(١) انظر: شرح السنة: للبربهاري، ص٧٥.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسح الدجال، ١/١٠٨.
(٣) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: ص٣٦٢.
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ٢/٢٢٧.
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ٢/٢٣٧.
(٦) المستدرك على الصحيحين: كتاب التاريخ، باب هبوط عيسى عليه السلام وقتل الدجال وإشاعة الإسلام، ٢/٥٩٥. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد".
(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١١/٤٥٥.

- ثم يتوفاه الله ﷻ، ويصلي عليه المسلمون، وذلك فيه رد على اليهود الذين زعموا قتله وصلبه.

وهذا كله توضحه الأحاديث الآتية:

ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﵇ نَازِلٌ، ... فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ حَتَّى تَرْعَى الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ مَعَ الْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)**(١).

وما ورد أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)**(٢).

وما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (... يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﵇ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟. فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﵇ ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالَ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ "، قَالَ: " فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ(٣) كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ، فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ) (٤).

رابعاً: خروج الدجال:

والإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة(٥). وقد ثبت في السنة النبوية، أن خروج الدجال من علامات الساعة الكبرى، وبينَت أنه موجود، وذلك ثابت في

---

(١) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص: كتاب التاريخ، باب هبوط عيسى ﵇ وقتل الدجال وإشاعة الإسلام، ٥٩٥/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، ١٣٦/٣،ح٢٤٧٥.

(٣) ينماث: من ماث يَميث مَيْثاً. إذا ذاب المِلْحُ والطِّينُ في الماء. العين: الفراهيدي، ٢٥٠/٨.

(٤) مسند الإمام أحمد: مسند جابر بن عبد الله ﷺ،٢١٢/٢٣، ح١٤٩٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

(٥) علامات يوم القيامة: ص٦١.

قصة حديث الجساسة، وهذا حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله ﷻ به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى[1].

وذلك لما ورد عن فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ ﷺ أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بعد صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: **(لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ[2] وَجُذَامَ[3] فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا[4] إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ [5] كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ. فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟. قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ قُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ[6] فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[7]؟. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟. قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ؟. قَالَ:**

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٥٨/١٨.

(٢) لخم: فبفتح اللام وسكون المعجمة : قبيلة كبيرة شهيرة ينسبون إلى لخم، واسمه مالك بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، ٧٤/٨.

(٣) جذام فبضم الجيم بعدها معجمة خفيفة قبيلة كبيرة شهيرة أيضاً بين تبوك والبحر، ينسبون إلى عمرو بن عدي، وهم إخوة لخم على المشهور، وقيل هم من ولد أسد بن خزيمة. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، ٧٤/٨.

(٤) أرفأوا إلى جزيرة: أرفأت السفينة إذا قربتها من الشط، النهاية في غريب الأثر والحديث٢٤١/٢.

(٥) دابة أهلب: ما غلظ من شعر الذنب، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٦٨/٥.

(٦) اغتلم: اهاج واضطربت امواجه والاغتلام مجاوزة الحد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٨٢/٣.

(٧) بيسان: فتح موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام قريبة من الأردن، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: ٥٣٠/٦.

أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ(١). قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟. قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ(٢). قَالُوا :عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟. وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟. قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟. قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟. فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ(٣) مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ(٤) فِي الْمِنْبَرِ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ) فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. (فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)(٥).

---

(١) بحيرة طبرية: بالإضافة، وبحيرة تصغير بحرة، وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال وطبرية بفتحتين اسم موضع. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٧٢٧/٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٤٦٣/٨.

(٢) عين زغر: بلد في الجانب القبلي من الشام قليلة النبات. عون المعبود شرح سنن أبي داود:٤٧٢/١١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:٥٣٠/٦.

(٣) نقب: وهو الطريق بين الجبلين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٠١/٥.

(٤) بمخصرته: بكسر الميم وفتح الصاد أي بعصاه في المنبر. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٤٧٥/٨.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ٢٠٣/٨.

١- صفات الدجال: -

أ- جعد الشعر:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ ﷺ : **(إِنَّ رَأْسَ الدَّجَّالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ[١]. وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: أَنْتَ رَبِّي افْتُتِنَ، وَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ رَبِّيَ اللَّهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَلَا يَضُرَّهُ - أَوْ قَالَ: فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ)**[٢].

ب- أعور:

ويوضح هذا المعنى ما ورد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ ﷻ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: **(إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ - الدجال - قَوْمَهُ وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ)**[٣].

ففي هذا الحديث بين النبي ﷺ أن الدجال أعور؛ وهي صفة نقص وعجز لا يصح أن يتصف بها من يدعي لنفسه الربوبية، فكان أولى به أن يتصف بصفات الكمال؛ فهذا دليل على كذب ادعائه.

وما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ، ... ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ)** [٤].

---

(١) معنى أنه حُبُك حُبُك: أي شعر رأسه متكسر من الجعود. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣٢/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٥٠٨/٤. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح غاية رجاله ثقات رجال الشيخين". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ٧٢٧/٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى ...﴾ [الأعراف:٥٩]، ١٣٤/٤، ح٧١٢٧.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسح الدجال، ١٠٨/١.

ج- الدجال عقيم ولا يدخل المدينة ولا مكة:

وهذا ورد ذكره فيما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ [(١)] إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنْ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ) قَالَ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ) قُلْتُ: بَلَى قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فَلَبَسَنِي[(٢)])[(٣)].**

وما ورد عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ [(٤)] فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ)[(٥)].**

٢- أحوال تسبق خروج الدجال:

أ- بعثة النبي ﷺ وغلبته على العرب:

ويبين ذلك ما ورد من سؤال الدجال في حديث الجساسة: **(... قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟. فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ: لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ)[(٦)].**

---

(١) عَبْدُ الله بنُ صَيَّاد. أورده ابن شاهين وقال: هو ابن صَائِد ، كان أبوه من اليهود، لا يدرى ممن هو؟ وهو الذي يقول بعض الناس: إنه الدَّجَّال. وُلِد على عهد رسول الله ﷺ أعورَ مَختوناً، من ولده : عُمَارة بن عبد الله بن صيَّاد ﷺ، من خيار المسلمين. أسد الغابة: ١٧٨/٣.

(٢) فلبسني: أي جعلني ألتبس في أمره، النهاية في غريب الحديث:٢٢٦/٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ١٩٠/٨.

(٤) السبخة: مكان قريب من الدينة، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٢٤/٤.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ٢٠٦/٨.

(٦) سبق تخريجه: ص٨٩

ب- يخرج في خفقة من الدين[1] والعلم:

لقد بينت السنة النبوية أن الدجال يخرج في حال ضعف الأمة الإسلامية، وضعف الدين، والزهد في العلم وتركه، وذلك فيما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ...)**[2].

ج- بين يدي خروجه ثلاث سنوات شداد:

ويوضح ذلك ما ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ ﷺ فقَالَ (... **إِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ الله ﷻ السَّمَاءَ السَّنَةَ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتُحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتُحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتُحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلاَ تَقْطُرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتُحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلاَ تُنْبِتُ خَضْرَاءَ فَلاَ يَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ[3] إِلاَّ هَلَكَتْ إِلاَّ مَا شَاءَ الله) قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ في ذَلِكَ الزَّمَانِ؟. قَالَ ﷺ: (التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ، وَيَجْزِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْزَأَةَ الطَّعَامِ)**[4].

د- السنين الخداعة:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الْفُوَيْسِقُ[5] يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)**[6].

---

(١) خفقة من الدين: أي في حال ضعف من الدين وقلة أهله. النهاية في غريب الحديث، ٢/ ٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد: مسند جابر بن عبد الله، ٢٣١/١٦، ح ١٤٩٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

(٣) ذات ظلف: الظلف ظفر كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها. لسان العرب: ٢٧٥١/٤.

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ٥٣٠/٥، ح ٤٠٧٧. قال الألباني: "حديث صحيح" صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١٣٠٢/٢، ح ١٣٨٣٣.

(٥) الفسق العصيان والترك لأمر الله ﷻ والخروج عن طريق الحق، وأَصل الفِسْقِ الخروج عن الاستقامة والجور، وفويسق: هو تصغير للتحقير مبالغة في الذم. لسان العرب: ٣٤١٤/٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر،٤١/٤.

(٦) مسند الإمام أحمد: مسند أنس بن مالك ﷺ، ٢٥/٢١، ح ١٣٢٩٨. قال شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن". وقال الألباني: " الحديث بمجموع الطرق حسن، و له شاهد يزداد به قوة". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ٥٠٩/٤.

هـ- عدم إثمار نخل بيسان:

وذلك فيما ورد في حديث الجساسة من سؤال الدجال فقال: (... **فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ. قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ...**)[1].

و- جفاف بحيرة طبرية وعين زغر:

وذلك فيما ورد في حديث الجساسة من سؤال الدجال فَقَالَ: (... **فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ. قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ). قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ. قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ. قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا...**) [2].

ز- حرب الروم:

إن من العلامات التي تسبق خروج الدجال، وتدل على قرب خروجه حرب الروم، والتي تنتهي بانتصار المسلمين، فلا يفرح المسلمون يومئذ بالغنائم، ولا يقسم الميراث لكثرة القتلى، فبينما الأمر كذلك يخرج الدجال، وهذا تبينه الأحاديث الصحيحة، ومنها ما ورد عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رضي الله عنه[3] قَالَ: **هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[4] إِلَّا يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه جَاءَتْ السَّاعَةُ قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟. قَالَ: نَعَمْ. وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ**

---

(١) سبق تخريجه: ص٨٨.

(٢) سبق تخريجه: ص٨٨.

(٣) يسير بن جابر، هو يسير بن عمرو بن جابر، أبو الخيار العبدي البصري. توفي رسول الله ﷺ وله عشر سنين، فيقال: إنه رآه. وقد روى عن النبي ﷺ والظاهر أن ذلك مرسل. وروى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وسهل بن حنيف رضي الله عنه. روى عنه: زرارة بن أوفى، ومحمد بن سيرين، وأبو نضرة العبدي، وأبو عمران الجوني، وأبو إسحاق الشيباني وغيرهم رضي الله عنه . تاريخ الإسلام: ١٠١٨/٢.

(٤) هِجِّيري: بكسر الهاء والجيم مشددة معناه عادته ودابه، أيضا كثرة القول والكلام بالشيء، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢٦٥/٢.

يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ[1] عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ)[2].

٣- سبب خروج الدجال:

بعد الوقوف على ما ورد في السنة عن سبب خروجه، يتبين أنه يخرج من غضبة يغضبها، ويبين ذلك ما ورد عَنْ نَافِعٍ ﷺ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا)** [3].

٤- مكان خروجه وأتباع الدجال:

اختلفت الروايات في السنة النبوية في مكان خروجه، ما بين خراسان وأصبهان، ولكن أتباع الدجال هم اليهود، وكل كافر، ومنافق، وقوم وجوههم كالمجان المطرقة[4]، والأحاديث هي كما يلي:

---

(١) الدبرة: أي الهزيمة. النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/٩٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ٨/١٩٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ٨/١٩٤.

(٤) والمجان جمع المجن وهو الترس، والمطرقة التي يعلوها طراق وهو الجلد الذي يغشاه. وشبه وجوههم في عرضها ونتو وجناتها بالترسة قد البست الأطرقة. معالم السنن: ٤/٣٤٥.

أ- أحاديث تبين مكان خروجه:

ما ورد عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ)** (١).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: **(قَالَ يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا...)**(٢).

وورد في حديث الجساسة السابق ذكره عدم جزم النبي في مكان خروجه ،ولكن حدد أنه من قبل المشرق قال النبيﷺ: (...**أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا** (٣) **هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ**)(٤).

وعلى هذا فإن الجمع بين الروايات: بأن مكان خروجه من قبل المشرق وكل من خراسان وأصبهان هم في ذلك الاتجاه، وأنه لم يوحى إلى النبي ﷺ بتحديد المكان.

ب- أحاديث تبين أتباعه:

ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (...**يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ،... قَالَ: فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ**(٥)**- الدجال - كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ، فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ**)(٦).

---

(١) سنن ابن ماجة: باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ، ٥٢٥/٥، ح ٤٠٧٢. قال الألباني: صحيح. سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٢٢/٤، ح ١٥٩١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ٢٠٧/٨.

(٣) ما زائدة في الكلام صلة ليس نافية، والمراد إثبات أنه من جهة المشرق. المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ٨٢/١٨.

(٤) صحيح مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ٢٠٣/٨.

(٥) ينماث: من ماث يَميثَ مَيْثاً. إذا ذاب المِلْحُ والطِّينُ في الماء. العين: الفراهيدي، ٢٥٠/٨.

(٦) مسند الإمام أحمد: مسند جابر بن عبد الله، ٢١٢/٢٣،ح ١٤٩٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

وما ورد عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ** (١) **فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**)(٢).

٥- الأماكن التي لا يدخلها:

لقد بينت السنة النبوية الأماكن التي لا يدخلها الدجال هي المدينة المنورة، ومكة المكرمة، والمسجد الأقصى، والطور، ويبين ذلك ما ورد عن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَّالِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: (... **يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ**...)(٣).

وما ورد عن جُنَادَةَ بن أبي أُمَيَّةَ ﷺ فَقَامَ فقال: أَتَيْنَا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ من أَصْحَابِ رسول اللَّهِ ﷺ فَدَخَلْنَا عليه فَقُلْنَا حَدِّثْنَا ما سَمِعْتَ من رسول اللَّهِ ﷺ وَلاَ تُحَدِّثْنَا ما سَمِعْتَ مِنَ الناس فَشَدَّدْنَا عليه فقال: قام رسول اللَّهِ ﷺ فِينَا فقال: (... **يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ لاَ يأتي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ الْكَعْبَةَ وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ والْمَسْجِدَ الأَقْصَى وَالطُّورَ**)(٤).

١٠- مدة مكثه وسرعته:

يبين مدة مكث الدجال في الأرض وسرعته، ما ورد عن النَّوَّاس بْن سَمْعَان الْكِلَابِيّ ﷺ أنه يَقُولُ: **ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ... قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا لُبْثُهُ – الدجال – فِي الْأَرْضِ قَالَ: (أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ) قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَلِكَ الَّذِي كَسَنَةٍ يَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ ﷺ: (لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: (كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ)**(٥).

---

(١) السبخة: موضع قريب من المدينة، والأرض السبخة الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. مشكاة المصابيح: ٥٤٠/٩.

(٢) صحيح مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ٢٠٦/٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، ١٩٩/٨.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ٣٨ /١٨٠، ح ٢٣٠٩٠. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨. المستدرك على الصحيحين: كتاب الفتن والملاحم، ٤٩٢/٤. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

١١- **الفتن التي يأتي بها لإثبات ادعائه الربوبية:-**

أ- **معه جبال من خبز، ولحم، وجنة، ونار، وإمطار السماء:**

ويوضح ذلك ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(... مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ. وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ، نَهَرٌ يَقُولُ الْجَنَّةُ، وَنَهَرٌ يَقُولُ النَّارُ، فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ، فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ، فَهُوَ الْجَنَّةُ، قَالَ: وَيَبْعَثُ اللهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ)**(١).

وما ورد عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ **قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ قَالَ: وَمَا سُؤَالُكَ؟. قَالَ: قُلْتُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ وَنَهَرٌ مِنْ مَاءٍ قَالَ ﷺ: (هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ ذَلِكَ)**(٢).

وما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ)**(٣).

ب- **إحياء الموتى:**

ويبين ذلك ما ورد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَّالِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: **(فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فَيَقُولُ لَهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ الدَّجَّالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ فَيَقُولُونَ لَا قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ)**(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند جابر بن عبد الله، ٢١٢/٢٣، ح ١٤٩٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. قال الألباني: إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٠٤٦/٦.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله ﷻ، ٢٠٠/٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٦/٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، ١٩٩/٨.

ج- سعة العيش لأتباعه والجفاف لمخالفيه واتباع كنوز الأرض له:

وقد جاء ذلك فيما ورد عن النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ الْكِلَابِيّ ﷺ يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(...فَيَأْتِى عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ[١] أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[٢]، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا[٣]، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ[٤]، ثُمَّ يَأْتِى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[٥] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَىْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِى كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ[٦]...)**[٧].

٨- ما يقي من فتنة الدجال:

أ- معرفة صفاته:

إن الله ﷻ قد أعطى الدجال من الصفات ما لا يمكن أن تخفى على عاقل أنها تنافي ادعائه الربوبية، والتي تدلل على عجزه عن أن يغير في ذاته أي عيب ظاهر، فمن باب أولى أن يكون عاجزاً عن أن يكون له سلطان على غيره، وقد بين النبي ﷺ صفاته للصحابة ﷺ؛ كي يقي أمته من الوقوع في فتنه، وهو كونه أعور، وأنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤها كل مؤمن قارئ وغير قارئ، وأن الله ﷻ لا يُرى في الدنيا [٨].

ب- الاستعاذة بالله من فتنته في الصلاة:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)** [٩].

---

(١) السارحة: هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج: ٦٦/١٨.

(٢) ذراً: أسنمة، المرجع السابق

(٣) أسبعها ضروعا: ضرع الشاة والناقة: مَدَرُ لبنها، أسبعها ضروعا: أي أطوله لكثرة اللبن. لسان العرب: ٢٥٨٠/٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٦/١٨.

(٤) أمده خواصر: لكثرة امتلائها من الشبع. المرجع السابق.

(٥) ممحلين: أي أصابهم المحل وهو القحط. فتح الباري: لابن حجر، ١٨٦/١.

(٦) يعاسيب النحل: ذكور النحل، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٦/١٨.

(٧) صحيح سلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨.

(٨) انظر: ص٧٩-٨٠.

(٩) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ٩٣/٢.

ج- حفظ عشر آيات من أول أو آخر سورة الكهف:

ويوضح ذلك ما ورد عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ)**، وفي رواية عن شُعْبَةَ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ[(١)].

د- قراءة فواتح سورة الكهف عند إدراكه:

إن مما يقي من فتنة الدجال قراءة فواتح سورة الكهف عليه، ويبين ذلك ما ورد عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ ﷺ قال: **ذَكَرَ رسول اللَّـهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فِينَا فقال: ما شَأْنُكُمْ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّـهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ فقال ﷺ: (غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إن يَخْرُجْ وأنا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي على كل مُسْلِمٍ ... فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ...)**[(٢)].

هـ- الفرار منه وعدم لقائه، واللجوء للأماكن التي لا يدخلها:

ثبت في السنة النبوية أن الدجال لا يدخل كلاً من مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وجبل الطور، ومن هنا الفرار من الفتنة يجوز للمسلمين، وذلك باللجوء إلى تلك الأماكن، كما وأنه يجب على المؤمنين عدم لقائه والفرار منه إلى الجبال؛ وذلك حفاظاً على دينه؛ لأن ما يأتي به من الفتن لا يُؤمَن النجاة منها، ويبين ذلك ما ورد عَنْ أُمّ شَرِيكٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ: **(يَقُولُ لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ هُمْ قَلِيلٌ)**[(٣)].

وما ورد عَنْ عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ)**[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه: ص٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب بقية من أحاديث الدجال، ٢٠٧/٨.

(٤) سنن أبو داوود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ١٩٧/٤، ح. قال الألباني: "حديث صحيح". صحيح الجامع الصغير وزيادته:١٠٨٠/٢، ح٢١١٩.

و- مخالفة أوامره:

إن النبي ﷺ بين لنا كيفية النجاة من فتنته في حين لقيناه، وذلك بمخالفة أوامره، فقد ورد ذلك فيما قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحُذَيْفَةَ ﷺ أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (**إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ**)[1].

ز- تكذيبه والتوكل على الله ﷻ:

ومن سبل النجاة من فتنه تكذيبه فيما يدعي، ويبين ذلك ما ورد عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**إِنَّ رَأْسَ الدَّجَّالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ، وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَمَنْ قَالَ: أَنْتَ رَبِّي افْتُتِنَ، وَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ رَبِّيَ اللَّهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَلَا يَضُرَّهُ - أَوْ قَالَ: فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ**) [2].

٩- قتل عيسى ﷺ للدجال وأتباعه من اليهود:

إن الله ﷻ يُنْزِلُ عيسى ﷺ في آخر الزمان، ويُقتلُ على يديه المسيح الدجال، ويبين ذلك ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**...يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ فَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ، قَالَ: فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ[3]- الدجال- كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ، فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ**)[4].

١٠- علاقة سورة الكهف بالوقاية من فتنة الدجال:

بعد الوقوف على فضل سورة الكهف فيما سبق، تبيَّن أن قراءة آيات من سورة الكهف تقي من فتنة الدجال، فما علاقة سورة الكهف بفتنة الدجال؟.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل،١٦٩/٤، ح ٣٤٥٠.

(٢) سبق تخريجه: ص٩٠.

(٣) ينماث: من ماث يميث، بمعنى يذوب، إذا ذاب المِلْحُ والطِّينُ في الماء. العين: الفراهيدي، ٢٥٠/٨.

(٤) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، ٢١٢/٢٣، ح ١٤٩٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بالوقوف على الموضوعات التي تناولتها سورة الكهف، وتحليل محتواها، يتبين أن القصص الأربع في سورة الكهف، قد اشتملت أسباب الفتن الأساسية في الحياة الدنيا؛ فتنة السلطان، والمال، والعلم، والأسباب.

ولهذا كانت قراءة سورة الكهف نورًا كاشفًا، وعلاجًا ناجحاً للفتن جميعها، فإنَّ قِيَم هذه الأشياء إذا أُدركت في ضوء الإيمان بالله واليوم الآخر، علم المؤمن أنها قيمٌ واهيةٌ، ما لم ترتبط بالإيمان بالله ﷻ، ورجاء مثوبته يوم القيامة، فكانت القصص في سورة الكهف تمثل القيم الحقيقية، عقيدةً وسلوكًا، وعصمة من أنواع الفتن والدجل كلها، وعلى رأسها فتنة المسيح الدجال، وقد ورد عن عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ)**[1]؛ فهي تحمل أشد أنواع الفتن، التي يُبتلى فيها العبد في الدنيا، فيأتي بها الدجال في آخر الزمان؛ فالسورة في قصصها تعرض كيفية التعامل معها، وعلاجها[2]، وذلك بالتعقيب على كل قصة تمثل فتنة بكيفية النجاة منها، فباتباع طرق النجاة من فتن الدنيا يكون النجاة من فتن الدجال.

خامساً: يأجوج ومأجوج:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية من الأدلة على وجود قبائل يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم، وإفسادهم في الأرض من علامات الساعة الكبرى، ومن الأدلة على ذلك الآتي:

١. الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان:

أ- الأدلة من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** ﴾ [الكهف:٩٤] وبعد بناء ذي القرنين السد، بيَّن الله ﷻ في القرآن الكريم أن هذا السد سوف يهدم، وذلك علامة لقرب يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا** ﴾ [الكهف:٩٨-٩٩]
- قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ٢٠٧/٨.

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص١٨٩-١٩٠.

قال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي اقترب مجيء يوم القيامة، وشارف أن يأتي[1].

ب- الأدلة من السنة:

- ويثبت ذلك ما ورد في السنة النبوية عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ[2])**[3].
- وما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: **اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ) قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ ...وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ...)** [4].

٢- أصل يأجوج ومأجوج:

اختلفت آراء العلماء في أصل يأجوج ومأجوج، على أقوال عدة، وهي كالآتي:-

أ. أنهم من ولد يافث ولد نوح عليه السلام.

ب. يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم.

ج- الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت فضرب ذو القرنين السد، فبقيت خارجة، فجميع الترك منهم.

وقد رجح القول الأول كل من ابن حجر العسقلاني[5] والقرطبي[6].

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٠٥/٥. الكشاف: ٦١٦/٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٢١/٢. التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٧٥/١.

(٢) الخبث: الفسق والفجور. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦/٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وأشراط الساعة، ١٦٥/٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فى الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٨/٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، ١٠٦/١٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٥٦/١١.

وهذه الآراء مردودة للأسباب الآتية:-

القول الأول: دليله حديث ضعيف[١].

أما الأقوال الأخرى – الثاني والثالث – فلم يثبت أيضاً لها سند يحتج به.

ومما تبين بعد الدراسة لموضوع أصل يأجوج ومأجوج، وصفاتهم، ومدة حياتهم، أنه لم يثبت رواية من السنة النبوية مما يمكن الاستئناس بها، وكل ما ورد في ذلك لم يتجاوز الأحاديث الضعيفة، والواهية، أو الإسرائيليات، وبما أن يأجوج ومأجوج من الغيب المستقبلي، فالمؤمن مأمور بالإيمان والتسليم، فلا يجوز الخوض فيها إلا في حدود النص الشرعي.

٣- مظاهر فسادهم وكفرهم:

لقد بينت الآيات أن يأجوج ومأجوج كانوا يفسدون في الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ...**مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ** ...﴾ [الكهف:٩٤] قال المفسرون: أي كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً، وأذىً شديداً، والتخريب بسائر وجوه الإفساد المعلوم[٢].

وقد بينت السنة النبوية إفسادهم في الأرض في آخر الزمان في الحديث الصحيح الطويل الذي يتحدث عن فتن آخر الزمان، وذلك فيما ورد عَنْ النواس بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيّ ﵁، يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**... وَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى** ﵇ **وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ...**)[٣].

وما ورد عن النَّوَّاس بْن سَمْعَان الْكِلَابِيّ ﵁، يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**... أخرج الله ﷻ أَهْلَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ... فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا قَدْ كَانَ هَا هُنَا أَثَرُ مَاءٍ، فَيَجِيءُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَاءَهُ، حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ فِلَسْطِينَ، يُقَالُ لَهَا: لُدٌّ، فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا**

---

(١) ما ورد عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (وَلَد نوح ثلاثة: حام وسام ويافث، فولد سام: العرب والروم وفارس والخير فيهم. وولد يافث: يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم. وولد حام: القبط والبربر والسودان) الأنساب: ٢٠/١. قد حكم عليه الألباني بأنه لا يصح هذا الحديث عن أبي هريرة ﵁ من سائر طرقه، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٦٠/٨. وقال ابن حجر: في سنده ضعف، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠٧/١٣.

(٢) الكشاف: ٦١٤/٣. روح المعاني: ٣٩/١٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨.

عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَتَعَالَوْا نُقَاتِلُ مَنْ فِي السَّمَاءِ...)[١]. فمن مظاهر إفسادهم في الأرض في آخر الزمان القضاء على خيرات الأرض، وتركها جرداء، وذلك يكون بقضائهم على الماء، ويوضح ذلك قوله ﷺ: **(فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ)**. **(وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى** عليه السلام **وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ)**.

ومن مظاهر كفرهم وتجبرهم؛ تطاولهم على الله ﷻ، بادعائهم أنهم قادرون على قتل الله ﷻ -تعالى الله ﷻ عما يقولون علواً كبيراً- ويوضح ذلك قوله ﷺ: **(فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَتَعَالَوْا نُقَاتِلُ مَنْ فِي السَّمَاءِ)**.

٤- مكان وطريقة هلاكهم:

أما عن طريقة هلاكهم فيبين ذلك ما ورد من قوله ﷺ: **(...فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى** عليه السلام **وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ** ﷻ **عَلَيْهِمْ النَّغَفَ** [٢] **فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى** عليه السلام **وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى** عليه السلام **وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ** ﷻ **فَيُرْسِلُ اللَّهُ** ﷻ **طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ...)**[٣].

ما ورد عَنْ النواس بْن سَمْعَان الْكِلَابِيّ رضي الله عنه، يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(... أَخْرَجَ اللَّهُ أَهْلَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ... حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ فِلَسْطِينَ، يُقَالُ لَهَا: لُدٌّ، فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَتَعَالَوْا نُقَاتِلُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَدْعُو اللَّهَ نَبِيَّهُ** ﷺ **عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُرْحَةً فِي حُلُوقِهِمْ، فَلَا يَبْقَى عَلَيْهِمْ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَتَقْذِفُهُمْ فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ)**[٤].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب الفتن والملاحم، ٤/٤٩٢. قال الحاكم: "هذا حديث على شرط الصحيحين ولم يخرجاه".

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم- فيتسبب بتقرُّحات في حلوقهم فيموتون على أثرها، النهاية في غريب الأثر والحديث: ٥/٦٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الدجال وصفته وما معه، ٨/١٩٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب الفتن والملاحم، ٤/٤٩٢. قال الحاكم: "هذا حديث على شرط الصحيحين ولم يخرجاه".

فنصُّ الحديثين يدل على أن هلاك يأجوج ومأجوج يكون في باب لد، مدينة من مدائن فلسطين؛ بدعاء عيسى عليه السلام عليهم، لِمَا يرى من إفسادهم، فيموتون بالنغف، ثم يرسل الله ﷻ ريحاً تقذفهم في البحر.

سادساً: خروج الشمس من مغربها:

يعد خروج الشمس من مغربها من أبرز علامات الساعة الكبرى، وقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية ما يثبتها، وذلك فيما يلي:

١-الأدلة من القرآن:

أ- قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾ [يس:٣٨] والتي تحمل الدلالة على قدرة الله ﷻ في جريان الشمس دون توقف، في نظام محكم إلى قيام الساعة، حتى يأذن الله ﷻ لانحلال نظام الكون تمهيداً ليوم القيامة، ومن تلك النظم التي تنحل مسار الشمس، فبدلاً من شروقها من الشرق، فتطلع من الغرب، وقد ورد لتفسير كلمة لمستقرها معانٍ عدة، منها:

- " إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة.
- وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها، الذي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها، وهو أنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها.
- وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء
- مستقرها تحت العرش".(١)

والمعنى الصواب لكلمة (مستقرها) هو أن مستقرها تحت العرش، ويدل عليه السنة الشريفة حيث ورد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: (**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْس). قَالُوا: اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ أَعْلَمُ. قَالَ** ﷺ: (**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِى لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِى طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: **أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟، ذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ**

(١) انظر: بحر العلوم: ١١٧/٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٢٨/٨. لباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/٤-٨.

تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)[١]. فهذا الحديث الذي يوضح مستقر الشمس يدل دلالة ضمنية على أن طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى.

ب- قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٨]

إن ما عليه أكثر المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿ **يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** ﴾ أن الآية: طلوع الشمس من مغربها[٢]. وهو من علامات الساعة الكبرى.

٢- الأدلة من السنة:

ومما يثبت هذه العلامة من السنة النبوية ما يلي:

أ. ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: **اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ ...وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ..)** [٣].

ب- وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ).**[٤]

سابعاً: خروج الدابة:

إن من علامات الساعة الكبرى التي أثبتها الكتاب والسنة، هي خروج الدابة، التي تَكْلِم الناس قبل يوم القيامة، ويبين ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾ [النمل:٨٢].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان، ٩٦/١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢٥٤/١٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٢٠٧/٣.

(٣) سبق تخريجه: ص٧١.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ٩٥/١.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: "أي إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله ﷻ في ذلك وهو قضاؤه، والمعنى إذا قربت الساعة أخرج الله ﷻ لهم دابة من الأرض، وخروج الدابة من أشراط الساعة"(١).

" وهذه الدابة هي الدابة المشهورة، التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يصح الاحتجاج بدليل يدل على كيفيتها، ولا من أي نوع هي، ولا كيف تكلّم الناس، لضعف تلك الأدلة، وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله ﷻ يخرجها للناس، وأنها تكلِمهم، وهذا خارق للعادات المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله ﷻ به في كتابه والله تعالى أعلم"(٢).

وقد ورد في معنى كلمة تكلِّمهم، وجهان:

الأول: أي تجرحهم وتسمهم وتكلمهم، تكلِم المؤمن، والكافر، أو الفاجر أي تجرحه، كما وأن التشديد للتكثير من تكلمهم، بفتح المثناة وتخفيف اللام.

الثاني: تكلمهم من الكلام: تكلِّمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام .

وقيل : فتقول للمؤمن: هذا مؤمن، وللكافر: هذا كافر(٣).

وقد ورد في السنة النبوية ما يؤكد أن خروج الدابة من علامات الساعة الكبرى، ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: **(مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ ...وَالدَّابَّةَ ...)** (٤).

وما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا)** (٥).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٧/٢. انظر: مفاتيح الغيب: ١٨٧/٢٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص٦١٠.

(٣) انظر: إعراب القرآن: ١٥٢/٣. الكشف والبيان: ٢٢٢/٧. البحر المحيط: ٩١/٧. القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة: ص٥٦. الإشاعة لأشراط الساعة: ص٣٠٠.

(٤) سبق تخريجه: ص٧١.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ٢٠٢/٨.

ثامناً: الدخان:

لقد أثبت القرآن الكريم أن الله ﷻ يبعث في آخر الزمان دخاناً تجمع الناس إلى أرض المحشر، حيث قال تعالى: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ **[الدُخان:١٠]** فالمقصود بالدخان في الآية عند المفسرين على قولين:

الأول: إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدّة الجوع.

والثاني: إنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة، يدخل في أسماع الكفرة، حتى يكون رأس الواحد كالرأس المشوي، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه(١).

و قد ورد في السنة النبوية ما يؤكد أن خروج الدخان من علامات الساعة وذلك فيما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: **(مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ ...)** (٢).

لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ويتحقق ذلك بما يلي:

١- الريح الطيبة التي تأخذ مَن في قلبه مثقال ذرة من إيمان:

وثبت ذلك فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنْ الْحَرِيرِ فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ وقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ)**(٣).

٢. عودة الناس لعبادة الأصنام.

ويثبت ذلك فيما ورد عَنْ ما ورد عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة:٣٣] **أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: (إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ﷻ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً**

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٨/٣٥٠. التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٢٦٦. الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٧/٤٠٦. فتح القدير: ٤/٦٥٤. روح المعاني: ١٩/١٤٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة،٨ /١٧٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الريح التي تكون قرب القيامة،٧٦/١.

فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ). [١]

٣. النار التي تحشر الناس:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: **(مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ ... وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)**[٢].

ولقد ورد في رواية أخرى ما ظاهِره التعارض مع هذه الرواية، وأن آخر العلامات تأتي ريح تلقي الناس في البحر، وذلك فيما ورد عَنْ أَبِى سَرِيحَةَ[٣] أن النَّبِيَّ ﷺ وقَالَ: **(أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ قَالَ الْآخَرُ وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ)**[٤].

الجمع بين الروايتين:

بعد الوقوف على الروايتين السابقتين، وما ورد من أن آخر الآيات يكون (نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) والرواية الأخرى (الْآخَرُ وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ)

يمكن الجمع بين روايتي خروج النار بأن المراد بالناس: الكفار، وإن نارهم تكون منضمة إلى ريح شديدة الجري، سريعة التأثير في إلقائها إياهم في البحر، وهو موضع حشر الكفار ومستقر الفجار، كما ورد أن البحر يصير ناراً[٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التَّكوير:٦] قال المفسرون معنى سجرت: أوقدت فصارت نارًا تضطرم وقيل صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار[٦]، بخلاف نار المؤمنين، فإنها لمجرد التخويف بمنزلة السوط مهابة؛ لتحصيل السوق إلى المحشر، والموقف الأعظم[٧].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ١٨٢/٨.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٨/٨.
(٣) حذيفة بن أسيد أبو سريحة الغفاري وهو حذيفة بن أسيد بن الأعوس، وكان من أصحاب الشجرة، ومن أهل الصفة. توفي وصلى عليه زيد بن أرقم، فكبر عليه أربعا. روى عنه أبو الطفيل، والشعبي، والربيع بن عميلة، وحبيب بن حماز. معرفة الصحابة: ٦٩١/٢
(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ١٧٩/٨.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٤٥٠/٨.
(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣٤٦/٨-٣٤٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١١٥/٩
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٤٥٠/٨.

وما يؤكد ذلك، أن القيامة تقوم على شرار الناس بعد أن تأتي الريح الطيبة، فتأخذ بأرواح المؤمنين، وبهذا تأتي الريح المنضمة إلى نار، والتي تحشر الناس بعد ردتهم، وعودتهم كفاراً إلى محشرهم، وهو البحر الذي سجِّر وأصبح ناراً. هذا والله أعلم(١).

أول الآيات ظهوراً:

اختلفت الروايات في أول الآيات ظهوراً وهي كالآتي:

- ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا)**(٢).
- وما روي في الرواية الموضوعة: **(أَوَّلُ الآيات الدَّجالُ، وَنزول عِيسى بن مَرْيَمَ** عليه السلام، **وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ**(٣) **أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالوا، والدُّخان"، قال حُذيفة** ﷺ: **يا رسول الله** ﷺ **وما الدخان؟ فتلا رسول الله** ﷺ **الآية:** ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدُّخان:١٠]، **يَمْلأ ما بَينَ المَشْرقِ والمَغْرِب يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْما وَلَيْلَةً أمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ. وأمَّا الكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنزلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِريْهِ وأُذُنَيْه ودُبُرِهِ)**(٤).
- وما ورد عَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ : **(أَوَّل أَشْرَاط السَّاعَة نار تُحْشَر النَّاس مِنْ الْمَشْرِق إِلَى الْمَغْرِب)**(٥).

جمع العلماء بين الروايات:

اجتهد العلماء في الجمع بين الروايات، بتقسيم الآيات من حيث إنها مألوفة، أو غير مألوفة لدى الناس على النحو الآتي:

- القسم الأول: الآيات المألوفة التي تؤذن بقرب الساعة، والتي اعتبروا أولها خروج الدجال.

---

(١) انظر: علامات يوم القيامة: ص١٠٦.

(٢) سبق تخريجه: ص٩٦.

(٣) قعر عدن: أي أقصى أرضها، وعدن مدينة مشهورة باليمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٤١٤/٦.

(٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن: ١٨/٢٢، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٢٥٩/١٤، ح ٣٨٦٤٥. قال الألباني: موضوع بتمامه، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٢٢/١٤.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب خُرُوجِ النَّارِ، ٩/ ٥٧.

- القسم الثاني: الآيات غير المألوفة الأرضية، والتي تؤذن بقرب الساعة، والتي اعتبروا أولها الدابة.
- القسم الثالث: الآيات غير المألوفة السماوية، والتي تؤذن بقرب الساعة، والتي اعتبروا أولها خروج الشمس من مغربها.
- القسم الرابع: الآيات المؤذنة بقيام الساعة، والتي اعتبروا أولها النار التي تسوق الناس إلى محشرهم.(١)

ولكن بعد الوقوف على حكم الأحاديث التي قام العلماء بالتوفيق بينها، تبين الآتي:

أولا: صحة الرأي القائل بأن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها لصحة دليله.

ثانياً: بطلان الرأي القائل بأن أول الآيات خروج الدجال لبطلان دليله.

ثالثاً: صحة الرأي القائل بأن أول الآيات هو خروج النار، ولكن ثبت بحديث صحيح آخر أن النار آخر الآيات، والذي سبق ذكره.

ويمكن الجمع بين روايات خروج النار بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات، التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً؛ بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا(٢).

ترتيب الآيات:

عند الوقوف على المبرر وراء تقسيم العلماء للآيات على النحو السابق، وتقديمهم لخروج الدجال على طلوع الشمس من مغربها كانت لسببين:

أولهما: عدم الوقوف على حكم الأحاديث.

ثانيها: ما استندوا إليه من أنه لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاصٍ، بطلوع الشمس من مغربها؛ لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿... لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ**

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ص٢١٤. شرح العقيدة الطحاوية: ص٥٠٢. الإشاعة لأشراط الساعة: ص٢٩٤. القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة: ص٦٢. التيسير بشرح الجامع الصغير: ص٣١٧.

(٢) انظر القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشرط الساعة: ص٦٤. فتح الباري: لابن حجر، ٨٢/١٣.

آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ...﴾ [الأنعام:١٥٨])[١]. وأن من الناس من يؤمن عند نزول عيسى عليه السلام وذلك لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** [النساء:١٥٩].

ولكن تبيَّن من نصوص أخرى في السنة النبوية أن بخروج الدجال أيضاً لا تقبل التوبة، كما طلوع الشمس وخروج الدابة، لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ)** [٢].

بل بظهور أول الآيات أيضاً يقفل باب العمل، وذلك لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **(إِذَا خَرَجَتْ أَوَّلُ الآيَاتِ حُبِسَتِ الْحَفَظَةُ وَطُرِحَت الأَقْلامُ وَشَهِدَتِ الأَجْسَادُ عَلَى الأَعْمَالِ)**[٣].

ولكن عند الوقوف على نصوص السنة النبوية، لم يثبت ترتيب علامات الساعة إلا على النحو الوارد في الحديث الآتي:

ما ورد عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه: قَالَ **ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ ﷺ: (مَا شَأْنُكُمْ؟). قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً[٤] فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ ﷺ (غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ. وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ ﷻ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[٥]، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ[٦]، كَأَنِّى أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً[٧] بَيْنَ**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ٩٥/١

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ٩٥/١.

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار: ٥٠٦/٥، ح ٣٧٥٩٩. قال ابن حجر: " سنده صحيح و إن كان موقوفاً فحكمه الرفع" فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، ٣٥٥/١١.

(٤) الغداة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، القاموس المحيط: ص١٣١٧.

(٥) شاب قطط: شديد جعودة الشعر، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٥/١٨

(٦) عينه طافئة: هي التي ذهب نورها، وفي رواية أخرى غير المهموزة (طافية) التي نتأت وطفت مرتفعة وفيها ضوء، وبيان الجمع بين الروايتين: أنه جاء في رواية أعور العين اليمنى وفى رواية اليسرى وكلاهما صحيح، والعور في اللغة العيب وعيناه معيبتان عورا، وأن إحداهما طافئة بالهمز لا ضوء فيها، والأخرى طافية بلا همزة ظاهرة ناتئة. المرجع السابق: ٦٠/١٨.

(٧) خلة بين الشام والعراق: أي في طريق بينهما. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٣/٢.

الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ[(١)] يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا). قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ ﷺ: (أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ). قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ قَالَ ﷺ: (لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ). قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟. قَالَ ﷺ (كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فيأتي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ. ثُمَّ يأتي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شيء مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِى كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ[(٢)] رَمْيَةَ الْغَرَضِ[(٣)]، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ ﷻ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﵇، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[(٤)]. وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأَسَهُ قَطَرَ[(٥)] وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ[(٦)]، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ –الدجال– حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ[(٧)] فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يأتي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﵇ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ في الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى عِيسَى ﷺ إني قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لي لاَ يَدَانِ[(٨)] لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ[(٩)] عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ

---

(١) عاث: بعين مهملة وثاء مثلثة مفتوحة وهو فعل ماض والعيث الفساد أو أشد الفساد والاسراع. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٥/١٨

(٢) جزلتين: قطعتين. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٧/١٨.

(٣) رمية الغرض: أراد أنه يكون بعد ما بين القطعتين بقدر رمية السهم إلى، النهاية في غريب الأثر والحديث، ٣٦٠/٣.

(٤) مهرودتين: بإهمال الدال وإعجامها أي لابس ثوبين مصبوغين بورس أو زعفران. والورس: نبت أصفر يصبغ به، النهاية في عريب الأثر والحديث، ١١/٥، ١٧٢.

(٥) إذا طأطأ رأسه قطر: أي إذا خفض رأسه قطر منه العرق، كشف المشكل من حديث الصحيحين:٢٠٦/٤.

(٦) تحدر منه جمان كاللؤلؤ: الجُمان بضم الجيم وتخفيف الميم هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمي الماء جماناً لشبهه به في الصفاء، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:٦٧/١٨.

(٧) باب لُد: بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج: ٦٨/١٨.

(٨) لا يدانِ: بكسر النون تثنية يد قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة، المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

(٩) فحرِّز: اجمعهم واحفظهم. المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهُ ﷺ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ؛ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[1] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ [2] وَنَتْنُهُمْ؛ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ ﷻ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[3] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ ﷻ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ[4] مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[5] وَلاَ وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[6]، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّى بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ[7] مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[8]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[9] حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ[10] مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[11] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ[12] مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ ﷻ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)[13] .

أي أنها على الترتيب التالي: خروج الدجال، ثم نزول عيسى ﷺ، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هبوب الريح الطيبة، التي تقبض أرواح المؤمنين ويبقى شرار الناس، فتقوم عليهم الساعة، ولم أقف على أي نصوص أخرى توضح ترتيب باقي العلامات.

---

(١) فرسى: بفتح الفاء مقصور، أي قتلى، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج: ٦٩/١٨.

(٢) زهَمِهم: بفتح الهاء أي دسمهم ورائحتهم الكريهة، المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

(٣) أعناق البُخْت: أعناق الابل، لسان العرب:٢١٩/٢.

(٤)لاَ يَكُنُّ: لايمنع، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ٦٩/١٨.

(٥) بيت مدر: بفتح الميم والدال وهو الطين الصلب، المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

(٦) الزلفة: المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرآة في صفائها ونظافتها، المرجع السابق.

(٧) العِصابةُ : جماعةُ ما بين العَشَرة إلى الأَربعين، لسان العرب: ٢٩٦٥/٤.

(٨) بقحفها: بكسر القاف أي بقشرها، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:٥٠٧/٦.

(٩) الرِسل: بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٦٩/١٨

(١٠) اللقحة: بالفتح والكسر الناقة القريبة العهد بالنَّتاج وناقة لاقِحٌ إذا كانت حاملاً، لسان العرب: ٤٠٥٨/٥

(١١) الفئام: الجماعة من الناس، العين، ٤٠٥/٨.

(١٢) الفخذ: الجماعة من الأقارب وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:٥٠٧/٦.

(١٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ١٩٧/٨.

ومن هنا يجب علينا التوقف عن الخوض في ترتيب ما لم يتم ترتيبه من علامات في السنة النبوية، وذلك لأننا مأمورون بالإيمان بالغيب، والتسليم بما ورد عن الأمور الغيبية من نصوص شرعية؛ فمسائل العقيدة ليس مدار اجتهاد.

المبحث الثاني
مظاهر يوم القيامة

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أهوال ومقدمات يوم القيامة.

المطلب الثاني: النفخ في الصور.

المطلب الثالث: الحشر.

المطلب الرابع: العرض ونشر الصحف والحساب

المطلب الخامس: الميزان.

المطلب السادس: الصراط.

المبحث الثاني

مظاهر يوم القيامة

اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بما أخبر الله ﷻ به بعد الموت، والبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان، والشفاعة[1]. وقد تحدثت الآيات في سورتي الكهف ويس عن هذه المظاهر في أكثر من موضع، وهي موضحة بالمطالب الآتية:

المطلب الأول: أهوال ومقدمات يوم القيامة:

لقد تحدثت سورة الكهف عن مظهرين عظيمين لأهوال يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧]

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن يوم القيامة، وما فيه من الأهوال العظام، والشدائد الرهيبة التي تتفطر لها القلوب، والتي بها يتم تغيير أحوال الحياة الدنيا، وتهيئتها ليوم القيامة، وقد بينت الآية في سورة الكهف بعضاً من مظاهر هذا التغيير، والذي يتمثل بتسيير الجبال وبروز الأرض.

وقد فسر العلماء تسيير الجبال إلى معانٍ عدة:

الأول: نقلها من مكان إلى مكان بزلزال أرضي عظيم.

والثاني: أطلق التسيير على تناثر أجزائها، وجعلها هباءً منبثاً.

والثالث: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما تسير السحاب، ثم تعود إلى الأرض، والظاهر هنا أول أحوال الجبال، وهو من أحوال انقراض نظام هذا العالم، وإقبال عالم الحياة الخالدة والبعث[2].

وقد فسر العلماء معنى بروز الأرض في هذه الآية بمعانٍ عدة، وهي:

---

(١) انظر: متن العقيدة الطحاوية: ص٢٦. الإبانة عن أصول الديانة: ص٢٧. الإيمان: لابن منده، ٩٧٨/٢.الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٢٠٥. إحياء علوم الدين: ٩٢/١. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: ص٤٤١. بيان تلبيس الجهمية: ١١٣/١.

(٢) انظر: فتح القدير: ٣٤٥/٣. روح المعاني: ٢٨٧/١٥-٢٨٨. التحرير والتنوير: ٣٣٥/١٥.

أولاً: وترى الأرض ظاهرة كرأي العين، ليس عليها شجر، ولا جبل، ولا ثمر، ولا شيء يسترها، وليس فيها مَعْلَم لأحد، ولا مكان يواري أحدًا، بل الخلق كلهم لا تخفى منهم خافية.

ثانياً: ترى باطن الأرض ظاهراً، قد برز الذين كانوا في بطنها، فصاروا على ظهرها. كما قال سبحانه : ﴿**وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**﴾ [الانشقاق:٤]، وقال : ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ [الزَّلزلة:٢] ، فيكون المعنى: وترى الأرض بارزةً ما في جوفها.

ويمكن إجمال ما يحدث من أهوال في الأرض، تمهيداً ليوم القيامة بقوله تعالى: ﴿... **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ** ... ﴾ [الكهف:٤٧] بأن الله ﷻ يزيل الجبال عن أماكنها، ثم تصبح رملاً مجتمعاً، رخواً ليناً، إذا وَطِئَته القدم زلَّ من تحتها، لقوله تعالى: ﴿... **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا**﴾ [المزمل:١٤]، ثم يصبح كالصوف المنفوش، ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح، لقوله تعالى: ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾[القارعة:٥] ، ثم تصبح كالغبار المتناثر، لقوله تعالى: ﴿**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا**﴾ [الواقعة:٥-٦] ، وتبرز الأرض فتصير سطحًا مستويًا، لا عوج فيه، ولا وادٍ، ولا جَبَل، لقوله تعالى: ﴿ ...**وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً**... ﴾ [الكهف:٤٧] ، وقوله تعالى: ﴿**فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾ [طه:١٠٦-١٠٧][(١)].

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ [الكهف:٨]

فالأرض الجرز: التي لا نبات فيها، ولا شيء من عمارة وغيرها، كأنه قطع وأزيل، ليوم القيامة، فإن الأرض تكون مستوية لا مستتر فيها[(٢)]. ويؤيد هذا التفسير ما ورد عَنْ سَهْل ابْن سَعْدٍ ؓ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ** [(٣)] **لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)** [(٤)].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٧٥/٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٠٤/٢. البحر المحيط: ١٢٧/٦. تفسير القرآن العظيم: ١٤٩/٩. روح المعاني: ٢٧٢/٨. فتح القدير: ٣٤٥٨/٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٧٩/1.التحرير والتنوير ٣٣٥/١٥.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٩٩/١٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٤٤/٥. الكشاف عن حقائق التنزيل: ٥٦٦/٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٩/١٠.

(٣) قرصة النقى: كقرصة الدقيق النقي من الغش والنخال. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٥٤٨/٩.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقائق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ١٠٩/٨، ح ٦٥٢١.

وقد أجملت الآيتان في سورة الكهف المشاهد الأرضية لأهوال يوم القيامة كلها، وهذا فيه بيان لمدى بلاغة القرآن الكريم في دقة الوصف، مع شموليته لكل الأجزاء بأقل الألفاظ.

وقد تبين عند الوقوف على معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أن هذه من الأهوال الأرضية التي تكون بعد الحشر، وذلك لأن الفعل حشرناهم ماضي بعد نسير المضارع، وذلك يدل على حشرهم قبل التسيير، وقبل البروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك(١).

ويكون الناس يومئذ على الصراط كما بينت السنة النبوية، فيما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ...﴾ [إبراهيم:٤٨] **فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: (عَلَى الصِّرَاطِ)** (٢).

المطلب الثاني: النفخ في الصور:

التعريف بالصور:

بعد الوقوف على نصوص السنة النبوية، تبين أن النبي ﷺ قد عرّف الصور على أنه: قرن يُنفخُ فيه، وذلك إيذان ببدء يوم القيامة، كما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ﷺ، قَالَ: **جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ ﷺ : (قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)** (٣).

وقد أوضحت السنة النبوية أن المَلَك الموكل بالنفخ في الصور، مستعد للنفخ فيه منذ كلفه الله ﷻ به، وينتظر متى يؤمر بذلك، وذلك فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ)** (٤).

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٩١/٣. مدارك التنزيل: ٣٠٥/٢. روح المعاني: ٣٥/٢٠.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صفة الجنة والقيامة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ١٢٧/٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، ٤٣٦/٢. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، قال الذهبي: "صحيح".

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب الأهوال، ٥٥٩/٤. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم.

وورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى بِسَمْعِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخَ** " **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَيْفَ نَقُولُ؟ قَالَ: (قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ)**[1].

هذا حال رسول البشرية محمد ﷺ، خير ولد آدم عليه السلام، من عصمه رب البرية تبارك وتعالى عن المعصية والزلل، زهداً في الدنيا؛ خوفاً وترقباً ليوم الحساب؛ فكيف بنا نحن المقصِّرون، أخذتنا فتن الدنيا الزائفة، وتطاردنا في كل نواحي حياتنا شياطين الإنس والجن، أولى بنا الاقتداء بحال نبينا ﷺ؛ ففيه سعادة الدارين؛ وتحصين من فتن الدنيا، ولقاءُ الله ﷻ بما يحب ويرضى.

عدد مرات النفخ في الصور:

قد بينت الآيات في سورة يس أن النفخ في الصور مرتين: الأولى نفخة صعق، والثانية نفخة بعث، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ، فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٤٨-٥٤]

قال المفسرون في معنى الصيحة في قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٩] على أنها النفخة الأولى التي تأخذهم، وهم يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم، إذا كانوا فيما بين أهليهم، ولا إلى أهلهم يرجعون إذا كانوا في خارج بيوتهم؛ بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا، ويرجعون إلى الله ﷻ لا إلى غيره سبحانه[2].

(١) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق، باب ما جاء في شأن الصور، ٢٢٦/٤، ح ٢٤٣١. وقال الترمذي: "حديث حسن". وقال الألباني: "حديث صحيح"، سلسلة الأحاديث الصحيحة:٦٦/٣.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٠/٧. البحر المحيط: ٣٠٨/٧. روح المعاني: ٣١/٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٩٥/١-٦٩٧.

ويؤكد هذا التفسير ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ** ﴿...يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، **وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ** (١) **حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا)**.(٢)

وفسر العلماء النفخ في الصور في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ على أنه النفخة الثانية نفخة البعث، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ... فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ... ﴾، وصيغة الماضي – نُفِخَ – للدلالة على تحقق الوقوع، فإذا هم من القبور يسرعون بطريق الإجبار، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٣٢] **وقوله تعالى:** ﴿ ... وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف:٩٩].

وكذلك فسروا الصيحة في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٥٣] على أنها النفخة الثانية في الصور التي حكيت سابقاً، فإذا هم مجموعون لدينا بسرعة للحساب والعقاب، من غير لبث ما طرفة عين، وإذا الفجائية في الآيات السابقة، تفيد يسر الأمر على القدرة الإلهية، وسرعة الاستجابة من المخلوقات، فبمجرد النفخ في الصور يبعث الأموات، ويقفون امتثالاً لأمر الله ﷻ ، وفيه من تهوين أمر البعث، والحشر، والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى.(٣)

وقد ورد في السنة ما يؤيد أن عدد النفخات هو نفختان نفخة صعق – فزع –، ونفخة بعث وذلك فيما ورد عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: **(... ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا** (٤) **وَرَفَعَ لِيتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ:**

---

(١) يلوط حوضه: أي يطينه ويصلحه وأصله من اللصوق. النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٧٧

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، ٨/١٠٦، ح ٧١٢١.

(٣) روح المعاني: ٣٢/٢٣. فتح القدير: ٤/٤٢٨-٤٢٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٩٧/١.الكشف والبيان: ٨/١٣٠.

(٤) أصغى ليتا: الليت صفحة العنق وهما ليتان وأصغى أمال، للدلالة على جاهزيته واستعداده لتنفيذ الأمر بالنفخ بمجرد سماعه، النهاية في غريب الحديث: ٤/٢٨٤.

فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصَّفات:٢٤] ، **قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ مِنْ كَمْ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ ﴿... يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا﴾** [المزمل:١٧] **وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾** [القلم:٤٢]) (١).

ففي قوله ﷺ: (ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) كلمة (أخرى) دلالة على أنه ينفخ في الصور مرتان وهو الصحيح(٢). ويؤكد ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ)**(٣).

وقد ورد عن بعض العلماء القول بأن النفخ في الصور ثلاث مرات؛ نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث(٤)، واستدلوا بحديث ضعيف وهو حديث الصور الطويل(٥).

واستدلوا على ما قالوا بأن النفخ في الصور ثلاث نفخات بالآيات على النحو التالي:

نفخة الفزع: في قوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾** [النمل:٨٧]

نفخة الصعق: في قوله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ...﴾** [الزُّمر:٦٨]

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب في فضائل موسى ﷺ، ٢٠١/٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن: ٤٩١/٣. الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٠/١٣. لباب التأويل في معاني التنزيل: ١٢٥/٢. فتح الباري: ابن حجر، ٣٧٠/١١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٥/٦. الحجة في بيان المحجة: ٢٥٠/١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الزمر، ١٢٦/٦،ح٤٨١٤.

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٧٦/٦. اللباب في علوم الكتاب: ٢٠٦/١٥. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢٦٠/٤.

(٥) حيث قال ﷺ فيه: (...يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ الأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصُّعُوقِ وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...) مسند إسحاق بن راهويه: ما يروى عن أبي قلابة وزرارة، وجابر بن زيد، وأبي العالية، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، ٨٤/١. البعث والنشور: باب حديث الصور، ٣٢٧/١، ح٥٩٣. قال ابن حجر: سنده ضعيف ومضطرب. فتح الباري: لابن حجر: ٣٦٩/١١

نفخة البعث: في قوله تعالى: ﴿... **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ [الزُّمر:٦٨]

وبعد الوقوف على الأدلة لكلا الفريقين، يمكن القول بأن القول الأول هو الأصح؛ لقوة أدلته، ويمكن الجمع بين الآيات بأن النفخة الأولى يعقبها الفزع، ومن شدة فزعهم يصعق جميع الخلق أحياؤهم وأمواتهم، ثم يُنفخ الثانية للبعث، فيفيقون أجمعون[١].

عذاب أهل القبور بين النفختين:

لقد اختلف العلماء حول استمرار عذاب من في القبور، أو توقفه بين النفختين؛ وذلك لاختلافهم في تفسير معنى كلمة مرقدنا في قوله تعالى: ﴿.. **مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا** ..﴾ [يس:٥٢]، وهذه أقوال العلماء في تفسيرها في الآية:

أولا: سمي ذلك مرقداً، مع علمهم بما كانوا يقاسون في القبر من العذاب؛ لعظم ما شاهدوا من الأهوال، فكأن ما في القبر مرقداً بالنسبة إليهم، وذلك لأنهم إذا عاينوا جهنم، وما فيها من ألوان العذاب، يرون ما كانوا فيه مثل النوم، مقارنةً بما يشاهدوه؛ فيقولون ذلك.

ثانياً: إنما يقولون هذا لأن اللّه تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون، فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة، وعاينوا القيامة دعوا بالويل[٢].

ولكن بعد الوقوف على تلك المعاني يمكن استبعاد القول الأخير؛ لأنه ثبت بالأدلة استمرار عذاب القبر إلى يوم القيامة، وذلك فيما قال الله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦]. وقد تآزرت الأدلة من السنة النبوية في ذلك المعنى، ومنها ما ورد عن ابْن عُمَر ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ [٣] فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** [٤].

المدة بين النفختين:

إن السنة النبوية قد بينت أن النبي ﷺ قد سئل عن المدة بين النفختين، ولكنه أجاب بما يحدد أنها أربعون، ولكن لم يوحَ إليه أهي أربعون يوماً، أو شهراً، أو سنة، وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) انظر: فتح الباري: لابن حجر: ٣٦٩/١١. عمدة القاري: ٩٩/٢٣. إرشاد الساري: ٣٢٢/٧. روح المعاني: ٣١/٢٠.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٧/٤. عمدة القاري: ١٣٣/٩. الكشف والبيان: ١٣٠/٨.

(٣) يتجلجل فيها الى يوم القيامه: اي يغوص في الارض حين يخسف به والجلجلة حركة مع صوت. النهاية في غريب الحديث: ٢٨٤/١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب حديث من جر ثوبه من خيلاء، ١٧٧/٤، ح ٣٤٨٥.

رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** (١).

وقد أورد شراح الحديث أن معنى **(أبيت)**: أي امتنع عن القول بتعيين ذلك أنه يوم، أو شهر، أو سنة؛ لأنه لم يكن عنده علم بذلك(٢).

المطلب الثالث: الحشر:

تعريف الحشر:

- **الحشر لغة:** الجمع(٣).
- **الحشر اصطلاحاً:** الجمع إلى الموقف- يوم القيامة- للحساب(٤).

الأدلة عليه:

بعد الوقوف على آيات السورتين، موضوع البحث، تبين أنهما تناولتا قضية حشر الناس يوم القيامة في مواضع عدة، وهي:

- الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٧] أي حشرناهم جميعاً إلى الموقف والحساب، فلم نترك منهم أحداً(٥).
- الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿...**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾ [الكهف:٩٩]

أي إذا نفخ في الصور، جمع الله ﷻ الخلائق، بعد ما تفرقت أوصالهم، وتمزقت أجسادهم في أرض المحشر، وأعاد الله الأرواح إلى الأجساد، ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامة، الأولين

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الزمر، ١٦٥/٦، ح ٤٨١٤.
(٢) انظر: فتح الباري: ابن حجر، ٦٩٠/٨. عمدة القاري: ١٤٦/١٩.
(٣) المحكم والمحيط الأعظم : ١٠٣/٣. لسان العرب: ٨٨٢/٢.
(٤) الكشف والبيان: ١٧٥/٦. فتح القدير: ٣٤٥/٣.
(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٩٥/٣. روح المعاني: ١٥/ ٢٨٨. تيسير الكريم الرحمن: ص٩٧٤.

منهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليُسألوا، ويُحاسبوا، ويُجزَون بأعمالهم، فأما الكافرون – على اختلافهم– فإن جهنم جزاؤهم، خالدين فيها أبداً[1].

- الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٥٣]

أي إن كانت إلا نفخة واحدة فإذا هم محضرون، بإحيائهم بعد البعث، لفصل الحساب من غير لبث ما طرفة عين، وفيه من تهوين أمر البعث، والحشر، والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى[2].

- الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿... لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...﴾[الكهف:٤٨] لقد بين الله ﷻ هيئة الناس في أرض المحشر على معنيين:

الأول: أنكم كائنين كما خلقناكم أوّل مرّة، أي: على هيئة خلقكم أول مرة حفاة عراة غرلاً.

الثاني: أن المراد خلقكم، وإحياؤكم كخلقتكم الأولى، أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، أي تركيب الأجسام بعد فنائها، يكون كخلقها أول مرة بل أيسر[3].

لما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء:١٠٤])[4]، وما ورد عن ابْن عَبَّاسٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا)** [5].

ومن أهوال يوم القيامة، أن جهنم تُعرض على الكافرين في أرض المحشر؛ لقوله تعالى: **﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾** [الكهف:١٠٠] أي أبرز الله ﷻ جهنم يوم أن يجمع الخلائق كافة للكافرين منهم، حيث يرونها، ويسمعون لها تغيظاً وزفيراً؛ وعرضت عليهم عرضاً فظيعاً هائلاً، وتخصيص العرض بهم مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة؛ لأن ذلك لأجلهم خاصة[6].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٤٧/٥. روح المعاني: ٤٥/١٦. تيسير الكريم الرحمن: ص٤٨٧.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٠/ ٥٣٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٧٠/٤. روح المعاني: ٣٣/١٢.

(٣) انظر: لباب التأويل: ١٦٦/٣. الكشاف: ٥٩١/٣. فتح القدير: ٣/ ٣٤٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿... وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]،١٣٩/٤، ح ٣٣٤٩.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقائق، باب كيفية الحشر، ١٠٩/٨، ح٦٥٢٤.

(٦) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٠٩/٥. روح المعاني: ٤٥/١٦.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣] أي لما رأى المجرمون النار يوم القيامة أيقنوا مخالطتهم لها ودخولها، أو ظنوا من هول ما يرون، وشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها، أنهم واقعون فيها في تلك الساعة(١).

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**...إِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ، وَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**)(٢).

وما ورد عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ فَيَقُولُ إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ ﷻ إِلَهًا آخَرَ وَالْمُصَوِّرِينَ**)(٣).

المطلب الرابع: العرض ونشر الصحف والحساب:-

أولاً: العرض:

تعريف العرض:

العرض لغة: عَرضَ الشيء عليه يعرضه عرضاً: أراه إياه، وعرضت الحوض على البعير، وعرضت الكتاب، وعرضت الجند عرض العين: إذا أمررتهم عليك، ونظرت ما حالهم(٤).

العرض اصطلاحاً: إن عرض العباد على الله ﷻ يوم القيامة يحمل معنيين:-

المعنى الأول: معنى عام، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له ﷻ صفحاتهم، لا تخفى عليه ﷻ منهم خافية، هذا يدخل فيه من يناقش الحساب، ومن لا يحاسب.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٢٩/٥. روح البيان:١٧٨/٥. روح المعاني: ٢٧٨/١٦. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ٦٥٣/١..

(٢) مسند الإمام أحمد: مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، ٢٤٢/١٨، ح ١١٧١٤. قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وإسناده ضعيف.

(٣) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة ﷺ، ١٥٢/١٤، ح٨٤٣٠. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) انظر: لسان العرب: ٢٨٨٥/٤.

والمعنى الثاني: معنى خاص، عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم[1].

وقد ذكر الله تعالى العرض في كتابه العزيز في أكثر من موضع، ومن ذلك ما ورد في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [الكهف:٤٨] وفي هذه الآية وصف لكيفية وقوف العباد في أرض المحشر على معانٍ عدة:

١. أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله ﷻ صفاً واحداً كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ [النبأ:٣٨]

٢. قائمين صفوفاً كما قال: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر:٢٢] [2]

٣. مصطفين ظاهرين، تُرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحدٌ أحداً، وفي الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذي يعرض على السلطان، لا ليعرفهم، بل ليأمر فيهم [3].

ويعرض العباد على الله ﷻ للحساب لقوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقَّة:١٨] وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالماً به، لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم خافية كائنة ما كانت، وإنما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالأعمال وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم، والمناقشة بعد ذلك[4].

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).** [5]

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٨٢٢/٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٩/ ١٥٠. فتح القدير: ٣/ ٤١٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣٨/٣.

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣٨/٣. . مدارك التنزيل: ٣٠٤/٢.

(٤) انظر: فتح القدير: ٥/ ٣٣٧. معارج القبول: ٨٢٢/٢.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ مع الأنبياء وغيرهم،١٤٨/٩، ح٧٤٤٣.

ثانياً: نشر الصحف:

إن من مشاهد يوم القيامة نشر الصحف التي أحصى الله ﷻ بها أعمال العباد للعرض والحساب، وهذا ما أقر به أهل السنة والجماعة؛ لما دل عليه القرآن والسنة النبوية.

وقد ورد في سورة الكهف ما يدل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]

وذلك يعني نشر صحائف أعمال العباد، كما يوضح معنى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١٠]وقوله تعالى: ﴿... وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، وكل امرئ يتلقاه بيمينه أو شماله، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا، إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ، بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٥]، ومن هول ما يرى المجرمون والعصاة في صحائف أعمالهم، يدعون على أنفسهم بالهلاك، لأنه لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاها، وحصرها، وضبطها، والذي فيه الجليل والحقير، والصغير والكبير، لقوله :﴿... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ...﴾ [الكهف:٤٩]أي من خير وشر، كما قال تعالى :﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠] وقال تعالى : ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣] وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩] أي تظهر المخبآت والضمائر، فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه؛ بل يعفو، ويصفح، ويغفر، ويرحم، ويعذب من يشاء بقدرته، وحكمته، وعدله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] (١).

وقد ورد في سورة يس أن أعمال العباد تُكتب، وتحصى، وأنه سوف يحاسب عليها عندما يبعثه الله ﷻ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٨/٨١. معالم التنزيل: ٥/ ١٧٧. الجامع لأحكام القرآن:١٠/ ٤١٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣٢/٣. مدارك التنزيل: ٣٠٥/٢. تفسير القرآن العظيم: ١٦٤/٥. فتح القدير: ٣/ ٣٤٦.

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] ، وأما المقصود ﴿**وَآَثَارَهُمْ**﴾: على وجهين وهما صحيحان لورود نصوص في السنة تثبتهما:

الأول: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية، وما يؤيد ذلك ما ورد عنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ).** (١)

والثاني: ما تركوا من سنة حسنة، أو سيئة يعمل بها بعدهم. ومن ذلك ما ورد عَنْ جَرِيرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)** (٢).

وعند الوقوف على أقوال المفسرين في المراد بالإمام المبين، دارت الأقوال حول معنيين:

الأول: صحائف الأعمال التي تنشر يوم القيامة.

الثاني: اللوح المحفوظ، ووُصف بأنه مبين؛ لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه(٣).

وعلى أي من المعنيين فكليهما يحتمل الصحة، وذلك لأن اللوح المحفوظ مسجل فيه أعمال الخلائق كلها، وهو الأصل لصحائف الأعمال التي تخص كل عبد، ولكن ما يرجح لدي الباحثة أن المقصود هو صحائف الأعمال، وذلك لأن سياق الآيات يتحدث عن يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يتم محاسبة العباد كلٌ من كتاب أعماله الخاص به، ووصفه بالمبين؛ لأنه يبين كل أعمال العبد، ولا يدع صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها وبيّنها.

ثالثاً: الحساب:

وقد اقتضت مشيئة الله ﷻ عدلاً منه وفضلاً حساب الله لعباده؛ والحكمة من الحساب هو إظهار كمال عدله ﷻ، فإن الله ﷻ يَسْأل العباد عن كل صغيرة وكبيرة، في المواقف مما قدمت أيديهم، حيث قال تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يس:٥٤].(٤)

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الآذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، ١/١٣٢،ح ٦٥١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة، أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٨/٦١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٨٠. تفسير القرآن العظيم: ١١/ ٣٥١.

(٤) انظر: الاعتقاد: لابن أبي يعلى، ص٣٣.

ويتفاوت الناس فيه إلى: مناقش في الحساب، وإلى مسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب.(١)

الفرق بين العرض والحساب:

بعد الوقوف على نصوص السنة النبوية، تبين أنه ورد ما يفرق بين العرض والحساب على أن:

- **العرض:** هو الحساب اليسير، أي التقرير بالذنوب، وسترها على العبد كما سترها في الدنيا.
- **والحساب:** هو المناقشة على كل صغيرة وكبيرة.

ودليل ذلك ما ورد عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾** [الانشقاق:٧-٨]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ).** (٢)

وكما ورد عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ عليه فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ ﷻ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟. فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ ﷻ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، وَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [هود:١٨])(٣).

ويؤكد معنى الحساب العسير قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يس:٦٥]ففيه بيان لمظهر الحساب العسير يوم القيامة، بعد إنكار الكفار والمنافقين والعصاة لما اجترحوا من سيئات، فيختم على أفواههم، وتشهد عليهم جوارحهم(٤).

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَضَحِكَ فَقَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ) قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ أَعْلَمُ قَالَ ﷺ: (مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ**

---

(١) إحياء علوم الدين: ٩٢/١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ١١٢/٨،ح ٦٥٣٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿...أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨]، ١٢٨/٣، ح٢٤٤١.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٤/٧. تفسير القرآن العظيم: ٣٧٣/١١.

يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ؟. قَالَ ﷺ: يَقُولُ ﷻ بَلَى، قَالَ ﷺ: فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ ﷺ: فَيَقُولُ ﷻ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ ﷺ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ ﷺ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ ﷺ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ ﷺ: فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)(١).

المطلب الخامس: الميزان:

اتفق علماء أهل السنة والجماعة على أن الميزان حق، وأن له لساناً وكفتين، ووزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وثقل الميزان وخفته حق، حيث قال تعالى:﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٩] (٢).

أولاً: ما يوزن يوم القيامة:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية ما يبين أن الموزون يوم القيامة، هو كل من العمل، والعامل، وصحائف الأعمال.

١- وزن العامل:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾** [الكهف:١٠٥])(٣).

وما ورد إن **ابْنُ مَسْعُودٍ** ﷺ **كَانَ عَلَى شَجَرَةٍ يَجْتَنِي لَهُمْ مِنْهَا فَهَبَّتِ الرِّيحُ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهِ فَضَحِكُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)**(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، ٢١٦/٨.

(٢) انظر: الفقه الأكبر: ٦١/١. أصول السنة: ص٢٥-٢٦. شرح السنة: ص٧٢. الإيمان: ابن منده، ٩٧٨/٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٩٩/١. إحياء علوم الدين: ٩٢/١. الاعتقاد: ص٣٣. أصول الدين: للغزنوي، ص٢٢٨. الحجة في بيان المحجة: ٢٥٠/١. لمعة الاعتقاد: ص٣١. مجموع الفتاوى: ٣٠٢/٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الكهف، ٩٣/٦، ح ٤٧٢٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب معرفة الصحابة، ٣/ ٣١٧. الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

ففي هذين الحديثين بين رسول الله ﷺ أن الإنسان يوم القيامة يوزن، فالمؤمن مهما كان نحيلاً في موازين الدنيا، فبالإيمان، والعمل الصالح، والإخلاص، يكون يوم القيامة أثقل ممن كان سميناً في الدنيا، وهو عاصٍ لله ﷻ.

٢- العمل:

ويبين ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)**(١).

وما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)**(٢).

ففي هذين الحديثين بين النبي ﷺ أن الذِّكر، والخلق الحسن، وهي أعمال للإنسان توزن يوم القيامة.

٣- صحائف الأعمال:

وذلك لما ورد عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ هَذَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)**(٣).

" فالحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان، مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توزن، فلا يعجزه ﷻ شيء، وهو على كل شيء قدير "(٤).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ٦٨/٨، ح ٦٤٠٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: مسند القبائل، بقية حديث أبي الدرداء ﷺ، ٥١٠/٤٥. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب الدعاء، ٥٢٩/١. قال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٠٢/٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة:٢٦٣/١.

وقد ورد في سورة الكهف ما يثبت الميزان يوم القيامة ووزن العمل والعامل(١)، على اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

المطلب السادس: الصراط

أولاً: تعريف الصراط:

الصراط لغة: الصِّراطُ و السِّراطُ والزِّراطُ الطريق(٢).

الصراط اصطلاحاً: جسر على متن جهنم، يمر عليه الناس يوم القيامة(٣).

ذهب علماء أهل السنة والجماعة، إلى وجوب الإيمان بالصراط، ، وقد ورد لفظ الصراط في سور القرآن الكريم على معانٍ عدة، ومن تلك السور سورة يس في ثلاث مواضع:

- الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس:٣-٥] فالمقصود بالصراط المستقيم هنا، هو طريق الهدى، والنجاة، وطريق الأنبياء والمرسلين أي دين الإسلام، وسمي هذا الطريق بالمستقيم؛ لأن المستقيم أقرب الطرق الموصلة إلى المقصِد والدين، كذلك فإنه أقرب طريق صحيح يوصل إلى الله ﷻ، وهو المقصد. (٤)
- الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦١] يحمل نفس المعنى السابق.
- الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٦٦]

---

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٠١/٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٥٧٩/٣. زاد المسير في علم التفسير: ١٩٨/٣.

(٢) مختار الصحاح: ١٧٥/١.

(٣) انظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال: ص٢٢١. إحياء علوم الدين: ٩٢/١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٩٩/١. الحجة في بيان المحجة: ٢٥٠/١. أصول الدين: ص٢٣٨. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: ص٢٧.

(٤) انظر: جامع البيان: ٢٠/ ٤٩٠. اللباب في علوم الكتاب: ١٦٨/١٦.

ففي هذا الموضع بعد الوقوف على أقوال المفسرين في معنى الصراط، تبين أنها كانت تتمحور حول المعاني الآتية:

أولاً: الطريق الذي اعتادوا السير فيه: معنى الآية على هذا الرأي، أنه لو نشاء لأذهبنا أحداقهم وأبصارهم، فلو أرادوا الاستباق، وسلوك الطريق الذي اعتادوا سلوكه، لا يقدرون عليه، ولا يبصرونه.(١)

ثانياً: طريق الحق والهدى: معنى الآية على هذا الرأي ولو نشاء لأضلَلْناهم، وأعميناهم عن الهُدى، فأنّى يُبصِرون الحقَّ. (٢)

ثالثاً: الصراط الذي هو جسر على متن جهنم، ويكون معنى الآية على هذا الرأي: وفي ذلك الموطن ما ثَمَّ إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما الضالون، فليس لهم عند اللّه ﷻ عهد للنجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم، وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط حتى لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حركاتهم فلم يستطيعوا التقدم، ولا التأخر، والمقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة يوم القيامة(٣).

وتأويل الصراط خلال تفسير العلماء للآية بالطريق، هذا لا يعني إنكارهم لوجوده، وتأويل كل النصوص التي ورد فيها، ولكنهم تعاملوا مع بعض نصوص القرآن بأنها تحمل المعنى اللغوي، وقد أثبت المفسرون الصراط في مواضع أخرى من تفسيرهم، بالمفهوم الشرعي، وذلك على أن الصراط: جسر منصوب على متن جهنم(٤).

والقول الراجح من هذه المعاني؛ هو أن الصراط بالمعنى الشرعي: أي جسر على متن جهنم، وذلك لأن سياق الآيات يتحدث عن يوم القيامة، وموقف الحساب، وكيف أن الله ﷻ يجعل أعضاء الجسم يوم القيامة التي استخدمها في المعصية في الدنيا، ستشهد عليه عند إنكاره، لِمَا يقرأه في صحائف أعماله لحظة حسابه، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]، ويتناسب مع ذلك أن الله ﷻ يعاقبهم بعد ذلك، بطمس أعينهم

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/٢٧٢. تفسير القرآن العظيم: ٦/٥٨٧. روح المعاني: ٢٣/٤٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠/ ٥٤٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/٥٠. تيسير الكريم الرحمن: ١/٦٩٨.

(٤) انظر: جامع البيان: ١٨/٢٣٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ١٧. تفسير القرآن العظيم: ٥/٥٨. روح المعاني: ١٩/ ١٠٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ١٧.

وإعجازهم عن المضي على الصراط؛ لأنهم اكتسبوا في دنياهم من المعاصي ما يعجزهم عن المضي عليه.

فكلٌ تكون سرعة سيره على الصراط في الآخرة بحسب تطبيقه وسيره على منهج الله ﷻ في الدنيا، فأكثرهم التزاماً لمنهجه ﷻ في الدنيا، أسرعهم تجاوزاً للصراط يوم لقاء الله ﷻ، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم حرصاً وثباتاً على دين الله ﷻ في الدنيا، أسرعهم تجاوزاً يوم القيامة، ومن أتبع نفسه هواها، وتردى في وحل الشبهات والشهوات، ونهشته فتن الدنيا؛ كان ممن هوت به نفسه يوم القيامة، وتخطفته كلاليب جهنم على جانبي الصراط، وذلك يوضحه ما ورد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: (**... إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، ... ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ: **وَمَا الْجِسْرُ؟. قَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**(١) **فِيهِ خَطَاطِيفُ**(٢) **وَكَلَالِيبُ**(٣) **وَحَسَكٌ**(٤) **تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ**(٥) **فِي نَارِ جَهَنَّمَ**)(٦).

فيما ورد عَنْ أُمّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: (**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ:** ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ..﴾ [مريم:٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم:٧٢])(٧).

---

(١) دحض مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٢٩/٣.

(٢) الخطاطيف: الحديدة المعوجة، يختطف بها الشيء. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٩/٢

(٣) الكلاليب: الكلاليب فجمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور، المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٢١/٣

(٤) حسك: فبفتح الحاء والسين المهملتين وهو شوك صلب من حديد، المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٢٩/٣.

(٥) مكدوس: بالمهملة كون الاشياء بعضها على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها اذا ركب بعضها بعضا، المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٣٠/٣.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١١٥/١.

(٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، ١٦٩/٧.

وفيما ورد عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ **يُسْأَلُ عَنْ الْوُرُودِ فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمْ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا**(1).

ومن هذا الحديث، يتبين أن المشركين لا يمرون على الصراط؛ وذلك لأنهم يتبعون ما يعبدون إلى النار، قبل المرور عليه، ولكن المرور للموحدين صالحين، وعصاة، ومنافقين، ويؤيد هذا المعنى ما قصه الله ﷻ في القرآن الكريم، عن حال فرعون يوم القيامة، وأنه يقود أتباعه إلى جهنم، في قوله تعالى: ﴿... وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾ [هود:٩٧-٩٨].

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١/١٢٢.

المبحث الثالث

الجنة والنار

وفيه أربعة مطالب:-

المطلب الأول: وصف الجنة والنار.

المطلب الثاني: هل الجنة والنار مخلوقتان؟

المطلب الثالث: خلود الجنة والنار.

المطلب الرابع: الشفاعة.

المبحث الثالث

الجنـة والنـار

إن الله ﷻ أعد لعبده في الآخرة دار الجزاء، مقراً يتناسب مع ما قدمت يداه في الدنيا، فأعد الله ﷻ للصالحين نعيمَ الجنان، وأعد للعصاة الكافرين عذابَ النيران، وقد عرض الله ﷻ هذا في القرآن الكريم، والسنة النبوية بأسلوب متميز؛ يجمع ما بين الترغيب والترهيب، لترغيبهم فيما يقربهم من الجنة، وينفرهم، ويبعدهم عما يدفع بهم إلى النار، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩] ومن تلك الأمثلة في السنة النبوية المشرفة، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧])**(١)، وورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟. فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟. فَيَقُولُ، لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)** (٢).

المطلب الأول: وصف الجنة والنار:-

والله ﷻ وصف الجنة والنار في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ليكون له الحجة على عباده، وتأكيداً على أنهما حقيقة كائنة، جاذباً لفكر عباده إلى ما هو دائم من نعيم وعذاب، فتدور نصوص القرآن ما بين الترغيب للعمل الصالح، بوصفه ﷻ لجزائه في جنان النعيم، والترهيب من المعاصي

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ٤/١١٨، ح ٧٤٩٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب القيامة، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة، ٨/١٣٥.

بوصفه ﷻ العقاب في نار الجحيم، وقد ورد في بعض آيات سورتي الكهف ويس وصفاً للجنة والنار، وهي كما يلي:

أولاً: وصف النار:

لقد وصف الله ﷻ في القرآن الكريم النار التي أعدها لمن ظلم نفسه بالكفر، أو المعصية، بصور منفرة مرعبة، ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف:٢٩]وبعد الوقوف على تفسير هذه الآية عند المفسرين، تبين أنها تحمل المعاني الآتية:

١- **السرادق:** هو كل ما أحاط بشيءٍ، من حائطٍ، أو خِبَاء[(١)].

وقوله تعالى: ﴿... **أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**...﴾ [الكهف:٢٩] في صفة النار أعاذنا الله ﷻ منها، فصار عليهم سُرادِقٌ من العذاب، أي حائط من نار يحيط بهم[(٢)]، وفي هذا دلالتان:

الأولى: أن أهل النار يحاولون الهروب من النار، فلا يستطيعون؛ لوجود السرادق الذي يمنعهم من الخروج.

الثانية: أن أهل النار يحاولون تخفيف العذاب عن أنفسهم، بأن يستظلوا بظل هذا السرادق، فيجدون أن ظل السرادق هو أشد ناراً، وأكثر عذاباً، ومن نظائر هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾ [الذاريات:٣٠-٣١]

٢- **المهل:** فقد اختلف المفسرون في معنى المهل على معانٍ عدة، وهي كالآتي:

الأول: القَيْح والصَّدِيدُ، الذي يذوب فيسيل من الجسد.

الثاني: النُّحَاسِ الذَّائبِ.

الثالث: دردي الزيت[(٣)] أو عكر الزيت.

الرابع: هو كلّ شيء أذيب وانماع من جواهر الأرض، من حديد، ورصاص، ونحاس، وقصدير، فتموج بالغليان[(٤)].

---

(١) تهذيب اللغة: ٢٣٩/٩. لسان العرب:١٩٨٨/٣. تاج العروس:٤٤١/٢٥.

(٢) انظر: جامع البيان: ١٨/ ١٠. معالم التنزيل: ١٦٨/٥.

(٣) دردي الزيت: ما يبقى في أسفله. لسان العرب: ١٣٥٥/٢

(٤) انظر: جامع البيان: ١٢/١٨-١٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣٩٤/١٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٦٨/٦.

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص، أو ذهب، أو فضة فقد انتهى حرّه، وأن ما أوقدت عليه النار، حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حرّه(١).

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى:﴿... وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ...﴾ [الكهف:٢٩] في صفة شراب أهل النار، أن يستغيثَ هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدّة ما بهم من العطش، فيطلبونَ الماء فيُغاثوا بماء شديد الحر، إذا ما اقترب منهم يشوي وجوههم، وقد ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٦] قَالَ: **(يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، يَقُولُ اللَّهُ** ﷻ: ﴿... وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥] وَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿... يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف:٢٩](٢).

وقد ورد في وصف ما يشربه أهل النار في القرآن، بأوصاف متعددة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٦-١٧]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

ثانياً: وصف الجنة:

لقد ورد في القرآن الكريم كثير من المواضع التي تعرض الجنة بصور مليّنة للقلوب، وجاذبة لكل الجوارح معها، فلم تدع موطن لذة، إلا وقد أشبعته بما يفوق حد التصور، مع اقتران ذلك بالخلود، والبقاء، والتجدد، فيعرض القرآن الكريم وصف الجنة بما لا يدع مجالاً للتردد في طاعة الله ﷻ، وترغيب العباد في التقرب من الرحمن الرحيم، وقد ورد في سورتي الكهف ويس وصفٌ للجنة في مواضع عدة، وهي كالآتي:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن:١٨/١٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة إبراهيم، ٢/٣٥١. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، قال الذهبي: على شرط مسلم.

- الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ، وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[يس:٥٥-٥٩].
- الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٣١]
- الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]

الانشغال بالنعيم:

فمن مظاهر النعيم التي عرضت في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾

الشُّغُل: هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه؛ لكونه أهم عنده من الكل، إما لكمال المسرة، والبهجة، أو كمال المساءة والغم، والمراد هنا هو الأول، وما فيه من التَّنكير، والإبهامِ للإيذان بارتفاعِه عن رتبةِ البيانِ، والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذّ التي تلهيهم عمَّا عداهَا بالكلية، وللتعظيم كأنه شغلٌ لا يدرك كنهه، ولا يخطر على بال بشر[1]، ومصداق هذا ما ورد عَنْ سَهْل بْن سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رضي الله عنه[2] يَقُولُ: **شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: (فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى**

---

(١) انظر: روح المعاني: ٣٤/٢٣.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٧/ ١٧٣

(٢) سهل بْن سعد بْن مالك الأنصاري الساعدي. يكنى سهل: أبا العباس، وقيل: أَبُو يحيى. وشهد قضاء رَسُول اللَّهِ ﷺ في المتلاعنين، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنًا فسماه رَسُول اللَّهِ ﷺ سهلًا، رَأَى سهل بْن سعد النَّبِيّ ﷺ، وسمع منه، وذكر أَنَّهُ كان له يَوْم توفي النَّبِيّ ﷺ خمس عشرة سنة. وعاش سهل وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بْن يوسف، وامتُحن معه، وروى عَنْ سهل أَبُو هريرة وسعيد بْن المسيب، والزُّهْرِيّ، وَأَبُو حازم، وابنه عباس بْن سهل، وغيرهم. وتوفي سهل سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي من أصحاب النَّبِيّ ﷺ بالمدينة. أسد الغابة: ٣٢٠/٢.

قَلْبِ بَشَرٍ مصداق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧])[١].

وقد ورد في معنى كلمة فاكهون معانٍ عدة، وهي كالآتي:

١. فرحون
٢. معجبون بما هم فيه .
٣. إنه مأخوذ من الفُكاهة بالضم وهي التحدث بما يسر.
٤. التمتع والتلذذ[٢].

وحال أهل الجنة ينطبق عليه جميع هذه المعاني؛ فرحون، ومعجبون، ومستمتعون بما أكرمهم الله ﷻ من نعيم، ومع هذا يتحدثون بما يسر من الكلام، والمزاح، والمداعبة لما هم فيه من نعيم، واستقرار.

وقوله تعالى: ﴿...فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] أي أنهم مستقرُّون في شغل، وأي شغلٍ: في شغل عظيمِ الشَّأنِ، متنعمون بنعيمٍ مقيم، فائزون بمُلك كبيرٍ. والتَّعبيرُ عن حالِهم بهذه بالجملةِ الاسميةِ قبل تحقُّقها تنزيلاً للمنتظر المتوقَّعِ منزلة الواقع؛ للإيذان بغايةِ سرعةِ تحقُّقها ووقوعِها[٣].

<u>الجلوس في ظلال على الأرائك:</u> حيث قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٦] **قال تعالى:** ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [الكهف:٣١].

ففي هذه الآيات يبين الله ﷻ كيفية شغل أهل الجنان، وتفكُّهِهِم ،وتكميلهما بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم من أهل الجنة لهم، فيما هم فيه من الشغل والفكاهة، على سرر مزينة بالثياب الفاخرة في ظلال، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كمال الراحة، وزوال النصب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية[٤].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١٤٣/٨.
(٢) روح المعاني: ٣٤٧/٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٢/٧.
(٣) إرشاد العقل السليم: ٧/ ١٧٣
(٤) انظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٧/٧. تيسير الكريم الرحمن: ص٦٧٩.

لا يجوع أهلها، ولهم فيها من كل أنواع الفاكهة: في قوله تعالى: ﴿...لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ...﴾ [الكهف:٥٧] إشارة إلى أن لا جوع هناك؛ لأن التفكه لا يكون لدفع ألم الجوع(١). وتنكير فاكهة المراد منه عموم كل نوع من أنواع الفواكه(٢).

تلبية كل ما يتمنى أصحابها: في قوله تعالى: ﴿...وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [الكهف:٥٧] أي أن كل ما يتمنى أهل الجنة من ملاذ يأتيهم(٣).

تسليم الله ﷻ على أهل الجنة: في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

في جنات الخلد تجري من تحتها الأنهار: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف:٣١] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: بساتين خلد ودار إقامة، يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام به(٤)، سميت عدناً لخلود المؤمنين فيها(٥). وقد ورد في السنة وصفها فيما ورد عن سَمُرَةَ ابْن جُنْدَبٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا: **(أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَا: لَهُمْ اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَا: لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ)**(٦).

وورد أنه يكون جنات الخلد النظر إلى وجه الله ﷻ لما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(... مَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ)**(٧).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ٨١/٢٦. اللباب في علوم الكتاب: ٢٤٦/١٦.

(٢) انظر: بحر العلوم: ١٢١/٣.إرشاد العقل السليم: ٧/ ١٧٣.

(٣) انظر: لباب التأويل: ٢٥١/٥. التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨٥/٢. تفسير القرآن العظيم: ٥٨٣/٦.

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٣٢٦. معالم التنزيل: ٧٣/٤. الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٤/٨. لسان العرب: ٢٨٤٣/٤.

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥/ ١٦٩.

(٦) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا...﴾ [التوبة:١٠٢]، ٦٩/٦، ح ٤٦٧٤.

(٧) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمن:٦٢]، ١٤٥/٦، ح ٤٨٧٩.

ثياب أهل الجنة من سندس وإستبرق: في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف:٣١]

ثياباً خضراً: خُصت الخُضرة بثيابهم؛ لأنها أحسنُ الألوان؛ وأكثرُها طراوة(١).

السندس: هو ما رقَّ من الديباج. إستبرق: وهو ما غلظ من الديباج؛ أي يجمع ثيابهم بين النوعين(٢). وقيل إن الإستبرق: هو الحرير(٣).

حليهم من ذهب: قال تعالى: ﴿...يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...﴾ [الكهف:٣١]

مستقرهم جنة الفردوس: حيث قال تعالى: ﴿... لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]

وقد ورد في وصف جنة الفردوس أنها أعلى درجات الجنة، وسقفها عرش الرحمن، ويتفجر منها أنهار الجنة، وذلك فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)**.(٤)

المطلب الثاني: هل الجنة والنار مخلوقتان الآن؟

اتفق عليه جمهور أهل السنة والجماعة على إن الإيمان بأن الجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان، لا تفنيان أبداً، وهو منهج السلف الصالح، لما نصت على ثبوته النصوص الشرعية، قرآناً وسنة(٥). وقد ورد عن بعض علماء أهل السنة والجماعة على القول بفناء النار فقط(٦).

(١) إرشاد العقل السليم: ٤/ ٢٥٨.

(٢) جامع البيان: ١٧/١٨. معالم التنزيل: ٥/ ١٦٩. الكشف والبيان: ١٦٩/٦. إرشاد العقل السليم: ١٧٣/٧.

(٣) جامع البيان: ١٧/١٨.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ١٦/٤، ح ٢٧٩٠.

(٥) انظر: العقيدة الطحاوية: ص٢٦.شرح السنة: للبربهاري، ص٧٤. البعث والنشور: ص١١١. أصول الدين: البزدوي، ص١٧٠-١٧١. الاعتقاد: لابن أبي يعلى، ص٣٤. الحجة في بيان المحجة: ص٢٥١/٢. لمعة الاعتقاد:ص٣٣. أصول الدين: الغزنوي، ص٢٤٨. مجموع الفتاوى:٧٧/٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب: ص٣٤.

(٦) لم أقف على أي من العلماء القائلين بفناء النار، وحدها ولكن تناول ابن قيم الجوزية باستفاضة في كتابه حادي الأرواح ص٣٠٣-٣٤١ أقوال العلماء في مسألة ابدية الجنة والنار. وكذلك أبو العز الحنفي في كتابه شرح العقيدة الطحاوية ص٤٢٥، ولم يرد فيهما مَنْ من العلماء يتبنى هذا القول.

بعد ما تبين فيما سبق القول بأن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، فقد ورد في سورتي الكهف ويس، ما يؤيد ذلك في مواضع عدة، وهي كالآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿**إِنِّي آَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ، قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾ [يس:٢٥-٢٦] قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ على أن الله ﷻ قال للرجل الذي جاء ليدعوا قومه أن يتبعوا الرسل فقتلوه، أن يدخل الجنة، فلما دخلها، وعاين ما أكرمه الله تعالى به فيها، وقد أذهب الله ﷻ عنه سقم الدنيا، وحزنها، ونَصَبها؛ لإيمانه وصبره فيه كما الشهيد، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران:١٦٩]؛ فتمنى لو علم قومه بما فيه من نعيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل؛ فأخبر الله ﷻ عنه في القرآن الكريم(١).

وموطن الشاهد هنا أنه قد دخل الجنة، ورأى نعيمها من وقت أن قتله قومه، وهذا يدلل على أنها مخلوقة من قبل(٢).

ودخوله الجنة بعد الموت قبل يوم القيامة، يعني دخول روحه، وطوافها فيها، كدخول سائر الشهداء، ويبين ذلك ما ورد عن عَبْد اللَّهِ ﷺ(٣)عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران:١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ ﷺ: **(أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تأوي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ ﷻ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟. قَالُوا: أي شَيْءٍ نَشْتَهِى وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)**(٤).

وهنا يتبين مدى حرص الداعية على صلاح حال الأمة، وإن لاقى من العذاب ما لا يطاق في طريق الدعوة، إلا أنه يتمنى للناس الخير والهداية في الدنيا والآخرة، وخير شاهد، وقدوة لأمتنا المصطفى ﷺ، كيف بدأت دعوته؟، فبصبره ﷺ والصحابة الكرام ﷺ، استطاعوا تعبيد العباد لرب العباد، والخلاص بهم من عذاب جهنم إلى نعيم الجنان.

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٠/ ٥٠٩. الكشاف: ١٧٢/٥. روح المعاني: ٢٢/ ٢٢٩.

(٢) مدارك التنزيل: ١٠١/٣.

(٣) اختلف علماء الحديث فيه على أنه عبد الله بن عمرو أو عبدالله بن مسعود؟ والأرجح عبد الله بن مسعود. المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٣١/١٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ٣٨/٦.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف:٢٩]

وبعد الوقوف على معنى هذه الآية تبين أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**﴾ أي أعددنا لمن كفر بالله ﷻ جهنم منزلاً[١]، ومن نظائرها قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**﴾ [الكهف:١٠٢]، ففي هذه الآيات يتبين أن الجنة والنار مخلوقتان، ولقد ورد في القرآن والسنة ما يؤكد ذلك:

فمنها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣] وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٤] وقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١]، فالتعبير بالفعل الماضي – أعتدنا، أعدت– يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان.

ومنها في السنة النبوية ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[٢].

وما ورد عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: **صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا). قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟. قَالَ: (رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ)** [٣].

---

(١) انظر: جامع البيان: ١٠/١٨. معالم التنزيل: ٥/ ١٦٧.فتح القدير: ٣٣٤/٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي،٩٩/٢، ح١٣٧٩.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب النهى عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، ٢٨/٢.

وما ورد عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ﷺ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ**[(١)] **وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)**[(٢)].

فرؤية الميت مقعده من الجنة أو النار، ورؤية النبي ﷺ لهما، وأن غراس الجنة ذكر الله ﷻ، الذي يردده الصالحون من بداية الإسلام إلى يوم القيامة، أدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان، ولكن الله ﷻ يزيد من نعيم الجنة للصالحين بحسب عملهم.

المطلب الثالث: خلود الجنة والنار:

الجنة والنار لا تفنيان؛ هذا ما قال به جمهور أئمة أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف، ولم يقل بفناء الجنة أحد منهم[(٣)].

أدلة خلود الجنة:

لقد توافق أهل السنة والجماعة على خلود الجنة، وهذا ما أثبتته الأدلة القرآنية، فمن الأدلة على خلود الجنة في القرآن الكريم ما ورد في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨]، أخبر الله ﷻ في هذه الآيات بأن أهل الجنان خالدين فيها خلوداً سرمدياً، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً، ولا انتقالاً، ولا ظعنًا، وهذا تأكيد على خلود الجنة[(٤)].

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ ... **وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا** ﴾ [الكهف:٢-٣] على خلود الجنة، وذلك من قوله تعالى: ﴿ ... **مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا** ﴾.

---

(١) القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٣٢/٤.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ، ٤٥٥/٥، ح ٣٤٦٢ . قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الألباني: عبدالرحمن بن إسحاق هذا ضعيف اتفاقا، لكن يقويه أن له شاهدين من حديث أبي أيوب الأنصاري، ومن حديث عبد الله بن عمر ﷺ، سلسلة الأحاديث الصحيحة:٢١٥/١.

(٣) تم تقريره من كتب السلف الصالح في بداية المطلب السابق ص١٣٢.

(٤) انظر: الكشاف: ٣/ ٦١٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٢٩٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣٢٣/٢. تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٠٤. روح المعاني: ١٦/ ٥١.

أقوال العلماء في خلود النار[1]:

بعد الوقوف على الآيات في سورتي الكهف ويس، لم أجد فيهما ما يثبت هذه المسألة؛ ولكن بعد الوقوف على آراء العلماء تبين أنها على قولين:

القول الأول: إن الله ﷻ يخرج من النار من يشاء، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه، ومن أدلة هذا القول:

١- قوله تعالى : ﴿... قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧]ولم يأتِ بعدَ هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله : ﴿... عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] وقوله تعالى : ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النَّبأ:٢٣]

٢- قولهم بأن النار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)**[2].

٣- والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٣٥]، وقال تعالى: ﴿... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦] ، وقال تعالى: ﴿...بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥]ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم.

٤- وقد قال تعالى : ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...﴾ [الأعراف:١٥٦]. وقال تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ...﴾ [غافر:٧]فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية، فلم تسعهم رحمته.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٢٧-٤٣٣، حادي الأرواح: ٣٠٥-٣٤١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّفات:١٧١]، ١٣٥/٩، ح ٧٤٢٢.

٥- وقد استدلوا بقول ضعيف روي عن عمر ﷺ أنه قال: **(لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[١]، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه)[٢].**

القول الثاني: إن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقي فيها الكفار بقاء لا انقضاء له، ومن أدلتهم:

١. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧] وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ [٣]﴾ [الزُّخرف:٧٥] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٩] وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦].

٢. وقد ورد في صحيح السنة النبوية، ما يثبت خلود أهل الجنة والنار، بوجه لا يحتمل التأويل، وذلك فيما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩])[٤]**

القول الراجح:

بعد الوقوف على أدلة الفريقين يترجح لدى الباحثة القول بخلود النار، وذلك للأسباب الآتية:-

(١) الرمل العالج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٨٧/٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢٠٧/١٢. لم أقف عليه في كتب الحديث.

(٣) مبلسون: والمبلس هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء. جامع البيان: ٦٤٠/٢١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ...﴾ [مريم:٣٩] ، ٩٤/٦،ح٤٧٣٠.

١- إن الآيات التي ورد فيها الاستثناء، يمكن حملها على الاستثناء لعصاة الموحدين، ولا يشمل المشركين، والكفار.

٢- وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٣٥] ﴿...إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦] ﴿...أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥] فيُرد عليه من وجهين:

الوجه الأول: إن سياق الآيات يتحدث عن عقوبة المكذبين بالأنبياء، وتحذيرهم من إنزال الله بهم العقوبة في الدنيا، فكانت الآية الأولى، والثانية تتحدث عن قوم نوح عليه السلام وكانت عقوبتهم في الدنيا الطوفان.

الوجه الثاني: إن علماء أهل السنة أجمعوا على القول بخلود الجنة، وعند الوقوف على وصف نعيم الجنة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس:٥٥]لم يقل أحد من العلماء أن انشغالهم بالنعيم هو يوم واحد، وإنما المقصود أن أصحاب الجنة يوم القيامة منشغلون بنعيمهم، وكذلك يمكن حمل معنى "يوم" في الآيات التي تتحدث عن وصف العذاب بعذاب يوم.

٣- إن مقتضى عدل الله عز وجل، أن لا يساوي في العذاب بين عصاة الموحدين، الذين يخرجون من النار بالشفاعة، وبرحمة رب العالمين، وبين الكفار والمشركين، وفي مثل ذلك ما ورد عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)** [(١)].

٤- وعند الوقوف على نص الآيات التي تحدثت عن سعة رحمة الله عز وجل ألاحظ أن الآيات تتحدث عن التائبين من عصاة المؤمنين، وليس في المشركين، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] وقوله تعالى: ﴿... قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ١٢٢/٩، ح ٤٤.

٥- ومن رحمة رب العالمين بالمشركين يوم القيامة، هو تخفيف العذاب عنهم، وذلك فيما ورد عن الْعَبَّاس بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ ﷺ: **(هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ [(١)] مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ)**[(٢)]. هذا حال من نصر دين الله من المشركين، فما بالك بمن عادى دين الله ﷻ، وكفر به.

٦- وأما الأثر الوارد عن عمر بن الخطاب ﷺ وغيره، ضعفه الألباني، ولا يحتج به، وإن صح الاستدلال به، فليس فيه دلالة على فناء النار، ولكن فيه دلالة على خروج أهلها منها، ويحمل على معنى أهلها من الموحدين.

٧- أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ **فيُرد من وجوهٍ عدة:**

الوجه الأول: أن كلمة أحقاب جاءت بصيغة جمع الجمع، فهي جمع حقب، وحقب جمع حقبة، ولم يقل بضع أحقاب، أو حقبة، وهذا يدل على أن العذاب مدد متجددة، لا انقطاع فيها[(٣)].

الوجه الثاني: عند الوقوف على سياق الآيات الواردة خلالها في سورة النبأ، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلطَّاغِينَ مَآبًا، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا، جَزَاءً وِفَاقًا، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**﴾ [النبأ:٢١-٣٠] لا تدل على فناء النار، ولكن يحتمل أن عذابهم بشرب الحميم والغساق سيستمر مدة من الزمن، ثم يبدل إلى نوع آخر من العذاب، وهكذا باستمرار، والذي يؤكد ذلك ختام الآيات بقوله تعالى: ﴿**فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**﴾[(٤)].

---

(١) الضحضاح هو: ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار. النهاية في غريب الحديث والأثر:٣/٧٥. العين:٥/٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ٥/٥٢، ح ٣٨٨٣.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ص١٠٠. إعراب القرآن: ٥/٨٢.

(٤) جامع البيان: ٢٤/١٦٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٧٩. إرشاد العقل السليم: ٩/٩١.

المطلب الرابع: الشفاعة:

إن مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة، أن شفاعة النبي ﷺ حق[١]، ونؤمن بها كما آمن الصحابة ﷺ، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أولاً: تعريف الشفاعة:

١. **الشفاعة لغة:**

الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، وشفع الوتر من العدد شفعاً صيره زوجاً، والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه: طلب إليه، والشافِع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب منه[٢].

٢. **الشفاعة اصطلاحاً:**

يمكن تعريف الشفاعة أنها: "سؤال التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"[٣].

و"سؤال فعل الخير، وترك الضّرر عن الغير لأجل الغير على سبيل التضرّع"[٤].

"وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه"[٥].

ثانياً: الأدلة على ثبوت الشفاعة:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة أدلة كثيرة على تحقق شفاعة النبي ﷺ لعصاة المؤمنين يوم القيامة، ومن النصوص القرآنية التي تثبت الشفاعة ما ورد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس:٢٢-٢٣]. وقد فسر العلماء الآية على أنها بيان لفقر، واحتياج كل آلهة عبدت من دون الله ﷻ ، وقوله: ﴿أَأَتَّخِذُ﴾ استفهام انكاري توبيخي، أي كيف أتخذ من دون الله تعالى آلهة أخرى، لا تضر ولا تنفع، و﴿أَأَتَّخِذُ﴾ إشارة إلى أن غير الله ﷻ ليس بإلَـهِ، لأن المتخذ لا يكون إلهاً، وأن عبوديتنا لله ﷻ فطرية في القلوب، ﴿إِنْ يُرِدْنِ﴾ بيان لكون العبد

---

(١) انظر: متن العقيدة الطحاوية: ص١٦.أصول السنة: ص٣٢. شرح السنة: ص٧٣. أصول الدين: للبزدوي، ص١٦٦. الاعتقاد: ص٣٤. أصول الدين: للغزنوي، ص٢٣٠.

(٢) انظر: لسان العرب: ٢٢٨٩/٤. العين: ٢٦٠/١.

(٣) التعريفات: ص١٢٧.

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١٠٣٤/١.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٣٣/١١.

تحت إرادة الله ﷻ، يقلّبه كيف يشاء في البُؤْسِ والرَّخاء، وإن مسّ اللَّهُ ﷻ عباده بسوء ومكروه، فلا شفاعة لما عبد من دونه ﷻ فتغني، ولا ينقذون من العذاب لو عذب الله ﷻ عبداً من عباده(١).

ثالثا: شروط قبول الشفاعة:

إن للشفاعة المقبولة عند الله ﷻ شروط، وردت في الآية السابقة، وهي كالآتي:

١. **الرضا عن الشافع:** لقوله تعالى: ﴿... **لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ**﴾ [يس:٢٣] أي إن يَمْسَسْنِي اللَّهُ ﷻ بسوء ومكروه، فلا تنفعني شفاعة كل ما عُبد من دون الله ﷻ، فتغني عني من العذاب شيئاً، فكفر المتبوعين والمعبودين من دون الله ﷻ سبب في سخط الله تعالى عليهم، وعدم رضاه عنهم سبب في عدم جدوى شفاعتهم، ويدلل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزُّخرف:٨٦].

٢. **الرضا عن المشفوع له:** إن الشفاعة لأهل الإيمان والخشية من الله ﷻ بإذنه ﷻ، ليس لمن أشرك؛ لهذا أقر الرجل الصالح في الآية السابقة، عدم جدوى شفاعة غير الله ﷻ فيه إن أشرك. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿...**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٨] فالله ﷻ هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، والتوحيد، فيغفر للعصاة بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع.

٣. **إرادة الله ﷻ وإذنه بها:** لقوله تعالى: ﴿**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ**﴾ [يس:٢٣] فعدم حدوث الشفاعة هنا لإرادة الله ﷻ الضر به، نتيجة لما قدمت يداه، وعدم إذنه له بها، فلا بد مع الرضا عن الشافع والمشفوع والإذن من الله ﷻ وإرادته لها لقوله تعالى: ﴿...**منْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**...﴾ [البقرة:٢٥٥].

رابعاً: الشفاعة وأنواع الظلم الثلاثة(٢):

النوع الأول: ظلم الناس بعضهم بعضاً: لابد فيه من إعطاء المظلوم حقه؛ فلا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها؛ ولكن يعطى المظلوم من الظالم، ويبين ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ** ﷺ: (**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ**

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٠٧/٢٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٦٦/٤. لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/ ٦.اللباب في علوم الكتاب: ١٩٣/١٦-١٩٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٧٨/٧.

هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)(١). وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ(٢) مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)**(٣).

النوع الثاني: الظلم المطلق وهو الشرك، لا شفاعة فيه، حيث أكد ذلك الله ﷻ على لسان الرجل الصالح استبعاده نيل الشفاعة من الله ﷻ بعد إشراكه به؛ لقوله تعالى: ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس:٢٣] ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿... مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

النوع الثالث: ظلم المؤمن لنفسه بالمعاصي، وهذا إنما نفعه في الحقيقة إيمانه بالله ﷻ؛ فبه صار من أهل الشفاعة.

خامساً: أنواع الشفاعة:

بعد الوقوف على أنواع الشفاعة، تبين أن منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع، وهذا بيانه(٤):

- **النوع الأول** : الشفاعة الأولى وهي العظمى في فصل القضاء يوم القيامة، وهي الخاصة بنبينا ﷺ، من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، والوارد ذكرها في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة ﷺ أجمعين، ومن تلك الروايات ما ورد عن عُمَرِ ابن الخطاب ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ(٥) لَحْمٍ. وَقَالَ ﷺ: إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ... فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ)**(٦).
- **النوع الثاني:** شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١٨/٨.

(٢) جلحاء: هي التي لا قرن لها. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٨٤/١.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١٨/٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية:ص٢٣٢-٢٣٣.

(٥) مُزْعَة: قطعة يسيرة من اللحم، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٢٥/٤

(٦) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً، ١٢٤/٢، ح ١٤٧٤.

- **النوع الثالث:** شفاعته ﷺ في أقوام آخرين، قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلونها.
- **النوع الرابع:** شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها، فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ ﷺ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: **(إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ)**(١). ففي هذا الحديث دعا النبي ﷺ لأبي سلمة بأن يرفع الله درجته في المهديين؛ أي شفاعة من النبي ﷺ بدعائه ﷺ لزيادة درجاته يوم القيامة.

- **النوع الخامس:** شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ). فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ادْعُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ ﷺ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ). ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ادْعُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ ﷺ: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ﷺ)**(٢).

فالشاهد هنا دعوة النبي ﷺ لعكاشة ﷺ بأن يكون ممن يدخلون الجنة بدون حساب هي شفاعة منه ﷺ لعكاشة ﷺ.

- **النوع السادس:** شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه من الكفار، وهذه خاصة بالنبي ﷺ شفاعةً منه لعمه أبي طالب فقط، بأن يخفف الله ﷻ عنه عذابه، وذلك فيما ورد عن الْعَبَّاس بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ ﷺ: **(هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ)**(٣).

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدَّثر:٤٨] أي لا تنفع الكافرين في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها، ويدخلون الجنة(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، ٣/٣٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ١/١٣٦.

(٣) سبق تخريجه: ص١٣٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٨٨. اللباب في علوم الكتاب: ١٩/٥٣٥.

- **النوع السابع:** شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ)**[١]. ومعنى قوله ﷺ: (أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ) أي في دخول الْجنَّة[٢].

- **النوع الثامن:** شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، ومنها ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(شَفَاعَتِي لأهلِ الكبائرِ مِن أمتي)**[٣].

وقد ثبت أن الشفاعة يوم القيامة تكون من الملائكة، والنبيين، والمؤمنين، مع النبي ﷺ ويثبت لك ما ورد عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(... حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ – عبور الصرط – فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ: لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء:٤٠] **يَقُولُ اللَّهُ ﷻ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ)**[٤].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا)، ١٣٠/١.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين:٢٥٩/٣.

(٣) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، ٤٣٩/٢٠، ح ١٣٢٢٢. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١١٥/١.

ومن هذا الحديث يتبين أن الشفعاء يوم القيامة هم: الله ﷻ، والملائكة، والأنبياء صلوات الله ﷻ عليهم، والمؤمنون.

وثبت أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله وذلك فيما ورد **عن أَبَي الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ في سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ)**(١).

وقد ثبت في السنة النبوية أن بعض الأعمال تشفع يوم القيامة، ومنها الصيام، والقيام يشفعان؛ لما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فشفعني فِيهِ. قَالَ فَيُشَفَّعَانِ)**(٢).

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع،٢/٣٢٢، ح ٢٥٢٢. قال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٦٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ١/ ٧٤٠. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

المبحث الرابع

البعـــث

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البعث.

المطلب الثاني: البعث للروح والجسد والأدلة عليه.

المطلب الثالث: الرد على منكري البعث.

المبحث الرابع

البعث

إن الله ﷻ بكمال حكمته، وعدله، وقدرته، قد خلق الخلق، وسنَّ لإدارة هذه الخليقة سنناً كونية، وشرعية؛ لتسيير الخلق عليها، وخلق البشر على هيئة قابلة للزلل، والظلم، والمعصية، فأعذر عباده بإرسال الرسل، وإقامة الحجج عليهم، ونهى عن ظلم العبد لنفسه بكل الطرق، ونهاه عن ظلمه لغيره، فبيَّن في كتابه المحكم السنن الشرعية، التي تُبنى عليها العلاقات، التي يرتضيها رب العزة تبارك وتعالى، وبالمقابل بين أن الدنيا وما فيها ما هي إلا مرحلة ابتلاء واختبار، فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، فجعل هذه الدنيا دار ممر، بعدها موت، وفناء، وبيّن في محكم تنزيله أن هناك بعثاً، وحياة أخرى بعدها في دار جزاءٍ وخلدٍ.

وعلى هذا فإن الإيمان ببعث الموتى حق، وإن التصديق به واجب(١)، وإن الله ﷻ يحيي الخلق بعد فنائهم، حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَّ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج:٧-٨].

المطلب الأول: تعريف البعث:

أولاً: البعث لغة:

لقد عرّف أهل اللغة البعث بالإرسال والإثارة(٢)، ويختلف البعث باختلاف ما علق به، فهو على ضربين:

الأول: بشري: كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة بمعنى التسيير والإثارة.

الثاني: إلهي: وذلك على ضربين:

- إيجاد الأعيان والأجناس.
- إحياء الموتى(٣). وهو موضوع الدراسة.

---

(١) انظر: متن العقيدة الطحاوية: ص٢٦. الإبانة عن أصول الديانة: ص٢٧. أصول الدين: للبزدوي، ص١٦٠، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٩٨٢/٥. ص١٦٠. لمعة الاعتقاد: ص٣١. الإيمان: لابن مندة، ٩٧٢/٢. الاعتقاد: ص٣٣. أصول الدين: الغزنوي، ص٢٢١.

(٢) العين: ١١٢/٢. معجم مقاييس اللغة: ٢٦٦/١.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ص١٣٢.

ثانياً: البعث اصطلاحاً:

ويمكن تعريف البعث: "أنه هو المعاد، وقيام الأرواح، والأجساد يوم القيامة"(١).

المطلب الثاني: البعث للروح والجسد والأدلة عليه:

لقد اتفق أهل السنة والجماعة على القول بالبعث، وعلى تكفير من أنكر ذلك؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة، وتواترت أدلة القرآن والسنة التي تثبته، ومعنى هذا القول أن لمكث الناس في دار الابتلاء أمداً لا يعلمه إلا الله ﷻ، فإذا انتهى ذلك الأمد، مات كل من على ظهر الأرض، ثم يحيي الله ﷻ كل من مات مذ خلق الله ﷻ الخلق، وتُردُّ إليهم أرواحهم، ويجمعهم في موقف واحد، ويحاسبهم على ما قدمت أيديهم، إنسهم وجنهم.

ولقد قصّ القرآن الكريم علينا في قصصه من الآيات، والأدلة على إثبات البعث للروح والجسد، ومن ذلك ما يلي:

١. قصة إبراهيم ﵇ وطلبه من ربه أن يريه كيف يحي الموتى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

٢. وفي قصة الألوف من بني إسرائيل، الذين أماتهم الله ﷻ ثم أحياهم، ووردت قصتهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣]

ولا يمكن أن يكون الإحياء المذكور في جميع هذه الآيات إلا رد الروح إلى الجسد(٢)، إلى غير ذلك من الأدلة، وقد ورد في سورة الكهف ويس، ما يثبت عقيدة البعث، وأنه للروح والجسد سواء، والأدلة هي:

١. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ...﴾ [الكهف:٢١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١٣/١٠.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل: ٦٦/٤-٦٧.

لقد ضرب الله ﷻ مثلاً حياً لمن كانوا ينكرون البعث، بأصحاب الكهف؛ كيف أنامهم الله ﷻ مدة طويلة ثم بعثهم، ودلّ الناس عليهم؛ ليعلم الذين أنكروا البعث أن الساعة لا ريب فيها، فكانت جواباً واقعياً، وشافياً، وفاصلاً بين من اختلفوا في حقيقة البعث للأجساد والأرواح معاً، أم لـلأرواح دون الأجساد، فبعث اللّه تعالى أصحاب الكهف، وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح، وليس ذلك على الله ﷻ بعزيز[1].

٢. قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف:٤٨].

يرى المفسرون أن هذه الآية رد على منكري البعث، وفيها توبيخ وتقريع لهم على زعمهم استحالة إعادة الجسم سليماً كما كان بعد أن بلي، ويذكرهم الله ﷻ ببداية خلقهم؛ فالإنشاء من العدم، أصعب من إعادة ترميم الشيء بعد إتلافه[2]، ومثل ذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وعند الحديث عن الأدلة التي سأتناولها في الرد على منكري البعث، سيتم توضيح بعض الأدلة المتعلقة بهذا الموضوع.

المطلب الثالث: الرد على منكري البعث:

لقد لبس إبليس –عليه لعنة الله– على خلق كثير في هذه المسألة، فجحدوا البعث، واستهولوا الإعادة بعد البلاء فأنكروه، وأقام لهم العديد من الشبه التي تدفعهم لإنكار البعث.

أولاً: شبه المنكرين للبعث، والرد عليها:

الشبهة الأولى: ضعف المادة التي تبقى بعد أن تبلى العظام:

وقد حكى القرآن الكريم قصتهم في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] وقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون:٣٥].

---

(١) معالم التنزيل: ١٦١/٥. إرشاد العقل السليم: ٥/ ٢١٤. روح المعاني: ٢٣٢/١٥. الكشف والبيان: ١٦٢/٦٦.

(٢) انظر: جامع البيان ٣٧/١٨. معالم التنزيل: ٥/ ١٧٦. أنوار التنزيل ٢٨٣/٣. مدارك التنزيل: ٥٢٣/١. تفسير القرآن العظيم: ١٥٠/٩.

والرد عليها: أن ضعف المادة التي يبعث منها الإنسان مرة أخرى وهي التراب، يرده أن بداية تكوين الإنسان كانت من نطفة وهي أكثر ضعفاً من مادة الإعادة، وأن أصل خلق الإنسان من تراب، وهي نفس مادة الإعادة.

الشبهة الثانية: اختلاط الأجزاء المتفرقة في أعماق الأرض، وقد يأكل الحيوانُ الحيوانَ، فكيف يمكن إعادته:

وقد حكى القرآن الكريم شبهتهم فقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾ [السجدة:١٠]. وهذا كان مذهب أكثر أهل الجاهلية الأولى.

والرد عليها: إن الله ﷻ قد أرانا نماذج في جمع المتفرق، فإن إحالة الذهب المتفرق في التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من الزئبق، اجتمع الذهب بعد تفرقه. وكذلك برادة الحديد التي إن خلطت بأي معادن أخرى وعرض عليها المغناطيس فإن برادة الحديد تتجمع دوناً عن المعادن الأخرى، ذلك فكيف بقدرة من لا يعجزه شيء، وقد خلق كل شيء من لا شيء؟(١).

وقد وضح النبي ﷺ كيفية تجمع الإنسان يوم القيامة بعد بلاء جسده فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ) قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً. قَالَ: أَبَيْتُ. ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ ﷻ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ. قَالَ وَلَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٢).

ثانياً: أصناف منكري البعث(٣):

ينقسم منكرو البعث إلى صنفين:

الصنف الأول: الملحدون: الذين أنكروا وجود الله ﷻ، وعلى أثره أنكروا البعث والإعادة، وقالوا: بالطبع المحيي، والدهر المفني، وقد أخبر القرآن المجيد عنهم في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية:٢٤].

(١) انظر: تلبيس إبليس: ص٧١.
(٢) سبق تخريجه: ص١١٨.
(٣) الملل والنحل: ٣/٨٠.

وقد رد الله ﷻ عليهم في كثير من الآيات بأدلة فكرية، وآيات فطرية ملموسة، من واقع الحياة، لا تخفى على من عنده أدنى قدر من التفكير، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ...﴾ [النحل:٤٨] فاستدل الله ﷻ على إثبات وجوده بكمال قدرته في خلقه، وكما أنه قادر على كمال البدء والخلق، قادر على كمال الإعادة.

الصنف الثاني: من أقروا بوجود الخالق، وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر الله ﷻ عنهم في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] فردَّ عليهم بالنشأة الأولى إذ اعترفوا بالخلق الأول في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]

ثالثاً: رد القرآن الكريم على منكري البعث:

إن القرآن الكريم اعتنى بإثبات قضية البعث بالعديد من الأمثلة، والأدلة العقلية، والمنطقية؛ رداً على منكريه، لأن الإيمان بالبعث هو الدافع الأساسي للالتزام بشرع الله ﷻ، والوقوف عند حدوده؛ خوفاً من عذاب جهنم، وطمعاً في جنان النعيم، وقد ورد العديد من الأدلة في سورتي الكهف ويس، وهي كالآتي:

أولاً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

حيث قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٧-٧٩]

ففي قوله تعالى ﴿...مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ...﴾ عرض لشبه المشركين في البعث، فهذا استفهام استنكاري، متضمن للنفي؛ أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونها رميماً يمنع عنده إحياءها، لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة، المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة، والرطوبة، ولتفرق أجزائها، واختلاطها بغيرها(١).

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٣٣/١.

لقد قبح الله ﷻ إنكارهم البعث أعجب وأبلغ تقبيح، رداً على تماديهم في الكفر وإفراطهم في جحود النعم، حيث قرر الله ﷻ مهانة، وخسة عنصر الإنسان الذي رُكِّب منه، وهو نطفة خسيسة، فإن الله ﷻ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين ميت، بعد ما لم يكن شيء فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠] ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله -على مهانة أصله، ودناءة أوله- لمخاصمة الجبار تبارك وتعالى، فيقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وكونه مُنَشأ من موات، هو ينكر إنشاءه من موات، وهذه المكابرة التي لا طائل منها.

والمراد بإحياء العظام في الآية، إعادتها لما كانت عليه غضة رطبة، في بدن حسي حساس، وقوله تعالى: ﴿... وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٩]بيان لعلمه ﷻ بما تفرق من الأجزاء أو استحال، عليم بخلقهم في الدنيا، عليم بخلقهم في الآخرة بعد الموت خلقاً جديداً، لا يعجزه شيء من خلق المبدأ والمعاد(١).

وقد ورد في السنة ما يبين أن بعث الإنسان محقق، مهما أفنيت أجزاؤه، فيما ورد عن حُذَيْفَةَ ؓ أَنَّهُ سَمِعْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتُحِشَتْ(٢) فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا(٣) فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ)** (٤).

وقد ورد هذا النوع من الاستدلال في موضع آخر في سورة الكهف، عندما تحدثت الآيات عن قصة صاحب الجنتين، وحواره مع الرجل المؤمن، في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٦].

فقد بينت الآيات أنه لما كان الدافع وراء تكبر، وغرور صاحب الجنتين كفره وإنكاره البعث، دل عليه بقوله تعالى: ﴿... أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧]

---

(١) انظر: الكشاف: ٤٢٣/٣. الجامع لأحكام القرآن : ٥٩/١٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١١٢/٣-١١٣. لباب التأويل: ١٣/٤. إعلام الموقعين: ١٤١/١. تفسير القرآن العظيم: ٥٩٤/٦. شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٠٧-٤٠٨. الجواهر الحسان: ٢٠/٥.

(٢) امتحش: احترق. معجم مقاييس اللغة: ٢٩٩/٥.

(٣) يوما راحاً: ذا ريح ، فتح الباري: لابن حجر، ١٢٦/١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ما ذكر في بني اسرائيل، ١٦٩/٤، ح ٣٤٥٢.

للتعجب والإنكار عليه؛ وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٨] فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جُملته إنكار البعث، فإن المشركين يعترفون بأن الله ﷻ هو الذي خلق الخلق لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:٩]؛ فلهذا ما كان غير الله ﷻ مستحِقاً للعبادة، ثم ذكَّره بأصل خلقه، ليرده عن غروره وتكبره، وذكّره بقدرة الله ﷻ على إعادته بعد نفى إعادة الله ﷻ، لمن ابتدأ خلقهم على هذا الوجه؛ وجعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى؛ لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله ﷻ، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب، فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه.(١)

ثانياً: الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء:

حيث قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:٦٣]

فهنا يحيي الله ﷻ حوتاً قد مات وأُكِل جزءٌ منه، ثم يثب إلى البحر، ويبقى أثر جريه في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر، فهذه آية حقيقية من الله ﷻ على قدرته على إحياء الموتى. (٢)

ثالثاً: الاستدلال بإخراج الشيء من نقيضه:

كاستدلال الله ﷻ بقدرته على إخراج النار من الشجر الأخضر، حيث قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠] ففي ذلك جواب على شبهة من قال من منكري البعث بعد الموت بأن الموت يابس، والحياة طبعها الرطوبة والحرارة، فإذا حل الموت بالجسم لا يمكن أن تحل فيه الحياة بعد ذلك؛ لتضاد ما بينهما.

ويمكن الرد على ذلك بأن الحياة لا تجامع الموت في المحل الواحد ليلزم ما قالوا؛ بل إذا أوجد الله ﷻ فيه الحياة وطبْعها رفع الموت وطبْعه، وهذا الشجر الأخضر طبعه الرطوبة والبرودة تخرج منه النار الحارة اليابسة(٣).

وفي الآية بيان لكمال قدرة الله ﷻ على إيجاد الشيء من نقيضه، كما ذُكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر، مع مضادة النار الماء، وانطفائها بها، فالذي يخرج من الشجر

(١) انظر: أنوار التنزيل: ٢٨١/٣. نظم الدرر: ٤٦٨/٤-٤٦٩. التحرير والتنوير: ٣٢٢/١٥.

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٤٢/٤. فتح القدير: ٣٥٢/٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ١٤١/١.

الأخضر ناراً قادر على جعل الميت حياً بالبعث، فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر، قدر على معاقبة الموت والحياة في البشر، وتعاقب الحياة بعد الموت، أسهل من الجمع بين الضدين معاً بلا ترتيب؛ فالشجر الأخضر المليء بالماء مع النار(١).

رابعاً: الاستدلال بأنه من مقتضيات عدله وحكمته:

لقد استدل القرآن الكريم على البعث، بأن حكمة الله ﷻ وعدله يقتضيانه، فإن الله ﷻ لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى، حيث قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] فعدل الله ﷻ وحكمته، يقتضي عدم المساواة بين عباده الصالحين، والعصاة والمفسدين، والكفرة الجاحدين، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢] قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٥٤] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] وقال تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النَّجم:٣١].

فكل ما قدم الإنسان في الحياة الدنيا، مكتوب في صحائف أعماله، وكان البعث في الآخرة؛ لجزاء المحسنين بالحسنى، وتعذيب المسيئين بما أساءوا.

خامساً: الاستدلال بقدرة الله على خلق السماوات والأرض:

حيث قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨١-٨٣].

لقد بين الله ﷻ كمال قدرته في خلق السماوات؛ برفعهن بلا عمد، وبما فيهن من كواكب ونجوم، والأرض وما فيها من جبال، وبحار، وقفار، وما فيهن من مخلوقات، فالسماوات تحوي الملائكة، والأرض تحوي الكائنات الحية بأنواعها، وما بين ذلك. فاستدل الله ﷻ على قدرته على

(١) انظر: الكشاف: ١٧٩/٤. مدارك التنزيل: ١١٤/٣. لباب التأويل ١٤/٤. تفسير القرآن العظيم: ٣٥٨/١١. شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٠٨. الجواهر الحسان: ٢٠/٥-٢١.

البعث، وإعادة الأرواح إلى أجسادها بعد تركيبها من رفاة، بقدرته على خلق ما هو أعظم منه كالسماوات، والأرض، وما فيهن، وأتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿... بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾ ففيه تأكيد على أن الله ﷻ لا يعجزه خلق ولا إعادة وعليم بحقيقة خلقه مبدأهم ومعادهم. تكرر هذا الدليل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣] وقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]

وأردف الله ﷻ هذا الدليل بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وذلك لبيان أنه لا يعجزه شيء في خلقه، من المبدأ إلى الإعادة، وإنما إذا أراد خلق شيء، إنما أمره بين الكاف والنون، وقوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ يدل على سرعة الإيجاد، كأنه يقول: كما أنه لا يثقل عليكم قول كن، فلا يثقل على الله ﷻ ابتداء الخلق وإعادته.

فلا يستعصي على أمره شيء، ولا يتعذر عليه، بل يأتي طائعاً منقاداً لمشيئته وإرادته، ثم زاد تأكيداً وإيضاحاً لذلك، بتنزيه الله ﷻ لنفسه، وهو المالك المتصرف بكل شيء، تعالى عما يدعون من عجزه عن البعث، وإحياء العظام وهي رميم، بقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣] وبهذا أكد الله ﷻ عقيدة البعث للعباد، بعد أن تحدثت السورة بأدلة متنوعة ترد على منكري البعث في كل زمان ومكان. (١)

سادساً: الاستدلال بإخراج النبات من الأرض:

حيث قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٣٣]

ففي هذه الآية قد ردّ الله ﷻ على كل من أنكروا البعث، ولا يبالون بالهلاك في متابعة الهوى، واعتماداً على أن الموت موتة واحدة في لحظة يسيرة؛ وهذا في نظرهم أهون من حمل النفس على مالا تريد، فأخبر الله ﷻ أن الأمر غير منتهٍ بالهلاك الدنيوي؛ بل هناك من الخزي، والذل، والهوان، والعقوبة ما لا ينقضي فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٣٢] فأكد الله ﷻ في هذه الآية بعث الناس، وحشرهم بأعيانهم كما كانوا في الدنيا، لا يشذ منه واحد، وفيه إشارة إلى أن الجمع على كراهة منهم، ودلل على إمكان ذلك قطعاً، لإنكارهم له بقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٣٣] ففيه ضرب الله ﷻ مثلاً

(١) انظر: الكشاف: ١٩٥/٥. مدارك التنزيل: ١١٤/٣. درء تعارض العقل مع النقل: ٣٢/١. لباب التأويل: ١٤/٤. إعلام الموقعين: ١١٠/١. تفسير القرآن العظيم: ٣٦٨/١١. شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٠٨.

للبعث يوم القيامة، بمثل يعاينه الناس كثيراً في واقعهم، وهو الأرض الميتة، التي لا تصلح للزراعة، فأحالها بقدرته ﷻ أرضاً فيها حياة، أكد على ذلك بإخراج الحب وأكلهم من ثمرها، فالذي أحيا الأرض بعد موتها إحياءً كاملاً منبتاً للزرع، يحيي الموتى إحياءً كاملاً.

ومن هذه الأدلة المتتالية الملموسة من الواقع، أصبحت قضية البعث حق اليقين(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ٥٧/٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ٢٦/١٥. الجواهر الحسان: ١٢/٥. نظم الدرر: ٢٥٩/٦.

المبحث الخامس

أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد.

المطلب الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر على المجتمع.

المبحث الخامس

أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد.

إن للإيمان باليوم الآخر آثار، ونتائج تربوية تنعكس على نفس المؤمن، وتظهر في تكوين شخصيته، وفي شؤون حياته كافّة؛ إذا آمن بأنه سيبعث بعد الموت، وسيحاسب على كل ما عمله في حياته الدنيا، ثم يكون مصيره؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار، فإن هذا الإيمان سيترك في سلوكه، وأعماله آثاراً كثيرة.

إنَّ عِلْم الإنسان بأنه سيموت فقط، غير كاف في تربيته على فعل الخير، واجتناب الشر، لأن البشر جميعاً يعلمون أن الموت أمر حتميّ، وأنه لا يخلد أحد في هذه الأرض، يستوي في ذلك المؤمن المطيع الكامل الإيمان، والكافر والفاسق؛ بل إن الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، واليوم الآخر، وما فيه من جزاء، كلّما ذكر الموت ازداد ضراوة، وشراهة في التمتع بالشهوات، وازداد اعتداؤه على حقوق غيره، ما لم يردعه رادع مادي من العقاب، لأنه لا يرجو متعة بعد موته، فيستعجل كل متعة ممكنة قبل الموت.

ولهذا تجد الإيمان بالله تعالى يقترن به الإيمان باليوم الآخر، وتجد الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، هم أكثر الناس عصياناً، وتمرداً، وبعداً عن الله ﷻ ورسوله ﷺ. ومن آثار الإيمان باليوم الآخر على الفرد ما يلي:

أثر الإيمان باليوم الآخر على علاقة المؤمن بالله ﷻ:

١. أن يعرف بذلك فضل الله ﷻ وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، والموجب لكمال حمده ﷻ، والثناء عليه بما هو أهله، وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يسكن قلبه تعظيماً لله ﷻ وتسليماً لفضله تعالى، وعدله، وحكمته.

٢. الإيمان بكمال قدرة الله ﷻ؛ وذلك عند إيمانه بقدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، وتبديل الأرض ليوم الحساب وما يسبق ذلك من أهوال عظام(١).

٣. تحرير النفس من العبودية للعباد، وإخلاص العبودية المطلقة لرب العباد، وذلك عندما يعلم المؤمن أن الأجر، أو العقوبة الأبديتين ليس إلا بيد الله الواحد القهار.

(١) أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ص٣٣٩. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٤٩.

٤. الإيمان باليوم الآخر كله خير؛ فأوله كمال الدين؛ لأنه ركن من أركان الإيمان، وعاقبته في العاجل والآجل خير كلها؛ وكيف لا يكون ذلك، وهو تسليم وإيمان بأوامر الله ﷻ للعبد في هذه الحياة.

٥. إن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير، والإقبال على الطاعات، والرهبة من الشر، والبعد عن المعاصي؛ اللذين هما أساس الخيرات، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللّذَين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عُمِّر بهما أوجب له الخوف، ورجاء تيسير الطاعة، وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور، التي يخاف منها ويحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفزعة، حيث ورد وصف بعض مظاهر عذابها في قوله تعالى: ﴿...إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة، والسرور، ونعيم القلب، والروح، والبدن، حيث قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٣١]، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه، فالمؤمن يعلم أنّ هذه الحياة رحلة مؤقّتة يتبعها يومٌ آخر، يبعث الله تعالى فيه الخلائق، ويحشرهم إليه جميعاً، ويَقْدُر أعمال عباده، ويزنها بالقِسطاط المستقيم، فبالإيمان بالله ﷻ، واليوم الآخر، تحسب أعمال الخير كلها، فتنفعه يوم اللقاء، ومن يكفر بلقاء ربه يوم القيامة، لا وزن له مهما قدم من عمل، حيث قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩] (١).

٦. أن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدفاً أعلى، وهذه الغاية هي كمال العبودية لله ﷻ حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩٤. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار :ص١٧٧.

وذلك بفعل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقول، والأموال. (١)

ثانياً: أثر الإيمان باليوم الآخر على نفس المؤمن:

١. الإيمان باليوم الآخر، يعلِّم المؤمن الزهد في الدنيا وأن الدنيا بشهواتها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتكالب عليها، وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أُعد لهم في الحياة الخالدة يوم القيامة حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

٢. إن للإيمان باليوم الآخر الدور الكبير في ضبط الشهوات والحاجات، وذلك عندما يعلم الإنسان أنه محاسب على عمله سواء كان خيراً أو شراً، وقد وضع الله ﷻ لكل شهوة ضوابط وقيود شرعية تتردد ما بين الترغيب والترهيب؛ لتحويلها إلى طاقات مثمرة وبناءة في حياة الفرد والمجتمع، وعلى هذا كان للإسلام دور في توجيه الطاقات والشهوات وهو خير من كبتها وتناسيها.

٣. يعد الإيمان باليوم الآخر حافزاً للمؤمن على الانضباط والتزامه بالعمل الصالح والسلوك السوي وتقوى الله ﷻ؛ وذلك من خلال تحريك المشاعر والعواطف مثل الحياء من الله ﷻ، والخشية من لقائه وحسابه، والرغبة في تجنب سخطه وغضبه، والوصول إلى مرضاته تبارك وتعالى.

٤. يجعل الإيمان باليوم الآخر شخصية المؤمن متوازنة بين الروحانية، والمادية المضبوطة بالشرع في كل أموره، لا يطغى على حياته جانب، ولا انفصال بينهما، ولا تنافر، فهذا يوصل لرضوان الله ﷻ؛ طمعاً بجنانه يوم أن يلقاه، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

٥. إن الإيمان باليوم الآخر يربي المؤمن على التفكير المنطقي السليم، والربط بين المقدمات والنتائج، كما يربيه ألا يعرف العبثية، وانعدام الغاية، واتباع الصدفة، فكل ذلك ليس من الفطرة العقلية السليمة.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ١/٣٧. أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ص٣٣٩-٣٤٠. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٤٨-٢٥٠. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩٠-٩٢.مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار :ص١٦٧-١٧٧. عقيدة أهل السنة والجماعة: ص٣٣.

٦. الإيمان باليوم الآخر يولّد الرضا والاستقرار النفسي عند المؤمن: عندما يرى الإنسان ويلمس تحول الأيام وعدم دوام حال، فمهما سعى في الدنيا وارتقى بنفسه في الرفاهية المادية فهي إلى زوال؛ فهذا يولد داخل الانسان صراعاً وخوفاً وعدم استقرار لما يرى من زوال النعم وفنائها؛ ولكن عندما يعلم المؤمن أن كل ما يحصله في الدنيا له ثمار في الآخرة ولم يذهب هباءً يكون أكثر استقراراً ورضا بما هو عليه.

٧. بإيضاح فكرة الإيمان باليوم الآخر في ضمير الإنسان، وإيمانه بها؛ تفيض على قلبه أُنساً وحيويةً، تتحول حياته إلى سعادة ونعيم في طاعة الله ﷻ، ويمتلئ قلبه بكنز القناعة، حتى لو انعدمت كل أسباب الحياة المادية للمؤمنين.

٨. الإيمان بيوم الحساب بلسم شافٍ من علل كثيرة تمرض الروح، فهو لا يندم على السعي لفعل الخير، إذا لم يتحقق في الأرض، أو لم يحصد ثماره في الدنيا؛ اتكالاً على جزائه عند رب العالمين، فهذا وضحه ما ما ورد في قصة أصحاب القرية، فبعد تكذيبهم الرسل، لم ييأس ذلك الداعي الذي جاءهم؛ لينصحهم باتباع الرسل، فما كان منهم إلا أن قتلوه، فلم يحصل له ما سعى له في الدنيا، فحدثنا القرآن الكريم عما جناه بعد موته من نعيم حيث قال تعالى: ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس:٢٦].

٩. إن للإيمان باليوم الآخر أكبر الأثر في محاسبة المؤمن لنفسه على كل كلمة، والخوف من الذنب اليسير والإشفاق من الخطأ، والوقوف مع قلبه عند كل خاطرة، ويتجنب الشبهات والحرام.

١٠. وللإيمان باليوم الآخر أثره الواضح على ترفع المؤمن عن الإساءة للآخرين، والندم على ما فاته من معروف يتقرب به إلى الله ﷻ، لما يترتب على ذلك من أجر عظيم يجنيه المؤمن يوم القيامة.

١١. الصبر على الشدائد، وتسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا، ومتاعها، وصنوف المغريات، وما يلاقيه من أشكال الفتن؛ بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها، ويكون ذلك عندما يستسلم المؤمن لما ورد عن مُسْتَوْرِد أَخ بَنِى فِهْرٍ ﵁(١) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ – وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ – فِي الْيَمِّ**

(١) المستورد بن شداد الفهري وهو ابن عمرو بن حسل بن اللاجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، مات بمصر ، وقيل: بالإسكندرية سنة خمس وأربعين. روى عنه قيس بن أبي حازم، والشعبي، وربعي بن خراش، وغيرهم. معرفة الصحابة:٥/٢٦٠

فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ)[1]، ووضح الله ﷻ أن هذه الدنيا دار ابتلاء فانية؛ ليرى من يعمل الصالحات، ويستحق الجنات، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ [الكهف:٧-٨] وعلى هذا فالمطلوب من المسلم أن يجعل الدنيا في يده لا في قلبه، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن يجعله سلماً ليرتقي به في درجات جنان الخلد يوم القيامة.

١٢.يدفع الإنسان إلى الجود بماله في سبيل الله تعالى، وابتغاء مرضاته ﷻ، ولا يرى في ذلك فواتاً لماله، بل هو ادخار ليوم لا ينفع مال، ولا بنون، إلا ما كان في مرضاة الله ﷻ، حيث قال تعالى: ﴿ **المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف:٤٦]، فالآية توضح أن المال زينة للحياة الدنيا، ولكن بين الله ﷻ أن إنفاقها في الأعمال الصالحة خير، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:٢٦٢] وبالمقابل توعد الله ﷻ من لم ينفقوا في سبيل الله، ويكنزونه، بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة:٣٤-٣٥]

١٣. يدفع الإنسان إلى الصدق مع الناس، في أقواله وأفعاله، حيث ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا)**[2]، ومخافة الله تعالى في البيع، والشراء، ووفاء الكيل؛ تجنباً للوعيد الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾ [المطففين:١-٤].

١٤. يطمئن به المظلوم إلى أن حقه لن يضيع، فإذا كان لا يستطيع أن يأخذه في الدنيا لا يصاب بالقنوط، فإن الله ﷻ سيأخذ له حقه كاملاً من الظالم يوم القيامة، حيث ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ**

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ١٥٦/٨.
(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ٢٩/٨.

لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)[1]؛ فترضى نفس المظلوم، ويفوض أمره إلى الله العلي القدير.

١٥. ومن آثار ذلك الإيمان أنك ترى المؤمن ثابتًا في مواقفه، ثابتًا على مبادئه، وقِيَمه، وفضائله في أي أرض ومجتمع كان، ويتوقف معها عند الحدود التي حدها الإسلام؛ لسياسة حياة الناس اقتداءً بما قصّ القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿...**مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[يوسف:٢٣] ، وهناك في الآخرة عوض عما يفوته في الدنيا؛ فلا الشهوات تقوده، ولا الشبهات تخدعه، فعنده عقل، وبصيرة نافذة، لا تستطيع الشبهات، ودعاة الباطل والضلال، أن يؤثّروا عليه بتوفيق من الله ﷻ، وعنده عقل متزن أمام الشهوات، فلا يميل إليها؛ خوفًا من الله ﷻ، وعلمًا باطلاع الله ﷻ عليه، لا خوفًا من الدنيا، ولا خوفًا من عقوبة، ولكن خوفاً من اطلاع الخالق العالم بالسرائر والخفايا، فيقول تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرَّحمن:٤٦]. وهذا بدوره يفيض على نفس المؤمن السلام، والرضا، والتسامح في مجال السباق والمنافسة، وهذا يخفف من سعار الخلافات، والتكالب على الدنيا، لمن ظن أنها الفرصة الوحيدة ليوفّى المرء نصيبه.

١٦. إن للإيمان باليوم الآخر أثر في اكتمال تصور المسلم عن الحياة والوجود مبتدئه ومنتهاه، فقد أجمل الله ﷻ رحلة الإنسان، وأطوارها،وختمها بالبعث بعد الموت، حيث قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[المؤمنون:١٢-١٦]، فبهذا يتخلص المؤمن من القلق والتخبط والتسيب الذي يسببه جهله بحقيقته ونهايته وحسابه.

١٧. تحقيق الأخلاق الفاضلة، في سلوكنا، وحياتنا تحقيقاً فعلياً مستمراً، ثابتاً غير متقلب، بلا نفاق، ولا رياء، لا يكون إلا نتيجة للإيمان باليوم الآخر، فالحلم، والأناة، والتضحية، والرحمة، والمودة، والسمو بالنفس عن الدناءات، وذلك لأننا ننتظر يوم الجزاء من عند الله ﷻ، وهو يوم مُقدر حتمي. [2]

١٨. تقوية الوازع النفسي الذي يُرَغِّب في الخير، ويصد عن الشر، ولا يقوى إلا بكثرة التذكير والتفنن في التصوير، لما يترتب على ذلك من جزاء، وضرب الأمثال المتنوعة حتى تعلق

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١٨/٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار: ص١٦٨.

جذوره، ويقوى تأثيره، ويحقق الغاية منه، فيرجع مرتكب المنكر عن منكره، ويصحح المخطئ خطأه، ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق، أو تتعثر به الخطى. (١)

ثالثاً: أثر الإيمان باليوم الآخر في الداعية:

١. الحرص على الدعوة إلى الله ﷻ، وأن يجعل من قوله، وعمله، وخلقه، وسلوكه، قدوة طيبة، تحبب الآخرين في الإسلام، راجياً أن ينطبق عليه ما جاء عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :ﷺ (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ**)(٢). ويشعر بالغصة والألم عندما يرى من يتجرأ على المعاصي والكفر، لذا فهو يجاهد في سبيل مرضاة الله ﷻ، ونجاة الناس من عذاب يوم عظيم، ويستل الكفر منهم فيصبحوا له إخواناً وأحبة (٣).

٢. إن في التردد بين الترغيب والترهيب؛ وذلك بذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم، بما فيه من جزاء للمؤمنين بالجنان والنعيم، وما فيه من عقاب للعصاة المتجبرين والكافرين بالنار وعذابها؛ أفضل وسيلة دعوية، للإقبال على الله ﷻ بقلوب متنورة بخشية الله ﷻ، راجية رحمته.

٣. الإيمان باليوم الآخر يحث المؤمن على موالاة ومحبة المؤمنين –وإن اشتدت عليهم الدنيا– وبغض المشركين، والكفار، ومعصية العصاة، وإن فتحت لهم الدنيا بنعيمها، وكثر مالهم وأولادهم، وسلاحهم، حيث قال تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران:١٩٧- ١٩٦]، وقال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة:١٥٥] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ **أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ. قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا أَعْدَدْتَ**

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٧/١. أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ص٣٣٩-٣٤٠. العقائد الإسلامية: ص٢٣٦. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٤٨-٢٥٠. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩٠-٩٢. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار: ص١٦٧-١٧٧. عقيدة أهل السنة والجماعة: ص٣٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٦١/٨.

(٣) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: ص٥٩. أركان الإيمان: ص٣٠٢.

لَهَا) قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)[1]. وقد تمثل هذا في حال الفتية أصحاب الكهف، فقد جمعهم دين الحق، فتركوا نعيم الدنيا، ومفاتنها، ومجاورة أهل الكفر، وفروا إلى جنة الإيمان، ومركب النجاة في الآخرة؛ لأنهم اعتبروا خيار إعادتهم إلى ملة القوم الكافرين، هو الخسران، وعدم الفلاح الأبدي، حيث قال الله ﷻ حكايةً عنهم: ﴿ **إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [الكهف:٢٠]

المطلب الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر على المجتمع:

إن للإيمان باليوم الآخر الأثر العظيم على المجتمع المسلم، في نواحي عدة، وهي كالآتي:

أولاً: ترابط المجتمع:

إن للإيمان باليوم الآخر أثره الكبير في نشر روح الأخوة في المجتمع الإسلامي وذلك من خلال ما يلي:

١. حرص المسلم على تفريج كرب المسلمين، ومساندتهم في حوائجهم، راجياً ثواب الآخرة، وتطبيقاً لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)**[2].

٢. تحلي المؤمن بالأخلاق الحميدة؛ طمعاً في القرب من النبي ﷺ يوم القيامة، يدفع إلى زيادة روح المحبة، والألفة، والأخوة بين المسلمين، إيماناً منهم بصدق ما ورد عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا...)**[3].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ٤٢/٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٧١/٨.

(٣) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ٥١٨/٣، ح ٢٠١٨. قال الألباني: حسن الإسناد، سلسلة الأحاديث الصحيحة:٣٧٩/٢.

٣. إن للإحسان للجار، ولإكرام الضيف، وللكلمة الطيبة، وقول المعروف الأثر الكبير في تقوية المجتمع، والعلاقات الاجتماعية، وهي من السمات المميزة للمؤمن باليوم الآخر، لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)**. [١]

٤. تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية، بالحرص على صلة الرحم؛ لما يترتب على قطع الأرحام من حرمان من دخول الجنة وهذا ما ورد عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ)**.[٢]

٥. حرصاً من المؤمن على أن يكون ممن يظلهم الله ﷻ يوم القيامة في ظله، فإنه يتَّبع ما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بجلالي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظلي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظلي)**[٣]. فيترتب عليه نشر روح الأخوة، والمحبة بين أفراد المجتمع.

٦. إن في كفالة الأيتام، والقيام على حاجة المساكين والأرامل، وتجنيب المجتمع أضرار ضياعهم وفسادهم، الأثر الكبير على تقوية المجتمع، ولا يحرص على كفالة الأيتام، إلا من يرجو صحبة الحبيب المصطفى ﷺ يوم القيامة، لما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الْجَنَّةِ). وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**[٤]. وكذلك من يرجو أن يكرمه الله ﷻ بالأجر العظيم يوم القيامة، عليه أن يسعى في تسديد حاجات الأرامل، والمساكين، لما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: **(السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ في سَبِيلِ اللَّهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِر)** [٥].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ٤٩/١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ٨/٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله ﷻ، ١٢/٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ٢٢١/٨

(٥) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ٨/ ٢٢١

ثانياً: الحفاظ على أمن المجتمع:

إن للإيمان باليوم الآخر دوره الكبير في الحفاظ على شوكة الأمة الإسلامية وعزها، من خلال:

١. تربية جنودها على الإقدام والشجاعة، وترك زخارف الدنيا ومتاعها، في سبيل نيل الشهادة، والتي هي أسمى ما يتمنى المؤمن، لما لها من أجر عظيم، وقد كان خير مثال لنا ما فعله عمير بن الحمام ﷺ(١) والذي قصّ صنيعه ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ). قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ** ﷺ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ: **جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: (نَعَمْ). قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: **(مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ». قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ** ﷺ: **(فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا). فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)** (٢).

٢. يربى المسلم على السعي في أسباب الأمن في هذا اليوم العظيم، وبها يتحقق الأمن في الدنيا، وإن الذي لا يخافه، ولا يسعى في أسباب الأمن من أهواله، هو سبب الخلل بالأمن في الدنيا، لأن الذي لا يخاف يوم الحساب، لا يتورع عن أي فعل مهما كانت مساوءه وأضراره، فالساعي لتحقيق الأمن في الآخرة، هو الساعي للأمن الحقيقي، وهو الذي يأمنه الناس في الدنيا على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهو الذي يستحق البشرى بالأمن الذي اجتهد في تحقيقه عندما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ** ﴾ [فصّلت:٣٠-٣٣]

٣. وهو دافع للترفع عن ظلم الآخرين، بأي أسلوب كان، وإن كان وقع في مظلمة في الدنيا يسعى للتحلل منها، قبل يوم القيامة؛ خشية أن يكون من الخاسرين يوم القيامة، لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ (مِنْ أَخِيهِ) فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ**

---

(١) عمير بْن الحمام بْن الجموح بْن زَيْد بْن حرام الْأَنْصَارِيّ السلمي، شهد بدرًا، قاله مُوسَى بْن عقبة، وقتل ببدر، وهو أول قتيل من الأنصار فِي الْإِسْلَام فِي حرب. وكان رَسُول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبيدة بْن الحارث المطلبي، فقتلا يَوْم بدر جميعًا. أسد الغابة: ٧٨٧/٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٤٤/٦.

سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ)(١). وما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ). قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)**(٢). ويترتب على ذلك تمتع المجتمع المؤمن بأمان خالٍ من الشحناء، والبغضاء.

٤. علاج للمشاكل الأخلاقية، والسلوكية، والجرائم التي تفتك بالمجتمعات البعيدة عن الإسلام، وإلى تقليل الجرائم والخصومات، والظلم، وذلك عندما يعلم الشخص ما يترتب على أعماله من عقاب في الآخرة، حتى وإن أفلت من عقوبات الدنيا، وأن غمسة في جهنم تنسي نعيم الدنيا مهما ارتقت درجته.

ثالثاً: الرقي الاقتصادي:

يعد الإيمان باليوم الآخر، من أهم العوامل التي تؤدي إلى تقدم المجتمعات في الجانب الاقتصادي؛ وذلك لأنه يحث على العمل، والإنتاج، وإقامة الحضارة، وذلك لعوامل عدة، وهي كالآتي:

١. تربية المسلم على الشعور بالمسئولية، والحياة الجادة، والإيجابية؛ وذلك من خلال وقوفه عند الحدود التي شرعها الله ﷻ له، وتيقنه بأنه مسئول أمام الله ﷻ، عن كل ما يُقْدِم عليه من عمل، فهناك ملائكة تكتب، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠-١١] ، وهناك يوم للحساب ينتظرهم؛ لحصاد ثمار أعمالهم التي قاموا بها، حيث قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١]؛ ولهذا يكون المؤمن شديد الحرص على أن يقوم بما يكلف به بإخلاص، ومسئولية تامة، ودون احتيال، وتهرب(٣).

٢. تيقن الإنسان بأنه سيحصد ثمرات عمل الخير، التي يقوم به، ويستوفي حقه يوم الحساب؛ هذا يزيد من توجهه للعمل، والإنتاج، والإتقان، والبحث عن كل النواحي التي يمكن أن يخدم فيها المجتمع.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقائق، باب القصاص يوم القيامة، ١١١/٨، ح ٦٥٣٤ .

(٢) سبق تخريجه: ص١٤١.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩٠.

٣. إن الإيمان باليوم الآخر يدفع الأمة إلى القيام بواجبها، والخروج بتصورها، وقيَمهما من ضيق الدنيا المادية السطحية، إلى تلك الآفاق الواسعة، وسعة الدنيا والآخرة؛ وذلك لأن اتساع التصور، وتكامله، وعمقه؛ ينشئ رفعةً في اهتمامات النفس، ومشاعرها، ويدفع للرقي والتقدم بالمجتمع.

٤. يفتح أمام الإنسان آفاقاً ومجالات كثيرة للخير، وذلك من خلال ما يرجو من أجر على ما ينفق في سبيل الله، من صدقات، وتبرعات في مشاريع خيرية مثل: بناء مستشفيات، ومشاريع استثمارية، وجامعات، ومدارس، ومرافق عامة، وتشغيل أيدي عاملة للتخلص من الفقر، وسد حاجة الأسر المحتاجة.[١]

(١) العقيدة الاسلامية وأثرها في بناء المجتمع: ص١٣٧- ١٣٨.

الفصل الثالث

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء سورتي الكهف ويس

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقضاء والقدر ومراتبه.

المبحث الثاني: الهداية والضلال وأفعال العباد.

المبحث الثالث: المشيئة والإرادة الإلهية .

المبحث الرابع: الأخذ بالأسباب.

المبحث الخامس: أثر عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول
التعريف بالقضاء والقدر ومراتبه

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر.

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر ومراتبه

يعد الإيمان بالقضاء والقدر الركن السادس من أركان الإيمان، فذهب أهل السنة والجماعة إلى وجوب الإيمان به، "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً، وفكراً، ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن خلقه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين. فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى"(١).

"فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيها أفاكاً أثيماً"(٢). "فيجب الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله، قضى قضاءه على عباده، وقدر قدره – عليهم لا أحد يعدو منهم مشيئة الله ﷻ– ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل من ربنا ﷻ فأراد الطاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبها، وأمر بها. ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها ولا رضيها، بل قضى بها، وقدّرها، وشاءها، وأرادها. والمقتول يموت بأجله"(٣).

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر:

١. القضاء والقدر لغة:

أ. القضاء لغة:

(قَضَي) القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام الأمر وإتقانه. والقضاء لغةً على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، وخلقه، أو تم، أو ختم، أو أُدِّي أداء، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي.

---

(١) متن العقيدة الطحاوية: ص١٧. وانظر: الشريعة: ٢/٦٩٧-٦٩٨.

(٢) متن العقيدة الطحاوية: ص١٩.

(٣) الاعتقاد: ص٣١.

ويطلق القضاء في القرآن الكريم على معانٍ عدة، منها:

- الصنع وإيجاد المقدر، وإحكام تنفيذه: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ...﴾ [فصِّلت:١٢].
- الحكم: ومنه قوله تعالى: ﴿ ... فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:٧٢] أي اصنع واحكم، ولذلك سمي القاضي قاضياً، لأنه يحكِّم الأحكام وينفذها، ومنها قوله تعالى: ﴿ ...وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. [الزُمر:٦٩]. وقوله تعالى: ﴿ لَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ...﴾ [سبأ:١٤]. ولذلك سمي القاضي قاضياً، لأنه يحكم الأحكام وينفذها. وسميت المَنيّة قضاءً؛ لأنه أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق.
- **الإخبار بما سيقع مما قدر**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ ...﴾ [الإسراء:٤] أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين.
- **الأمر والوصية:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ [الإسراء:٢٣] أي أمرَ ووصّى.
- **الأداء والإنهاء:** ومنه قوله تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [الحجر:٦٦] أي أنهيناه إليه، وأبلغناه ذلك.
- **يبين لك:** ومنه قوله تعالى:﴿ لَا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[طه:١١٤] أي من قبل أن يبين لك(١).

ب. القدر لغة:

(قَدَرَ) القاف والدال والراء أصل صحيح، يدل على بلوغ الشيء ونهايته، وكنهه. وقدرت الشيء أَقَدِّره وأَقْدُره من التقدير(٢). والقدر: القضاء الموفق، والحكم(٣).

---

(١) انظر: جمهرة اللغة: ١٠٧٨/٢. مقاييس اللغة: ٩٩/٥. المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٤٨٢. النهاية في غريب الحديث:٤/ ٧٨. مختار الصحاح: ص٢٥٥. لسان العرب: ١٨٦/١٥.

(٢) انظر: العين: ١١٣/٥. معجم مقاييس اللغة: ٦٢/٥. مختار الصحاح، ص٥٦٠.

(٣) العين: ٥/ ١١٢. المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٣٠٢. لسان العرب: ٧٤/٥.

٢. القضاء والقدر اصطلاحاً:

لقد اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما بمعنى واحد، ومنهم من فرَّق بينهما، وتداخلت التعريفات، "ولكنهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه"(١).

بعض التعريفات التي فرقت بين القضاء والقدر:

- "القدر بمنزلة الأساس (علم الله ﷻ) والقضاء بمنزلة البناء (الخلق)" (٢).
- القضاء: "هو الأمر الكلي الإجمالي الذي في الأزل(علم الله ﷻ)".
- القدر: "هو جزئيات ذلك الكلي، وتفاصيل ذلك المجمل، الواقعة في ما لا يزال يخلق" (٣).
- القضاء: "وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة"، والقدر: "وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها"(٤).

التعريفات التي تناولت اللفظين كمصطلح واحد:

١. "الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد، وأكسابهم وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها، وشرها"(٥).
٢. "عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد"(٦).
٣. "الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها"(٧).
٤. "هو التقدير المطابق للعلم"(٨).
٥. "الاعتقاد بأن كل ما يوجد في العالم من الخير، والشر، والضر، والنفع، حتى إن أفعال العباد من الإيمان، والكفر، والطاعة، والعصيان، والغواية، والرشد بقضاء الله وقدره، وإرادته،

---

(١) انظر: معالم السنن: ٣٢٣١٨٦/٤، النهاية في غريب الحديث:٤/ ٧٨، جامع الأصول: ١٠/، لسان العرب: ١٠٣/١٥.
(٢) انظر: معالم السنن: ٣٢٢/٤. النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٧٨. لسان العرب: ١٨٦/١٥،
(٣) فتح الباري: لابن حجر، ٤٧٧/١١. عمدة القاري:١٥٢/٢٠.
(٤) التعريفات: ص١٧٤.
(٥) معالم السنن: ٣٢٢/٤.
(٦) التعريفات: ص١٧٧.
(٧) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٦٦.
(٨) شرح العقيدة الطحاوية: ص٢٧٤.

ومشيئته، وخلقه، وتأثيره، غير أنه يرضى الإيمان، والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر، والمعصية، وأوعد عليهما العقاب"(١).

ومن هذه التعريفات نخلص أن: "جميع الأمور الكائنة خيرها، وشرها، وحلوها، ومرها، ونفعها، وضرها، وقليلها، وكثيرها، وكبيرها، وصغيرها، بقضائه، وقدره، وإرادته، ومشيئته، وأمره"(٢).

وبعد الوقوف على التعريفات السابقة يترجح لدى الباحثة ما ذهب إليه بعض العلماء من التوقف عن التفريق بين القضاء والقدر؛ لأنه أمر لا سبيل إليه إلا بنص شرعي؛ وذلك لما يوجد من تداخل كبير بين معنييهما في اللغة، فمن عدل عن ذلك ضل وتاه، ولم يبلغ الرأي الشافي، ولا يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به(٣).

وأما بالنسبة للتعريفات التي تناولتهما كمصطلح واحد، يترجح لدى الباحثة التعريف الأخير؛ لشموله جميع الخلق، ثم مراتب القدر الأربع. ومما سبق من تعريفات يتبين أن القدر يتضمن أصولاً عظيمة(٤):

- " الأول: أنه ﷻ عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.
- الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله ﷻ قد جعل لكل شيء قدراً، حيث قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء نفسه، بأن يجعل له قدراً بإيجاده، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المحددة، فالقدر يتضمن العلم القديم، والعلم بالجزئيات.
- الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات، إخباراً مفصلاً، فيقضي أنه يمكن أنْ يُعلم العباد الأمور قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه كان يعلم عباده بذلك، فكيف لا يعلمه هو؟ ومثال هذا ما أعلمه الله ﷻ للخضر عليه السلام من الحكمة، وراء المواقف التي كانت في قصته مع موسى عليه السلام .
- الرابع: يتضمن أنه مختار لما يفعله ﷻ، محدث له بمشيئته وإرادته.

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٥٨/١.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ص٦٠٦.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٧٧/١١.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ص٢٧٤.

- الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه".

ثانياً: الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

١. الأدلة من القرآن:

إن القرآن الكريم قد بين في كثير من المواضع، أن أمور الخلق تجري بقدر الله تعالى، وعلى علم منه ﷻ بالأشياء، وتقديره ﷻ لها في الأزل، وأنها تقع وفق ما قدر، ومن هذه الآيات ما يلي:

أ. قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [الحجر:٢١] أي ما نُوجِد، وما نكوِّن شيئاً إلا بمقدار معينٍ، تقتضيه الحِكمةُ والمشيئةُ، فإن ذلك غير متناهٍ، فإن تخصيصَ كل شيء بصفة معينةٍ، وقدرٍ معين، ووقتٍ محدود، دون ما عداه، مع استواء الكلِّ في الإمكان، لا بد له من حكمة تقتضي اختصاصَ كل ذلك بما اختص به[١].

ب. وقوله تعالى: ﴿ ... **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان:٢] أي خلق كل المخلوقات، فسواه، وهيأه لما يصلح له، لا خلل فيه ولا تفاوت، وقدر الأجل والرزق، فجَرَت المقادير على ما خلق[٢].

٢. الأدلة من السنة النبوية:

لقد تناولت السنة النبوية التأكيد على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، في كثير من النصوص فمنها ما يلي:

أ. ما ورد عن أبي هريرة ﷺ في حديث جبريل ﷺ المشهور حيث قال النبي ﷺ: (الإيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ)[٣].

ب. ما ورد عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)**[٤].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٧٢/٥.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦٩/٦

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، ٣٠/١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، ١٥٢/٢، ح ٧٤٤٣. قال شعيب الأرنئوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.

ثالثاً: أسس الإيمان بالقضاء والقدر:

إن الإيمان بالقضاء والقدر قائم على الإيمان بأساسين مهمين، والضلال في أحدهما يتبعه ضلال في الإيمان بالقضاء والقدر، والأساسان هما:

الأساس الأول: الإيمان بتوحيد الربوبية: والذي يعني أن الله ﷻ خالق كل شيء، ولا شريك له في الخلق لقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر:٦٢] وقوله تعالى: ﴿... أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦].

وموطن الضلال في هذا الأساس: لقد ضل بعض المسلمين في فهم القضاء والقدر، عندما أعملوا عقولهم القاصرة في فهم أفعال العباد، والهداية والضلال على فريقين:

الفريق الأول: القدرية: الذين قالوا بأن العباد خلقوا أفعال أنفسهم، ولا علاقة لله ﷻ في خلق أفعالهم.

الفريق الثاني: الجبرية: قالوا بأن الله ﷻ خلق الخلق، وما هم إلا كريشة في مهب الريح[(١)]؛ ونتج ذلك عن عجز عقولهم عن تصور خلق الله تعالى لصفات عباده التي تؤهلهم للتكليف والتصرف بأفعالهم، وفق إرادة وقدرة منحهم الله ﷻ إياها، من خلالها يتم مباشرة أعمالهم. وأعقب ذلك بإرسال الرسل ليبين لهم سبيل الهداية والرشاد، ويقيم الحجة عليهم حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤].

الأساس الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات: يعتبر الإيمان بالقضاء والقدر من العقائد التي قامت أسسها على معرفة الله ﷻ، والتسليم بكل ما أخبر به ﷻ عن نفسه في القرآن والسنة، ومن صفاته ﷻ التي يتوقف عليها فهم القضاء والقدر، صفات العلم، والإرادة، والمشيئة، والخلق، والحكمة وغيرها.

موطن الضلال في هذا الأساس: لقد ترتب على الضلال في تأويل معنى صفات الله ﷻ خلل، وخلط في مسائل خلق أفعال العباد، وهل الله خلق الشر والمعاصي أم لا؟.

وسيتم توضيح المنهج الصحيح في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وهو منهج أهل السنة والجماعة بالتفصيل، فيما يتناسب مع المسائل التي تناولتها سورتا الدراسة.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٣٧.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر:

إن من الأهمية بمكان لفهم مسائل القضاء والقدر على المنهج السليم، معرفة المكونات الأساسية التي يحملها، والتي صورها العلماء بمراتب القضاء والقدر، وهي على النحو التالي:

مراتب القضاء والقدر:

لقد قسم علماء أهل السنة والجماعة القضاء والقدر إلى أربعة مراتب وهي على النحو التالي[(١)]:

- **المرتبة الأولى: مرتبة العلم:**

اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات علم الله ﷻ السابق، وهذا ما اتفق عليه جميع الصحابة، ومن تبعهم من الأمة، وكتابة مقادير الخلق في اللوح المحفوظ قبل خلقهم تدل على علمه بها قبل كونها[(٢)].

"وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا ناقص، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه"[(٣)]. "وأن الله ﷻ قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] "[(٤)].

" فعِلم الله ﷻ محيط بكل شيء من الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، فَعَلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه عَلِم ما الخلق عاملون، قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم، وأعمالهم، في جميع حركاتهم، وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار. علم دقَّ ذلك وجليله، وكثيره، وقليله، وظاهره، وباطنه، وسره، وعلانيته، ومبدأه، ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، ومقتضى اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب"[(٥)].

---

(١) انظر التفصيل في: مجموع الفتاوى: ٣/١٤٩-١٥٠. شفاء العليل: ص٩٥-١٤٨. معارج القبول: ٣/٩٢٠-٩٤٠.

(٢) انظر: شفاء العليل: ص٦٥

(٣) متن العقيدة الطحاوية: ص١٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ص٢٧١. وانظر: مجموع الفتاوى: ٣/١٣٩.

(٥) معارج القبول: ٣/٩٢٠

وتعتبر هذه المرتبة هي أساس لتبسيط مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وقد ورد في القرآن والسنة، ما يثبت صفة العلم الأزلية لله ﷻ، والتي تم إثباتها والإقرار بها وفق منهج أهل السنة والجماعة، وفهم المنهج الصحيح في القدر، وما ضلت الفرق الاسلامية في القضاء والقدر، إلا بعد ضلالها في باب الصفات ما بين تأويلها، ونفيها.

ومما يثبت تلك الصفة ما ورد في سورتي الدراسة، مثل قوله تعالى: ﴿...قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ...﴾ [الكهف:١٩] وقال تعالى: ﴿... فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ...﴾ [الكهف:٢١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [الكهف:٢٦] وقال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس:٧٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾ [يس:٨١].

وورد في سورة الكهف ما يدل على قصور علم البشر، وكمال علم الله ﷻ، وذلك من خلال ما ورد في قصة موسى والخضر عليهما السلام، والتي بيَّنت أن علم الخضر عليه السلام جزء من علم الله ﷻ، حيث قال تعالى: ﴿... وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وحيث إن الله ﷻ أعلمه بما لم يكن، لو كان كيف سيكون وأظهر هذا ليتبين لنا سعة علم اللهﷻ(١).

وختمت سورة الكهف بما يؤكد سعة علم الله ﷻ قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة:

هذه المرتبة تتمثل بالإيمان بأن الله ﷻ كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء قبل خلق السماوات والأرض، لما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)**(٢). وهذا التقدير – التابع لعلمه سبحانه– يكون

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦٤/٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٥١/٨.

في مواضع جملة وتفصيلا[1]، ولقول الله ﷻ: ﴿...مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. [الأنعام:٣٨].

وقد ورد في سورتي الدراسة ما يبين أن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلق في اللوح المحفوظ، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] وسبق توضيح أن الإمام المبين في الآية يحمل معنيين أحدهما: صحائف الأعمال يوم القيامة. وثانيهما: اللوح المحفوظ: الذي كتب فيه كل شيء، ويتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها، وحفظها لها، والإحاطة بعددها، واثباتها فيه[2].

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة مقادير[3]:

التقدير الأول: التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم:

حيث ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(كَتَبَ اللَّهُ ﷻ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)**[4].

التقدير الثاني: كتابة الميثاق:

وهذا يوم خلق الله ﷻ آدم ومسح على ظهره فأخرج منه ذريته ، حيث ورد عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ قَالَ: **(جَمَعَهُمْ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ، فَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، وَأَشْهَدَهُمْ ﷻ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، قَالَ ﷻ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي، يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا، وَإِلَهُنَا**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى:١٤٩/٣

(٢) انظر: شفاء العليل: ص٨٠.

(٣) شفاء العليل: ٢٩-٦٧. معارج القبول: ٩٢٨/٣-٩٣٩.

(٤) سبق تخريجه: ص١٧٩.

لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ، وَرَفَعَ لَهُمْ أَبُوهُمْ آدَمَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، فَرَأَى فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَحَسَنَ الصُّورَةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: رَبِّ لَوْ سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُشْكَرَ...)[1].

التقدير الثالث: تقدير الجنين في بطن أمه وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه:

ودليل ذلك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)**[2].

التقدير الرابع: التقدير الحولي تقدير ليلة القدر:

حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُخان٣-٤] حيث ورد في أقوال العلماء أن معنى هذه الآية، هو أن الله ﷻ ينسخ من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة؛ من موت، وحياة، ورزق، ومطر، وكل شئون خلقه مدة هذا العام[3].

التقدير الخامس: التقدير اليومي:

حيث قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمن:٢٩] قال العلماء في معنى هذه الآية: من شأنه أنه يحيي، ويميت، ويرزق، ويمنع، وينصر، ويعز، ويذل، ويفك، عانياً، ويشفي مريضاً، ويجيب داعياً ويعطي سائلاً، ويتوب على قوم، ويكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويضع أقواماً ويرفع آخرين، وإلى غير ذلك مما يحتاجه العباد[4].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، باب شرح ٣٢٣/٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤٤/٨.

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٧٢٠/١٠-٦٧٢١. شفاء العليل: ص٢٣. التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٦٦/٢. معارج القبول: ٩٣٧/٣.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ١٧٢. التسهيل لعلوم التنزيل:٢/ ٣٢٩. شفاء العليل: ص٢٣. معارج القبول: ٩٣٧/٣.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة:

هذه المرتبة تتضمن مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة: وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات والأرض من حركة، ولا سكون، إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه، إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، من الموجودات والمعدومات، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠] وقال تعالى:﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التَّكوير: ٢٨-٢٩].

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق:

إن هذه المرتبة تتناول إثبات كمال ربوبية الله ﷻ في خلقه، لقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر:٦٢] ، فما من مخلوق في الأرض، ولا في السماء إلا الله ﷻ خالقه، ولا رب سواه، وأمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم؛ والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم؛ وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة؛ والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر:٦٢][(١)].

وسيتم تناول المرتبة الثالثة والرابعة بالتفصيل، خلال هذه الدراسة.

(١) انظر: العقيدة الواسطية: ص٢٢٥.

المبحث الثاني

الهداية والضلال وأفعال العباد

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالهداية والضلال.

المطلب الثاني: مراتب الهداية والضلال.

المطلب الثالث: أفعال العباد.

المبحث الثاني

الهداية والضلال وأفعال العباد

المطلب الأول: تعريف الهداية والضلال:

أولاً: تعريف الهداية:-

١. **الهداية لغة**: الهاء والدال والحرف المعتل (هَدَى) بمعنى التقدم للإرشاد، هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد. وهو خلاف الضلالة[١].

٢. **الهداية اصطلاحاً**: لقد ورد في الهداية تعريفات عدة، وهي كالآتي:

أ. "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[٢].

ب. "الهدايةَ هي الدِلالة على ما يوصِل إلى البُغيةِ"[٣].

ج. "الهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى، هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير"[٤].

د. " خلق الاهتداء، وإعطاء التوفيق، والقدرة "[٥].

ويمكن إجمال تعريفات الهداية السابقة بالقول إن الهداية: هي سلوك الطريق الموصل إلى مرضاة الله ﷻ، وتوفيق الله ﷻ للعباد في الوصول إليه.

ثانياً: تعريف الضلال:-

١. **الضلال لغة:**

الضاد واللام (ضَلَّ) أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء، وذهابه في غير حقه. يقال وضللت المسجد والدار، إذا لم تهتد لهما. وكذلك كل شيء مقيم لا يُهتدى له[٦]. الضلال والضلالة ضد الهدى[٧].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢/٦. مختار الصحاح: ص٣٢٥.
(٢) التعريفات: ص٢٥٦.
(٣) إرشاد العقل السليم: ١٦٧/٩.
(٤) التحرير والتنوير: ١٨٨/١.
(٥) مدارك التنزيل: ٦٠٥/٢.
(٦) معجم مقاييس اللغة: ٣٥٦/٣.
(٧) المحكم والمحيط الأعظم: ١٥٣/٨. مختار الصحاح: ص١٨٥.

٢. الضلال اصطلاحاً

لقد ورد في الضلال تعريفات عدة، وهي كالآتي:

أ. "فقدان ما يوصل إلى المطلوب، وقيل هي سلوك لا يوصل إلى المطلوب"[١].

ب. "أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً"[٢].

ج. "كلّ عدولٍ عن المنهج والطريق، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً"[٣].

ويمكن إجمال هذه التعريفات بتعريف الضلال أنه: عدم سلوك الطريق الموصل إلى مرضاة الله ﷻ، سواء ضل عنه بفقدانه، أو سلوك طريق آخر عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً ؛ لعدم توفيق الله ﷻ له.

المطلب الثاني: مراتب الهداية والضلال:

إن موضوع الهداية والضلال، هو قلب أبواب القدر ومسائله؛ فإن أفضل ما يقدر الله ﷻ لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدّره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال.

وقد اتفقت رسل الله ﷻ من أولهم إلى أخرهم، وكتبه المنزَّلة عليهم، على أنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه، وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك، أن أذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن [٤].

أولاً: مراتب الهداية[٥]:

إن للهداية أربعة مراتب، وهي كالآتي:

---

(١) التعريفات: ص١٣٨.

(٢) لباب التأويل: ٢٠٣/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص٥٠٩.

(٤) شفاء العليل: ص١٤٩.

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢٧/٣. بدائع الفوائد: ٢ /٣٥-٣٧. شفاء العليل: ص١٢١، ١٢٢، ١٤١،١٤٣، ١٤٩.

المرتبة الأولى: الهدى العام:

وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠] فإعطاء الخلق إيجاده في الخارج، والهداية التعليم، والدلالة على سبيل بقائه، وما يحفظه ويقيمه، فالآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقة، وبهيمه، طيره، ودوابه، فصيحة، وأعجميه.

المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة:

أي هداية البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معادهم، والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب. ولهذا لا ينبغي الهدى معها. وهذا خاص بالمكلفين بل قد يتخلف عنه المقتضى إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع، هذا كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصّلت:١٧] أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم، فهداهم هدى البيان والدلالة، فاستحبوا العمى على الهدى، فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً، بعد أن عرفوا الهدى، فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه. وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى:٥٢] ونفى عنه مِلك الهداية الموجِبة للاهتداء، وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

وقد ورد في سورة الكهف ما يدلل على هذه المرتبة من مراتب الهداية، فقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ..﴾ [الكهف:٥٦]، وقال تعالى: ﴿... لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، ... وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٢-٦].

ففي هذه الآيات بيان لمهمة الرسول ﷺ، والداعية المسلم، أنها تنحصر في تبليغ ما جاءه من عند الله ﷻ، وتبشير المؤمنين بما لهم من أجر، وإنذار الذين كفروا بما لهم عند الله ﷻ من

عقاب، ويواسي الله ﷻ رسول الله ﷺ بقوله: لا يعظم حزنك وأسفك؛ بسبب كفرهم، فإنَّا بعثناك منذراً ومبشّراً، فأما تحصيلُ الإيمان في قلوبهم، فلا قدرة لك عليه، وهؤلاء لو علم الله ﷻ فيهم خيراً لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار؛ فلذلك خذلهم فلم يهتدوا. ومن هنا إن المأمور بالدعوة إلى الله تعالى عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بأقصى ما يمكنه، مع التوكل على الله ﷻ في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن، ولا يأسف فهو خارج عن قدرته(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:٧٠] وكذلك في قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٦].

المرتبة الثالثة: مرتبة التوفيق:

هذه الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله ﷻ لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل:٣٧]، وفي قوله تعالى: ﴿... مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] فنفى عنه هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان.

وهذه المرتبة تستلزم أمرين:

الأول: فعل الله ﷻ: وهو الهدى.

الثاني: فعل العبد: وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي، والعبد المهتدي، كما في قوله تعالى: ﴿... مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧] وكذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ...﴾ [الإسراء:٩٧].

" ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله ﷻ لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل:٣٧] وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه، ولا إلى أحد غير الله ﷻ. وأن الله ﷻ إذا أضل عبداً لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٢/ ٤٢٤. تيسير الكريم الرحمن: ١/ ٤٧٠.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦] وقال تعالى: ﴿... مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]"(١).

إن الله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم، وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون، ثم أخرجهم إلى هذه الدار؛ ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر، والنهي، والخير، والشر بما أظهر معلومه، فاستحقوا المدح والذم، والثواب والعقاب بما قاموا به من الأفعال، وبالصفات المطابقة للعلم السابق. وهي في علمه قبل أن يعملوها حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧] أي وجب عليهم في قضاء الله ﷻ، وسابق علمه ﷻ أنهم لا يؤمنون، وحق عليهم ما علمه الله ﷻ وكتبه وقدره(٢). وكذلك قوله تعالى: ﴿... وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:٧٠].

وإن الحجة لله ﷻ قائمةٌ على عباده من جهتين:

الأولى: ما ركبه فيهم من العقول التي يفرقون بها بين الحسن، والقبيح، والباطل، والإسماع والإبصار التي هي آلة إدراك الحق، والتي يفرّق بها بينه، وبين الباطل.

الثانية: إرسال رسله، وإنزال كتبه، وتمكينهم من الإيمان.

ولم يؤاخذهم بأحد الأمرين؛ بل بمجموعهما؛ لكمال عدله، وقطعاً لعذرهم من جميع الوجوه؛ ولذلك سمى حجته عليهم بالغة: أي قد بلغت غاية البيان وأقصاه، بحيث لم يبق عذر لمعتذر، ومن اعتذر إليه سبحانه بعذر صحيح قبله، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام:١٤٩]، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، وهذا من تمام حجته البالغة؛ فإنه إذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا من أعظم أدلة التوحيد(٣).

فأرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه إعذاراً إليهم، وإقامة للحجة عليهم، حيث قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ،... لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٣،٦] وقال

(١) شفاء العليل: ص: ١٧٥-١٧٦

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٤٦/٤.الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: ٢٦٧/١. مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٥٤. مجموعة الفتاوى: ٥٩٢/١٦. التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٧٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٦/٥.

(٣) انظر: شفاء العليل: ص٢٥٥-٢٥٦.

تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]؛ لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا، وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا؟، فلما ظهر علمه ﷻ فيهم بأفعالهم، حصل العقاب على معلومه، الذي أظهره الابتلاء والاختبار، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه، ابتلاهم بزينة الحياة الدنيا، وبما ركب فيهم من الشهوات، فذلك ابتلاه بشرعه وأمره، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٧] فأخبر في هذه الآية أنه خلق ما على الأرض؛ ليبتلي عباده[١].

ومما ينبغي توضيحه أن الله تعالى خلق الخلق على الفطرة، ثم خاطبهم، وأمرهم، ونهاهم فكفر من كفر بفعله وإنكاره، وجحوده الحق، بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره، وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، إن الله ﷻ أخرج ذرية آدم ﵇ من صلبه فجعلهم عقلاء، فخاطبهم، وأمرهم بالإيمان، ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً، فهم يولدون على تلك الفطرة، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن، وصدق فقد ثبت عليه وداوم، ولم يجبر ﷻ أحداً من خلقه على الكفر، ولا على الإيمان، ولا خلقه مؤمناً، ولا كافراً، حيث قال تعالى: ﴿ ... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴾ [الكهف:٢٩]؛ ولكن خلقهم على الفطرة، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه، وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته[٢]، ومن هنا فإن لله ﷻ في عبده عقوبتان:

الأولى: جعْله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه، وإنابته، وإقباله على الله ﷻ، وتركه للفطرة التي فُطِر عليها، ونقضه للميثاق الذي أخذه الله ﷻ عليه وقت خلق آدم ﵇، وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها، ومضرتها، لموافقتها شهوته، وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين، في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤][٣].

---

(١) انظر: شفاء العليل: ص٩٠.

(٢) انظر: الفقه الأكبر: ص:٣٢- ٣٤.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٤١.

إن من موجب أسماء الله ﷻ وصفاته في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، يدل على أن الطبع، والختم، والغشاوة، وما شابهها من عقوبات لم يفعلها الله ﷻ بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان وبيّنه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه ﷺ، والتأكيد في البيان، والإرشاد، وتكرار الإعراض منهم، والمبالغة في الكفر، والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم، ويختم عليها، فلا تقبل الهدى بعد ذلك، فالإعراض والكفر الأول، لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختياراً، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية[1]. ويوضح هذا المعنى ما ورد في سورتي الكهف ويس، وذلك في مواضع عدة، وهي كالآتي:

١. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧]

فهذه الآية بيّنت حال من وعظ بآيات ربه، فتولى عنها، وتركها، ولم يؤمن بها، ونسي ما عمل من المعاصي من قبل، فجعل الله ﷻ على قلوبهم أغطية، لكي لا يفهموه، وفي آذانهم صمماً وثقلاً، وإن دعوا للهداية فلن يهتدوا إذاً أبداً، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون.[2] وهذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم، والأكنة والوقر على سبيل المجاز في قلة فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ يريد به من قضى الله ﷻ عليه أنه لا يؤمن وفق علمه الأزلي[3].

٢. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:١٠١]

الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله ﷻ، فيتفكّرون فيها، ولا يتأمّلون حججه، فيعتبرون بها، فيتذكرون وينيبون إلى الله تعالى بتوحيده، وتمجيده، وينقادون لأمره ونهيه، وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله ﷻ الذي ذكّرهم به، وبيانه الذي بيّنه لهم في كتابه، بخذلانه ﷻ لهم؛ لأنه بيده الهدى والضلال، وغلبة الشقاء عليهم؛ وذلك لفرط صممهم عن الحق، وكمال عداوتهم للرسول ﷺ، وشُغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان، فلا يتعظون به، ولا يتدبّرون، فيعرفون الهدى من الضلالة، والكفر من الإيمان، فقوله تعالى: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾

---

(١) انظر: شفاء العليل: ص١٩٥

(٢) معالم التنزيل :٣/ ٢٠١. لباب التأويل: ٣/ ١٦٣.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٨/١

تمثيلٌ لتعاميهم عن الآيات الكونية المشاهدة بالأبصار، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية، وفي هذا بيان لعلة ما أصابهم(١).

٣. قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١٠-١١]

هذا فيه بيان أن مجرد دعاء النبي ﷺ وتبليغه، وحرصه على هداهم ليس موجب للإيمان؛ وإنما يحصل ذلك إذا شاء الله هداهم، فشرح صدورهم للإيمان، كما قال تعالى ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل:٣٧] وفيها بيان سبب جحودهم، وعدم جدوى إنذاره لهم، هو جحودهم وكفرهم السابق لذلك، ومن هنا فقد بيّن الله ﷻ أن بيده الهدى، والإضلال لسابق علمه بحالهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧] (٢).

٤. قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١]

وهنا قد منعهم الله ﷻ من الهدى لما سبق في علمه بضلالهم، والسد الذي جعل من بين أيديهم، ومن خلفهم، هو الذي سدّ عليهم طريق الهدى، فأخبر سبحانه عن الموانع التي منعهم بها من الإيمان عقوبة لهم، ومثّلها بأحسن تمثيل وأبلغه، وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال العريضة الواصلة إلى الأذقان في أعناقهم، وضمت أيديهم إليها، وجُعلوا بين السدين، لا يستطيعون النفوذ من بينهما، وأغشيت أبصارهم، فهم لا يرون شيئاً، وإذا نظرت حال الكافر الذي عرف الحق، وتبين له ثم كفر به وعاداه أعظم معاداة، كان هذا المثل مطابقاً له أتم مطابقة، وأنه قد حِيل بينه وبين الإيمان، كما حيل بين هذا، وبين التصرف(٣).

٥. قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ [الكهف:٢٨-٢٩]

---

(١) انظر: البحر المديد: ٣/ ٣٠٨. جامع البيان: ١٨/ ١٢٣-١٢٤. إرشاد العقل السليم: ٢٤٧/٥. فتح القدير:٣ / ٣٧٢.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٥٩٢/١٦.
(٣) انظر: شفاء العليل:ص٢٠٢.

أي لا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا؛ فإلى الله ﷻ التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، وقوله تعالى: ﴿...فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد. (١)

ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من المواضع، ما يدلل على حرص رسول الله ﷺ على أن يؤمن جميع الناس، ويتبعوا هداه، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله ﷻ السعادة في علمه الأزلي، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في علمه الأزلي.(٢)

والضلال والهداية خلق لله ﷻ، وكما أنه يعاقب الكافرين على كفرهم وإعراضهم السابق، فسبحانه يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده، فإنه يثيب على الهدى بهدى بعده، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها، وما ورد في سورة الكهف في الموضعين الآتيين:

١. قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]

فقوله تعالى: ﴿آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي آتنا رحمة من خزائن رحمتك، وإحسانك، وهب لنا الهداية، والنصر، والأمن من الأعداء، وأصلح لنا أمرنا حتى نكون بسببه راشدين مهديين. وقيل معناه واجعل أمرنا رشداً كله(٣). وكذلك قوله تعالى: ﴿... فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ فهذه الآيات تبين أن الفتية يؤمنون بأن الهداية الحقيقية والتيسير لها، هي من عند الله ﷻ، فإيمانهم وإقرارهم بفضل الله ﷻ عليهم كان سبباً في خضوعهم، وتذللهم لله ﷻ وبيان وعجزهم، وحاجتهم إليه في أن يهيئ تلك الهداية لهم، ويثبتهم عليها.

٢. وقوله تعالى: ﴿... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[الكهف:١٣-١٤]

ففي هذه الآيات يبين الله ﷻ أنه لمّا ثبت الفتية على دينهم، وتركوا الدنيا لأجل الله ﷻ، أكرمهم بتوفيقه، ويسر لهم العمل الصالح والانقطاع إليه ﷻ، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا،

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٦٧/٥.

(٢) انظر: الشريعة: ٧٠٣/٢. الإبانة الكبرى: ٢٥٣/٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٣٧/٤. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٨٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص: ٧٠.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير: ٦٧/٣. لباب التأويل: ١٥٣/٣.

فالثبات على الإيمان، والبصيرة في أمر دينهم هذه زيادات على الإيمان، وفضل من الله ﷻ(١).

ومعلوم أن الطبع والختم والإغفال والغشاوة ليس حكماً يعم جميع الكفار؛ بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفاراً قبل ذلك، ولم يختم على قلوبهم، وعلى أسماعهم، فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار، فعل الله ﷻ بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير، وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة، وقد يعاقب به إلى وقت ثم يعافي عبده ويهديه(٢).

وهذا يبين أنه ماضٍ في العبد حكم الله ﷻ، عدل فيه قضاؤه ﷻ، فإنه إذا دعا عبده إلى معرفته، ومحبته، وذكره، وشكره، فأبى العبد إلا إعراضاً وكفراً، قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره، وصده عن الإيمان به، وحال بين قلبه وبين قبول الهدى، وذلك عدلٌ منه فيه، وتكون عقوبته بالختم، والطبع، والصد عن الإيمان، كعقوبته له بذلك في الآخرة، مع دخول النار(٣).

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطبع، والختم، والقفل، حصول الإيمان؛ بأن يزيل ذلك عن القلب، ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه، التي هي بيده، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها، ويكتب عليه السعادة والإيمان، حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] (٤).

"جميع ما يتلى من هذه الآيات يدل العقلاء على أن الله ﷻ ختم على قلوب قوم، وطبع عليها، ولم يردها لعبادته، وأرادها لمعصيته، فأعماها عن الحق فلم تبصره، وأصمها عن الحق فلم تسمعه، وأخزاها ولم يطهرها، يفعل بخلقه ما يريد لا يجوز لقائل أن يقول: لم فعل ذلك بهم؟ فمن قال ذلك، فقد عارض الله ﷻ في فعله، فضلَّ عن طريق الحق"(٥)، وهذا لجهلنا بحكمة الله ﷻ في أفعاله.

" فكما عرفت أن القضاء والقدر كذلك الأمر ثم من هدى فمنه فضل، ومن خذل وحرم فمنه عدل وفضل، فالفضل والعدل صفاته، فمن أعطاه الهدى فقد عامله بالفضل، ومن حرمه فقد

(١) انظر: تنوير المقباس: ص٢٤٤. المحرر الوجيز: ٣٠٥/٣. أنوار التنزيل: ٣/ ٢٧٤. لباب التأويل: ١٥٩/٢.

(٢) شفاء العليل: ص١٩٥.

(٣) شفاء العليل: ص١٨٧.

(٤) المرجع السابق: ص١٩٣.

(٥) الشريعة للآجري: ٧٠٦/٢.

عامله بالعدل، فمنع التوفيق ليس بعذر للعبد، لأنه عادل في صنعه، متفضل في إعطائه لكل وليه، وليس للعبد اعتراض، ولا منه مهرب، حيث قال تعالى: ﴿...قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ...﴾ [النساء:٧٨]".(١)

فهذا وما أشبهه فرض على المؤمنين الإيمان به، وأن يردوا علم ذلك ومراد الله ﷻ فيه إلى الله ﷻ؛ ويحمل المؤمن جهل العلم بذلك على نفسه، ولا ينبغي للمخلوقين أن يتفكروا فيه، ولا يقولوا لم فعل الله ذلك، ولا كيف صنع ذلك، وفرضٌ على المؤمن أن يعلم أن ذلك عدل من فعل الله ﷻ؛ لأن الخلق كله لله ﷻ، والملك ملكه، والعبيد عبيده، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، يفعل بهم ما يشاء، وهو عدل في ذلك لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، واختص برحمته من يشاء من عباده ؛ وخصهم بالنعمة قبل أن يعرفوه، وبدأهم بالهداية قبل أن يسألوه، ودلهم بنفسه من نفسه على نفسه رحمة منه لهم، وعناية بهم من غير أن يستحقوه. وصنع بهم ما وجب عليهم شكره، فشكرهم هو على إحسانه إليهم قبل أن يشكروه، وابتاع منهم ملكه الذي هو له وهم لا يملكونه، وجعل ثمن ذلك مالا يحسنون أن يطلبوه، فقال ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَـهُـمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ...﴾ ثم قال ﴿...فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١] فقالوا حين قبضوا ثمن ابتياعه منهم ووصلوا إلى ربح تجارتهم ﴿... وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ ...﴾ [الأعراف:٤٣].

وهنا نقول أن لله ﷻ المنة والشكر فيما هدى، وأعطى، وهو الحكم العدل فيما منع، وأضل، وأشقى فله الحمد والمنة على من تفضل عليه وهداه، وله الحجة البالغة على من أضله وأشقاه، حيث قال الله ﷻ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

فهذه طريقة من أحب الله هدايته إن شاء الله ﷻ ومن استنقذه من حبائل الشياطين وخلصه من فخوخ الأئمة المضلين(٢).

المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار:

فإذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي

(١) شرح بدء الأمالي: ص١٠٨.

(٢) انظر: الإبانة الكبرى: ٣/ ٢٥٥-٢٥٨.

مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]. وقال تعالى عن أهل النار:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

ثانياً: مراتب الضلال: إن الضلال نوعان:-

الأول: ضلال عن الصراط – طريق الهداية- فلا يهتدي إليه، أي ضلال عن معرفته.

الثاني: ضلال فيه، أي ضلال عن تفاصيله أو بعضها(١).

المطلب الثالث: أفعال العباد:

تعد مسألة أفعال العباد من أهم المسائل المنبثقة عن الإيمان بالقدر، وتنقسم أفعال العباد إلى أفعال اضطرارية وأفعال اختيارية(٢)، ولقد اختلفت الفرق الإسلامية في تفسيرها لمسألة أفعال العباد الاختيارية، إلى أقوال عدة، ولكل قول نصيب من الصواب والخطأ، ومرجع ذلك إلى النظرة الضيقة للأدلة الشرعية من قرآن كريم وسنة نبوية، إلا ما سلكه السلف الصالح في تفسيرها بما استندوا إليه من منهج سليم، معتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية، بنظرة شمولية متكاملة، وكانوا أسعد الناس بالنجاة من الزلل هم ومن ساروا على نهجهم من أهل السنة والجماعة.

أولاً: أقوال العلماء في أفعال العباد الاختيارية:

القول الأول: للجبرية؛ القائلين بأن أفعال العباد كلها لله تعالى، وهي للعبد اضطرارية كحركة المرتعش.

القول الثاني: للمعتزلة؛ القائلين بأن جميع العباد مستقلون بخلق أفعالهم، ولا علاقة لها بخلق الله ﷻ(٣).

القول الثالث: ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة والسلف الصالح من أن أفعال العباد خلق لله ﷻ وكسب من العباد(٤).

---

(١) شفاء العليل: ص١٧٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٩٤/٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٣٦.

(٤) انظر: متن العقيدة الطحاوية: ص٢٧. الحجة في بيان المحجة ٦٣/٢. اعتقاد أئمة الحديث:ص٦٠. منهاج السنة النبوية: ٢٥٧/٣-٢٥٨. قواعد العقائد:ص١٩٣. لمعة الاعتقاد:ص٢٣. القضاء والقدر:البيهقي، ص١٠١.

ثانياً: الفرق بين الخلق والكسب:

معنى الخلق: ورد في كلام العرب أن معنى الخلق ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إليه، وكل شيء خلَقه الله ﷻ فهو مُبْتَدِؤه على غير مثال سُبق إليه(١).

معنى الكسب: الفعل الذي يعود على فاعله بالنفع أو الضر، ولا يوصف فعل الله ﷻ بأنه كسب؛ لكونه منزهًا عن حاجته لجلب نفع لذاته، أو دفع ضرر عنها(٢).

ثالثاً: الفرق بين الكسب عند أهل السنة والأشاعرة:

الكسب عند أهل السنة: لقد أثبت أهل السنة والجماعة الكسب للعبد بقدرة أودعها الله إياه مؤثرة في الفعل، وأن للعبد مشيئة واختياراً، فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره.

الكسب عند الأشاعرة: لقد أثبتوا الكسب للعبد بقدرة أودعها الله ﷻ إياه، ولكنهم لم يجعلوا لقدرة العبد أي تأثير في فعله(٣).

وقد ورد في سورتي الكهف ويس، ما يوضح أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بالضر، وربطت الآيات بين هذا الفعل والعقوبة المترتبة عليه كما يلي:

في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف:٥٨] أي أن من سعة رحمة الله ﷻ لم يعاجلهم بالعقوبة، بسبب ما كسبوه من المعاصي التي من جملتها الكفر، والمجادلة، والإعراض؛ لاستحقاقهم لذلك؛ بل جعل لهم أجلاً مقدّراً لعذابهم لن يخلفوه(٤).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥] أي حين ينكر الكفار والعصاة كفرهم، وتكذيبهم الرسل يوم القيامة ومعاصيهم، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم على ما كسبوا واقترفوا من معاصي(٥).

وورد في القرآن الكريم ما يوضح أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بالنفع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿...لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا

---

(١) لسان العرب: ٨٥/١٠.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٨٧/٨. شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٣٧. التعريفات: ص١٤٨.
(٣) موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد: ص٢٦١.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٧٩/٦. معالم التنزيل: ٢٠٢/٣. إرشاد العقل السليم:٢٣١/٥.
(٥) انظر: معالم التنزيل:٢٤/٧.

مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨] أي عملت بإيمانها بالله ﷻ عملاً صالحاً، فمن عمل خيراً قُبِل منه ما يعمله، ومن لم يعمل خيراً لم يُقْبَل منه ما يعمله(١).

وقال أهل السنة أن إضافة المفعولات إلى العباد فعلاً وكسباً لا ينفي إضافتها إليه سبحانه، خلقاً ومشيئةً، فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها، والعباد فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته ﷻ، وقدرته، وخلقه، لاستحال وقوعها منهم، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأ الله ﷻ ولا خلقه(٢). حيث ورد عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ)**(٣).

فهذا يدلل أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته، وإنما جعلهما في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا، وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا، فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله، وهذا مطابق لقوله تعالى: **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر:٤٩] فإن هذه الآية نص في أن الله ﷻ خالق كل شيء ومقدره، وقوله تعالى **﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصَّفات:٩٦](٤).

وإن للعبد قدرة خلقها الله تعالى له مؤثرة بإذنه، فما شاء الله سبحانه كان، وما لم يشأ لم يكن، لا أنه لا قدرة مؤثرة للعبد(٥). والمقصود بالتأثير خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى للفعل بهذه القدرة، كما خلق النبات بالماء، وكما خلق الغيث بالسحاب، وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب(٦).

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم، وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة، فأفعال العباد بها صاروا مطيعين، وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، فالحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.(٧)

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣/ ٢٢٥٣.
(٢) انظر: شفاء العليل: ص١٠٦.
(٣) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، ٨/٥١.
(٤) فتح الباري: ١١/٤٧٨.
(٥) انظر: روح المعاني: ٧/ ٤٤.
(٦) مجموع الفتاوى: ٨/٣٨٩.
(٧) انظر: العقيدة الواسطية: ص ٢٢. شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٣٦.

ولقد أحدث الله ﷻ القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه، وهيأ أسباب الفعل، وسلب العبد العلم بالتفاصيل، وأراد من العبد أن يفعل، فأحدث فيه قدرة واختياراً وإرادة. وعلم أن الأفعال ستقع على قدر معلوم، فوقعت بقدرة العبد على ما علم ﷻ وأراد، فاختيارهم واتصافهم بالقدرة خلق الله ﷻ ابتداءً، ومقدورها مضاف إليه علمٌ ومشيئةٌ وقضاءٌ وخلقٌ، من حيث أنه نتيجة ما انفرد بخلقه، وهو القدرة، ولو لم يرد وقوع مقدورها، لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه، ومن هُدي لهذا استمر له الحق المبين، فالعبد فاعل، مختار، مطالب، مأمور، منهي، وفعله تقدير لله ﷻ(١).

ومن هنا يتبين أن العبد فاعل على الحقيقة، وله إرادة ومشيئة ثابتة تابعة لإرادة ومشيئة الله ﷻ، و قد نطق القرآن بإثبات فعل العبد ومشيئته في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في سورة الكهف في قولهﷻ:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ...﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] ففي هذه الآية إرشاد من الله ﷻ لرسوله ﷺ ، والمؤمنين من بعده، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله ﷻ علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون(٢). فهذه الآية إثبات صريح لفعل العبد وإرادته، ولكنها خاضعة لمشيئة الله ﷻ.

رابعاً: صور اثبات أفعال العباد في سورتي الكهف ويس:

لقد نطقت الآيات في سورتي الكهف ويس في أكثر من موضع بإثبات الفعل للعبد، وقد تناولت السورتان هذا الموضوع بأكثر من صورة، وهي كالآتي:

أولا: إقران الثواب والعقوبة في الدنيا والآخرة بسببها من أفعال العباد:

١. **إقران الثواب والعقوبة في الدنيا بسببها من أفعال العباد:**

وقد ورد ذلك في أكثر من موضع في سورتي الكهف يس وهي كالآتي:

أ. **قصة أصحاب القرية في سورة يس:**

حيث بينت الآيات القرآنية تكرار إنذار الله ﷻ لأصحاب القرية، بتكرار إرسال الرسل، فكانت ردّات فعلهم بالجحود، وتهديدهم للرسل بالأذى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس:١٨]. فبعد جحودهم وإصرارهم على الكفر برغم تكرار الإنذار، أنزل الله عليهم عقوبته في الدنيا، حيث قال تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٩٣/٨. شفاء العليل: ص١٢٤.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ص ١٣٩٩. معالم التنزيل:٣/ ١٨٦. تفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٤٨.

﴿هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:٢٩] ثم أتبع هذه الآية بزيادة إيضاح، وتأكيد لسبب هذه العقوبة، حيث قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٣٠] فبهذا يتبين أن سبب العقوبة بالصيحة في الدنيا، هو ما نسب إليهم من فعل، سواء الكفر أو الاستهزاء بالرسل، أو قتلهم للرجل الناصح لهم.

ب. قصة أصحاب الكهف:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ [الكهف:١٦] قد بيّنت الآيات أنهم أخذوا بالأسباب، فاعتزال الدنيا ومتاعها في سبيل الحفاظ على دينهم؛ بلجوئهم الى الكهف، جمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله ﷻ في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله ﷻ، ومن هنا فقد جمعت الآية بين إثبات فعل العبد وأخذه بالأسباب، وتوفيق الله تعالى لعباده وتثبيتهم، فحفظ دينهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه(١).

ج. قصة صاحب الجنة:

حيث ظهر ذلك بعد أن ساقت الآيات في سورة الكهف الحوار الذي دار بين صاحب الجنة المتكبر المنكر لفضل الله ﷻ عليه، حيث قال الله ﷻ واصفاً حاله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦] فختمت القصة بقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] فمن سياق هذه الآيات يتبين أن الله أنزل عقوبته عليه في الدنيا، بهلاك ماله ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾، وتلى ذلك إقراراً منه بأن تلك العقوبة كانت نتيجة فعله، بقوله تعالى مخبراً عن حاله: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٢).

٢. إقران الجزاء والعقوبة في الآخرة بسببها من أفعال العباد:

أ. قوله تعالى: ﴿فَاليَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٥٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ص٤٧٢.

(٢) انظر: بحر العلوم: ٢/ ٣٤٨. الوجيز: ص: ٦٦٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ١٩٣

تبين الآية أن الله ﷻ لا يظلم نفساً شيئاً يوم القيامة، ولا يحمل عليها وِزْر غيرها، ولكنه يوفي كلّ نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اكتسبت من شيء، ولا تكافأ النفس إلا بما كانت تعمل في الدنيا، فالجزاء هنا جزاء مكافأة لا جزاء معاوضة(١).

ب. قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس:٦٤].

بينت الآية أن سبب احراقهم في النار هو كفرهم وتكذيبهم بيوم الحساب(٢).

ج. قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا، قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٢-١٠٧]

وهذه الآيات بيّنت سبب ورود النار، والخسارة هو أفعال العباد من موالاة، واتباع الخلق، والكفر بالله ﷻ، وهذا هو عين الضلال، وفي الآيات بيان أنه لا تنفع مع الكفر طاعة وذلك من قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

وفي المقابل بينت الآيات أن الجنة جزاء من يؤمن بالله ﷻ، ويلحق إيمانه بالعمل الصالح.

د. قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

من هذه الآية يتبين أن من يرجو لقاء الله تعالى، ورضاه، والمصير إليه، فليستعمل نفسه في العمل الصالح الموافق لشرع الله ﷻ، ولا يرائي بعمله، ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله تعالى، وقد يراد به الرياء والسمعة، والعمل الصالح فيه قيدان:

أحدهما: يراد به ﷻ.

ثانيهما: أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها(٣).

---

(١) انظر: تنوير المقباس: ص ٣٧٢.جامع البيان: ٢٠/ ٥٣٤. بحر العلوم: ٣/ ١٢٧. تفسير القرآن العظيم: ٥٨٢/٦.

(٢) انظر: تنوير المقباس: ص٣٧٢. جامع البيان: ٢٠/ ٥٤٣. بحر العلوم ٣/ ١٢٩.

(٣) انظر: لباب التأويل:٣/ ١٨٠. التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٧٦. تفسير القرآن العظيم: ٢٠٥/٥

فمن هذه الآية يتبين أن الله ﷻ قد قيد الجزاء في الآخرة على العمل الموافق للضوابط التي وضعتها الآية.

ثانياً: إسناد الفعل للعبد:

حيث ورد كثيراً من الآيات التي تسند الفعل إلى الإنسان في كل من سورة الكهف ويس. ومما ورد في سورة يس قوله تعالى: ﴿... فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٦] ﴿...فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧] ﴿... فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩] ﴿...كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٣٠] ﴿... بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس:٦٤]، ﴿...بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [يس:٦٥] ﴿...أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٨] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٣٥] ﴿...إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. [يس:٤٦] إلى غير ذلك من المواضع.

وكذلك ما ورد في سورة الكهف: ﴿...الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ...﴾ [الكهف:٢]. ﴿...لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧] ﴿... أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ...﴾ [الكهف:١٢] ﴿... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ...﴾ [الكهف:١٣] ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [الكهف:١٥] ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ...﴾ [الكهف:١٦] إلى غير ذلك من المواضع.

ثالثاً: إحصاء أفعال العباد وآثارها المترتبة عليها:

أ. قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] أي يبعث الله ﷻ الموتى في الآخرة، ويجدوا ما عملوا مكتوباً ومحفوظاً؛ وذلك ما كتبته الملائكة الكرام الكاتبون، من فعل خير أو شر، وما تركوا من سنة خير، أو شر، واقتدى بهم من بعدهم، فلهم مثل أجورهم، أو عليهم مثل أوزارهم من غير أن ينقص منه شيئاً، ويؤيد هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣][(١)].

ب. قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]

ففي هذه الآية يصف الله ﷻ حال العصاة والمشركين عند نشر صحائف أعمالهم يوم القيامة وخوفهم، حيث وجدوها لم تترك صغيرة، ولا كبيرة إلا عدها، وكتبها، وأثبتها فيها وحفظها، ولا

---

(١) انظر: تفسير مجاهد: ص٥٥٩. بحر العلوم: ١١٧/٣. تفسير القرآن العزيز: ٤٠/٤. معالم التنزيل: ٧/٤.

يظلم الله ﷻ أحداً من عباده، فيكتب ما لم يعمل من السيئات، أو يزيد في عقابه المستحق له، والله تعالى أعلم[(١)]. فأفعال العباد المحصاة هي سبب في مصيره.

رابعاً: ما يترتب على الأفعال من توفيق وهداية أو إضلال وهلاك:

أ. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧]في هذه الآية قد قرن الله ﷻ إضلاله للعبد بسببه من فعله، وهو إعراضه عن النظر في آيات الله ﷻ، والإيمان فقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم، أو تعليل لهم، والأكنة: جمع كنان وهو الغطاء، والوقر: الصمم وهما على وجه الاستعارة، في قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ يريد به من قضى الله ﷻ أنه لا يؤمن[(٢)].

ب. قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١٠-١١] فهذه الآيات الكريمة تبين أن سبب عدم إيمانهم، وعدم استفادتهم من الإنذار، هو عدم عملهم بالقرآن منهج الله ﷻ في الأرض، وإنما ينفع الإنذار من عمل بمنهج الله ﷻ، فمن هنا بين الله ﷻ أن سبب عدم إيمانهم هو تعاميهم عن العمل بدينه، فساوى الله ﷻ بين من أنذرهم، ولم يؤمنوا فلم ينتفعوا بالإنذار، ومن لم ينذرهم بعداً عن الحق، وإنما الإنذار لمن انتفع به[(٣)].

---

(١) انظر: تنوير المقباس:ص٢٤٨. لباب التأويل:١٦٧/٣. مدارك التنزيل: ٣٠٥/٢. تفسير القرآن العظيم: ١٦٥/٥. البحر المديد: ٢٧٧/٣.

(٢) انظر: معالم التنزيل: ٢٠١/٣. التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٨/١.

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٧/٤. المحرر الوجيز: ٤٤٨/٤. تفسير القرآن العظيم: ٥٦٥/٦. البحر المديد: ٥٥٩/٤.

المبحث الثالث

المشيئة والإرادة الإلهية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المشيئة والإرادة.

المطلب الثاني: أقسام الإرادة الإلـهية.

المطلب الثالث: هل ينسب الشر إلى الله ﷻ.

المبحث الثالث

المشيئة والإرادة

المطلب الأول: معنى المشيئة والإرادة:

أولاً: تعريف المشيئة:

١. المشيئة لغة:

المشيئة مهموزة: أي الإرادة. وفي ديوان الأدب: المشيئة أخص من الإرادة[١].

٢. المشيئة اصطلاحاً:

مشيئة الله ﷻ: "عبارة عن تجلي الذات، والعناية السابقة لإيجاد المعدوم، أو إعدام الموجود"[٢].

ثانياً: تعريف الإرادة:

١. الإرادة لغة:

والإرادة أصلها الألف واو أي (رَوَد)، نقول: راودته أي أردْتُه على أن يفعل كذا، إلا أَن الواو سكِّنت فنُقلت حركتُها إلى ما قبلها، فانقلبت في الماضي أَلفاً، وفي المستقبل ياء، وسقطت في المصدر لمجاورتها الأَلف الساكنة وعوّض منها الهاء في آخره[٣]. وأَرَادَ الشَّيْء: شاءهُ،[٤] والإرادةُ تكون محبة وغير محبة[٥].

٢. الإرادة اصطلاحاً:

أ. "هي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق في زمن دون غيره، وفي مكان دون آخر"[٦].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥١٧/٢. مختار الصحاح: ص:١٧١. لسان العرب:١٠٣/١.

(٢) التعريفات: ص٢١٦.

(٣) كتاب العين: ٨/ ٦٤. لسان العرب: ٣/ ١٨٧.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ٩/ ٤٢١. مختار الصحاح: ٢٦٧/١. لسان العرب: ١٨٧/٣.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٤٢١/٩.

(٦) الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الله ﷻ: ص١٣٩.

ب. "هي ما لا يتعلق دائمًا إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمرًا لحصوله ووجوده"، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] (١).

ج. "صفة قائمة بذاته، ويكون تعلقها بما يصح كونه مراداً"(٢).

المطلب الثاني: أقسام الإرادة الإلهية:

لقد دل إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله ﷻ، والفطرة التي فطر الله ﷻ عليها خلقه، وأدلة العقل، على وجوب الإيمان بإرادة ومشيئة الله ﷻ، وأن ليس في الوجود موجب إلا مشيئة الله ﷻ وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، وهذا كلام أخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأخذه التابعون عنهم، ولم يزل يأخذه الخلف عن السلف من غير نكير، وصار ذلك إجماعاً منهم على ذلك(٣).

اتفق أهل السنة والجماعة على أنه "لا يكون في الدنيا، ولا في الآخرة شيء إلا بعلمه، وقضائه، وقدره ﷻ، وبمشيئته قد كتبه في اللوح المحفوظ؛ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم، والقضاء، والقدر، والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده، ويعلم كيف فناؤه؛ ولكن التغير، والاختلاف يحدث عند المخلوقين"(٤).

"واتفق سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله ﷻ عليه، مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]"(٥)، وعلى هذا تكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ، فما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن(٦).

واتفق أئمة الفقه، وأهل الحديث، وكثير من أهل النظر، وغيرهم على أن الإرادة في كتاب الله ﷻ قسمين:

---

(١) التعريفات: ص ١٦

(٢) فتح الباري: لابن حجر، ١٣/٤٥٠.

(٣) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٨٥. شفاء العليل: ص١٠٧.

(٤) الفقه الأكبر: ص٢٩.

(٥) مجموع الفتاوى: ٨/٤٥٩.

(٦) انظر: شفاء العليل: ص١٠٩

الأولى: إرادة كونية قدرية خلقية إجبارية:

إرادة الخلق، وأنه يريد ما يفعله، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة هي التي يجب مرادها سواء أحبه الله ﷻ ورضيه، أم لا. ومنها قوله تعالى: ﴿ ...مَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ...﴾ [الأنعام:١٢٥]، قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]، وقد ورد هذا النوع من الإرادة في سورتي الكهف ويس في أكثر من موضع:

١. قوله تعالى: ﴿ ... إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس:٢٣].

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

٣. قوله تعالى: ﴿ ... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ... ﴾ [الكهف:٨٢]

٤: وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ [يس:٤٣].

٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٦٦].

٦. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٦٧]

٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف:٢٣]

٨. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٤]

٩. وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩]

١٠. وقوله تعالى. ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف:٣٩] ففي هذه الآية نفى أن يملك العبد كسباً ينتفع به، أو يضره إلا بمشيئة الله ﷻ وقدرته(١).

"وهذه الآيات، ونحوها يخبر الله ﷻ أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء ما عصى، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى، وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٨٥.

بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته أن يقع، وهذا حقيقة الربوبية؛ وهو معنى كونه رب العالمين، وكونه القائم بتدبير عباده، فلا خلق، ولا رزق، ولا عطاء، ولا منع، ولا قبض، ولا بسط، ولا موت، ولا حياة، ولا إضلال، ولا هدى، ولا سعادة، ولا شقاوة، إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالك غيره، ولا مدبر سواه، ولا رب غيره"[1].

وأما قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ [الكهف:٢٩] ففيها وعيد من الله ﷻ، ليس على سبيل تفويض المطلق للفعل؛ وذلك لما تلاها من قوله تعالى: ﴿...إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴾ [الكهف:٢٩][2].

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٤٧]

فهذه الآية تتحدث عن أغنياء المشركين، عندما طُلب منهم الإنفاق على الفقراء، فقالوا هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم، ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم[3]. فقولهم هذا من باب الاستهزاء، وهذا الذي يزعمون باطل؛ لأن الله ﷻ أغنى بعض الخلق، وأفقر بعضهم ابتلاءً، فمنع الدنيا من الفقير، لا بخلاً، وأمر الغني بالإنفاق، لا حاجةً إلى ماله، ولكن ليبلوَ الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله ﷻ، وحكمه في خلقه[4].

الثانية: إرادة دينية أمرية شرعية اختيارية:

وهي الإرادة المتعلقة بالأمر، أي يريد من العبد فعل ما أمره به، وترك ما نهاه عنه، وهي المتضمنة للمحبة والرضا، ومنها قوله تعالى: ﴿...يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾[البقرة:١٨٥] ، و قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧] والعبد مخير فيها بين الفعل والترك، وهي موطن الاختبار، والابتلاء، وهذه الإرادة لا يجب مرادها، ولذلك تجد الناس يقولون لمن يفعل القبائح: هذا ما لا يحبه الله ولا يرضاه[5].

---

(١) شفاء العليل: ص ١١٠.

(٢) شرح بدء الأمالي: ص١٠٧.

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٢٠/٧. تفسير القرآن العظيم: ٦/ ٥٨٠.

(٤) معالم التنزيل: ٢٠/٧.

(٥) منهاج السنة النبوية: ١٥٦/٣.

فالطاعات كلها واجبة بأمر الله تعالى، وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته و قضائه وتقديره. والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره"(١).

علاقة الموجودات بأنواع الإرادة(٢):

١. ما تعلقت به الإرادتان: وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله ﷻ أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به، وأحبه، ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.

٢. ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط: وهو ما أمر الله ﷻ به من الأعمال الصالحة، وهو يحبها ويرضاها لو وقعت، ولكن لم تقع، فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين.

٣. ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط: وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها: كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها، إذ هو لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت، ولما وجدت، فإنه ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن.

٤. ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه: فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي.

"ومما ينبغي العلم به أن تعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم، فلا يوجِد أو يعدِم ﷻ من الممكنات عندنا إلا ما أراد إيجاده وإعدامه، ولا يريد إلا ما عَلِم، فما عَلِم منها أنها تكون أراده، وما علم أنها لا تكون لم يرده"(٣).

المطلب الثالث: هل ينسب الشر إلى الله ﷻ؟:

لقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان لا يصح لأحد، ولا يكون العبد مؤمناً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنهما خلق لله ﷻ، وأن المكذِّب بذلك إن مات عليه دخل النار، والمخالف لذلك يكون من الفرق الهالكة.(٤) وعلى هذا فإن الله ﷻ خلق الخير، والشر، وقدرهما على عباده، وقد ورد ما يدل على ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) الفقه الأكبر: ص٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى: ٨/ ١٨٩-١٩٠. شفاء العليل: ص٧٩.

(٣) لوامع الأنوار البهية: ١/ ١٥٦.

(٤) الفقه الأكبر: ص١٠٣. متن العقيدة الطحاوية: ص٢٦. شرح السنة: ص٨٦. الإبانة عن أصول الديانة: ص٣٨٧. الإبانة الكبرى: ١٤٩/٣. اعتقاد أئمة الحديث: ص٦١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٥٧/١. أصول الدين: للبغدادي، ص١٢٤. أصول الدين: للغزنوي، ص١٩٠. مجموع الفتاوى: ٢٤٢/٨. شفاء العليل:٣٣٩.

أولاً: التعريف بالخير والشر:

١. التعريف بالشر:

أ. **الشر لغة:** السوء والفعل للرجل الشرير(١)، ضد الخير(٢).

ب. الشر اصطلاحاً:

١. عبارة عن عدم ملاءمة الشيءِ الطبعَ(٣).

٢. وضع الشيء في غير محله(٤).

٣. ما زاد ضره على نفعه(٥).

٢. التعريف بالخير:

أ. **الخير لغة:** الخير ضد الشر(٦).

ب. الخير اصطلاحاً:

وضع الشيء في محله.

وأنه ما زاد نفعه على ضره؛ولهذا صار البلاء النازل على الأولياء خيراً؛ لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره من الثواب كثير في الآخرة. وهذا معنى ما ورد عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)(٧).

ثانياً: الأدلة على خلق الله ﷻ للخير وللشر:

أ. الأدلة من القرآن:

قوله تعالى: ﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ، قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة:٥٠-٥١]

---

(١) انظر: مختار الصحاح: ١٩٦/١.لسان العرب: ٤٠٠/٤.

(٢) مختار الصحاح: ٣٥٤/١.

(٣) التعريفات: ص١٢٧.

(٤) شرح الطحاوية: ص٢٥٥.

(٥) انظر: أحكام القرآن: ٣/ ٣٦٣.

(٦) انظر: مختار الصحاح: ١٩٦/١. لسان العرب: ٢٦٤/٤.

(٧) صحيح مسلم: كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، ٢٢٧/٨.

أي نحن تحت مشيئة الله ﷻ لن يصيبنا إلا ما كتب الله ﷻ لنا في اللوح المحفوظ، من خير، أو شر، أو خوف، أو رجاء، أو شدة، أو رخاء[1].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦].

ففي هذه الآية استنكار على من اتخذ أولياء من دون الله ﷻ ، فلا يجوز عبادة سواه؛ لأن الله ﷻ خالق كل شيء، فالمعبودات الأخرى لا تملك نفعًا تجلبه إلى نفسها، ولا ضرًّا تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لنفسها، فمِنْ ملْكه لغيرها أبعدُ، وتركتم عبادة من بيده النفع، والضر، والحياة، والموت، وتدبير الأشياء كلها.

قوله تعالى:﴿ ... وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨] ففي هذه الآية "فرّق ﷻ بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله ﷻ، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى اللهﷻ، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير"[2].

وتطبيق ذلك في قصة موسى والخضر عليهما السلام فكان ظاهر فعل الخضر عليه السلام أنه أذى وشر، لهذا اعترض موسى عليه السلام عليه، ولكن حقيقة الفعل ظهرت عندما أخبر بدوافع فعله، وأن فعله كان بأمر الله ﷻ، وكان يحمل من الخير الكثير، وكل ذلك لحكمة الله ﷻ، وكانت قصة موسى والخضر خير مثال ضربه الله ﷻ؛ ليعلم عباده معنى الحكمة المطلقة في كل ما يفعله الله سبحانه وتعالى.

الأدلة من السنة:

أ. ما ورد عن عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: **بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ... قال جبريل**

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٨٢/٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ص٣٦٥.

عليه السلام: **أَخْبِرْنِـي عَنِ الْإِيمَـانِ. قَـالَ ﷺ: (أَنْ تُـؤْمِنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُـلِهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** [(١)].

ب. ما ورد عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لَوْ أَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لِرَجُلٍ أُحُدٌ، أَوْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَقْبَلُهُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَـهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا أُدْخِلْتَ النَّارَ)**[(٢)].

ج. ما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: **(يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّـهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّـهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ. إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّـهَ. وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ. وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)**[(٣)].

ففي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى الله تعالى، كما يضاف إليه الخير، لقوله أعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك[(٤)].

والمقصود بجواز الإضافة هنا هي إضافة خلق، وذلك لأن خلق الله ﷻ خالق كل شيء، وإن كان ظاهره شر وسخط وعقوبة، ولكن ذلك لحكمته ﷻ وعدله[(٥)].

د. ما ورد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: **(وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ.**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ٢٨/١.

(٢) السنة: لابي بكر بن أبي عاصم، ١٨٧/١، . قال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات. ظلال الجنة في تخريج السنة: ١/ ٩٢.

(٣) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ﷺ، باب ، ٢٨٤/٤، ح ٢٥١٦. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ﷺ، باب ، ٦١٠/٢.

(٤) المنهاج شرح مسلم بن حجاج: ٤/ ٢٠٤. شرح سنن أبي داود: للعيني، ٤/ ٩٠.

(٥) التفسير القيم: ص٦٢٠.

وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) (١).

والذي رآه أهل السنة في معنى قوله: (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ): أن هذه مما يجب تأويله؛ لأن كل المحدثات خلق الله تعالى، سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله وللعلماء فيه أربعة أقوال:

أحدها: معناه: لا يتقرب به إليك، لأن الملوك يتقرب إليهم بالشر، والله ﷻ لا يتقرب إليه إلا بالخير.

الثاني: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء، ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم.

الثالث: معناه والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح.

الرابع: معناه والشر ليس شراً بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

وأن في الحديث الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله تعالى، ومدحه بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب(٢).

والله ﷻ لم يخلق شراً محضاً؛ بل كل ما يخلقه فيه حكمة، هو باعتبارها خير، حيث قال الله تعالى: ﴿... **صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل:٨٨]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ..﴾ [السجدة:٧] ولكن قد يكون فيه شر لبعض المخلوقات، فهذا شر جزئي إضافي، فإما شر كلي، أو شر مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفرداً قط، ولا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله؛ والشر لا يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً، ومصلحة للعباد: كالمطر، وكإرسال رسول، وكالمصائب، تكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليها، ويرجعون فيه إلى الله ﷻ، ويستغفرونه، ويتوبون إليه(٣).

(١) صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١٨٥/٢.
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٣/ ١٢١. أنوار البروق في أنواء الفروق: ٩٠/٢. شرح سنن أبي داود: ٣٦٨/٣. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: ٢/ ٣٨٠.
(٣) شرح الطحاوية: ص٣٦٦.

والجمهور متفقون على ما دل عليه الكتاب، والسنة، والمعقول الصريح من أن الله ﷻ حكيم، فإنه من لم يفعل شيئاً لحكمة لم يكن حكيماً[١]. بل يقولون إنه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، وقد يعْلِم بعض العباد من حكمته بما يطلعهم عليه[٢]، ومن ذلك ما ورد عن الخضر، وتوضيحه لحقيقة ما قام به من مواقف ظاهرها شر كبير، ولكن بعد توضيحها تبين أنها خير حيث قال الله ﷻ على لسان الخضر: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩] ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨١] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢] وقد بسط الكلام على حقائق هذه الأمور، وبين أن الله ﷻ لم يخلق شيئاً إلا لحكمة، فالمخلوق باعتبار الحكمة التي خُلق لأجلها خير وحكمة، وإن كان فيه شر من جهة أخرى، فذلك أمر عارض جزئي، ليس شراً محضاً؛ بل الشر الذي يقصد به الخير الأرجح هو خير من الفاعل الحكيم، وإن كان شراً لمن قام به، إنما يرى العبد الأمر شراً لعدم علمه بحقائق الأمور، وارتباط بعضها ببعض[٣].

"ويجب على العبد أن يعلم أن علم الله ﷻ وقدرته، وحكمته، ورحمته في غاية الكمال، الذي لا يتصور زيادة عليها؛ بل كلما أمكن من الكمال الذي لا نقص فيه فهو واجب للرب تعالى، وقد يعلم بعض العباد بعض حكمته، وقد يخفى عليهم منها ما يخفى، والناس يتفاضلون في العلم بحكمته، ورحمته، وعدله، وكلما ازداد العبد علما بحقائق الأمور ازداد علماً بحكمة الله، وعدله، ورحمته، وقدرته"[٤].

صيغ ورود الشر في القرآن الكريم[٥]:

لقد ورد ذكر الشر في القرآن الكريم، ولم يتم إضافة الشر إلي الله ﷻ مفرداً قط بل بالصيغ التالية:

١. **أن يدخل في عموم المخلوقات:** كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ

---

(١) مجموع الفتاوى: ٨/ ٣٧٨.
(٢) المرجع السابق: ٨/ ٩٣.
(٣) المرجع السابق: ٨/ ٥١٢.
(٤) المرجع الفتاوى: ٥١٣/٨.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ٩٥/٨. شرح العقيدة الطحاوية: ص٣٦٦.

تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦]. وقوله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨]

٢. **أن يضاف إلى السبب:** كقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢] والله ﷻ الخالق لكل شيء، وإن أضيف فعل الشر إلى من يدعوا إليها، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر:٦٢]، وأفعال العباد مخلوقة لا يقدر أحد أن يشاء شيئاً، إلا أن يشاء الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩](١). وقد ورد في سورة الكهف أمثلة على ذلك في عدة مواضع وهي كالآتي:

الموضع الأول:

في قوله تعالى: ﴿... فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا﴾[الكهف:٦٣] فنسب النسيان هنا للشيطان؛ لأنه السبب في ذلك، وذلك بتقدير العزيز العليم(٢). "فلا يصح أن يضاف إلى الله ﷻ، ما قصره الله ﷻ بحرفٍ ما على الشيطان، وحَصَرَه بهذا الحرف ذَمّاً لهم، ومقتاً ولوماً، و ذلك أوضح دلالة على أن إضافة القبيح بهذا الحرف إلى الفاعل المختار صيغة ذمٍّ ولومٍ يجب تنزيه الله تعالى عنها"(٣).

ولكن تتجلى الحكمة الإلهية من تقدير النسيان، بأن جعلها علامة على بلوغ الهدف المنشود، وذلك في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤].

وهذا ما أُثر عن السلف الصالح، عندما كانوا يجتهدون في الفتوى، مثل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: (... سَأَقُولُ فِيهَا بِجَهْدِ رَأْيِي، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا، فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَمِنِّي، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِيءٌ)(٤).

(١) اعتقاد أهل السنة: ٤/ ٧٠٣

(٢) التفسير القيم: ص٦٧٢. اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ٣٩٢. روح المعاني: ٨/ ٢٩٩. تيسير الكريم الرحمن: ٤٨١/١.

(٣) اللباب في علوم الكتاب: ٣٩٢/٤. العواصم والقواصم: ١٨١/٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص: ١٨٠/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وسُئِلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَنْ الْكَلَالَةِ: فَقَالَ : (سَأَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَمِنِّي، أَرَاهُ مَا خَلَا الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ)(١).

الموضع الثاني:

في قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩] ففي هذه الآية نسب الخضر عليه السلام ما أراد القيام به من خرق السفينة إلى نفسه، لما في ظاهره من الفساد؛ تأدباً مع الله ﷻ؛ ولكنه عندما ذكر سبب بنائه للجدار، وما في ظاهره من خير نسب إرادة الفعل إلى الله ﷻ، وذلك فيما قاله الله ﷻ على لسان الخضر عليه السلام: ﴿... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ...﴾ [الكهف:٨٢] ﷻ. مع أن كل ما فعله كان بأمر من الله ﷻ، لقوله تعالى على لسان الخضر عليه السلام: ﴿... وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢](٢).

١. وإما أن يحذف فاعله: كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠]. وورد في سورة الكهف أمثلة على ذلك في مواضع عدة، وهي كالآتي:

الموضع الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩] ففي هذه الآية بيان لحكمة الله تعالى وعدله؛ والتي تتجسد في الحديث عن العقوبة في الآخرة، لمن ظلم نفسه، واختار الكفر على الإيمان بعد الرسل والبينات، فعبّرت الآيات عن العقوبة بصيغة المبني للمفعول ﴿يُغَاثُوا﴾ بدل من (يغيثهم الله)، مع أن ذلك كان عقوبة من الله ﷻ بهم على كفرهم؛ وذلك لما في ظاهر الفعل من الشر.

الموضع الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] ففي هذه الآية بين الله ﷻ عقوبة صاحب الجنة

---

(١) السنن الصغرى: كتاب الفرائض، باب في الكلالة، ٢٥/٦، ح٢٢٦٩. رجاله ثقات إلا أنه منقطع. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: ١٩٧/٣.

(٢) انظر: فتح الباري: لابن حجر، ٤٢٢/٨.

المنكر لفضل الله ﷻ عليه، وما أصاب جنته من تلف وهلاك؛ فعبرت الآية بصيغة المبني للمجهول بحذف الفاعل [وَأُحِيطَ] بدل من (أحاط الله) وذلك لما في ظاهر الفعل من شر؛ ولكن هذا الفعل حكمة، وعدل من الله ﷻ؛ لما فيه من قصاص في الدنيا على جحوده وشركه، والذي بينته الآية من إقرار صاحب الجنة، في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٢].

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ [يس:٢٣].

إن الله ﷻ صرح بإرادته للضر؛ لبيان كمال قدرته على خلقه، وأنه هو المستحق للعبادة لا سواه، وكمال عجز خلقه عن رفع الضر عن مثلهم؛ وبهذا لا يستحق العاجز أن يعبد، وإن إنزاله ﷻ الضر بالظالم لنفسه بشركه هو عدل وحكمة مطلقة.

المبحث الرابع

الأخـــذ بالأسبـــاب

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالأسباب وأنواعها.

المطلب الثاني: ضرورة الأخذ بالأسباب.

المطلب الثالث: الأخذ بالأسباب وعلاقته بالتوكل.

المبحث الرابع

الأخذ بالأسبـاب

المطلب الأول: التعريف بالأسباب وأنواعها:

أولاً: التعريف بالأسباب:

أ. تعريف الأسباب لغة:

جمع سبب، والسبب: الحبل، وأسباب السماء مراقيها، وسبب الأمر: الذي يوصَل به إلى غيره، وكل فعل يوصل به إلى شيء فهو سبب. والسبب: الطريق لأنك تصل به الى ما تريد[1].

وقد ورد في سورة الكهف لفظة سبب بهذا المعنى حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤].

فمعنى ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي آتاه الله ﷻ علماً تسبب به ليوصله إلى ما يريد، وكل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب، وقال كثير من المفسرين في معنى الآية: آتيناه من كل ما بالخلق إليه حاجة علماً ومعونة له. وقد سمى الله سبحانه الطريق سبباً في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٥]. لأنه يوصل إلى الهدف المنشود، وقيل المقصود من السبب في هذه الآية هو المقصود من الآية السابقة: أي أتبع سبباً من تلك الأسباب التي أوتيها مما يوصله إلى مقصوده[2].

ب. تعريف الأسباب اصطلاحاً:

يمكن تعريف الأسباب أنها: عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. [3]

---

(١) انظر: العين ٧/ ٢٠٣-٢٠٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/١٤٥. المحكم والمحيط الأعظم: ٨/ ٤٢٤. القاموس المحيط: ٩٦/١

(٢) انظر: شفاء العليل: ص١٨٩.

(٣) التعريفات: ص١١٧، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ص٥٠٣.

ثانياً: أنواع الأسباب:

النوع الأول- أسباب شرعية:

هي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله ﷻ، وبينه في كتابه وسنة نبيه، وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ، وهذه السنة قد تتبدل، وتتغير، كما يعصى أمره ويخالف، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فكل فعل رتب الله ﷻ عليه عقاباً أو ثواباً فهو من الأسباب الشرعية، باعتبار كونه مطلوباً من العبد، ومن الأسباب القدرية باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره.

النوع الثاني- أسباب قدرية:

هي كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه الله ﷻ بها، ويؤدي إلى المطلوب بفطرته التي فطره الله ﷻ عليها، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق، فهي الأسباب التي قدر الله ﷻ أن لا تخالف أحكامها؛ بل يجريها على أسبابها وما خلقت له، فلن تجد لسنة الله ﷻ تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تعالى تحويلاً، فلا يعصى أمره الكوني القدري، وهذه الأسباب اقتضائها لمسبباتها قدراً حتمياً. كما في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم:٤٨].

والأسباب القدرية هي نوعان:

النوع الأول: الأسباب المادية المعلومة عن طريق الشرع كالعلاج بالعسل.

النوع الثاني: الأسباب المادية المعلومة عن طريق التجارب، مثل كثير من الأدوية، وهذا النوع لا بد أن يكون تأثيره عن طريق المباشرة، لا عن طريق الوهم والخيال، فإذا ثبت تأثيره بطريق مباشر محسوس صح أن يتخذ دواءً يحصل به الشفاء بإذن الله ﷻ.

أما إذا كان مجرد أوهام وخيالات يتوهمها المريض فتحصل له الراحة النفسية، فهذا لا يجوز الاعتماد عليه ولا إثبات كونه دواء. ولهذا نُهي عن لبس الحلقة، والخيط ونحوهما؛ لرفع المرض أو دفعه؛ لأن ذلك ليس سبباً شرعياً، ولا حسياً، وما لم يثبت كونه سبباً شرعياً، ولا حسياً،

لا يجوز أن يُجعل سبباً؛ فإن جَعْلَه سبباً نوع من منازعة الله ﷻ في ملكه، وإشراك به حيث شارك الله ﷻ في وضع الأسباب لمسبباتها(١).

ثالثاً: كيف تعرف صحة الوسائل ومشروعيتها:

والطريق الصحيح لمعرفة مشروعية الوسائل، هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتثبت مما ورد فيهما عنها، وفيما يلي شروط صحة الوسائل:

شرطا جواز استعمال السبب الكوني:

الأول: أن يكون مباحاً في الشرع.

والثاني: أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب.

وأما الوسيلة الشرعية فلا يشترط فيها إلا ثبوتها في الشرع ليس غير(٢).

المطلب الثاني: ضرورة الأخذ بالأسباب:

إن الله ﷻ خلق الكون وفق سنن وقوانين محكمة، مبنية على أساس من العلم المطلق، والحكمة البالغة، ومن أهم هذه السنن قانون السببية، فمن المعلوم في الدين بالضرورة ما يعتري المخلوقات من نقص وافتقار، واحتياجها إلى غيرها لتكمّل ذاتها، وعلى هذا فقد خلق الله ﷻ لكل مخلوقاته الوسائل، والأساليب التي تشبع حاجاتها الأساسية؛ لتقوم به الحياة، على سبيل المثال: النبات وما يحتاج إليه من ماء، وغرس، ورعاية من الآفات، والنسل وما يسبقه من النكاح، والجوع والعطش وما يدفعه من أكل وشرب، وغيرها من أسباب الحياة، ومقوماتها المادية، فكذلك حياة الإنسان لا تستقيم إلا بإشباع الجانب الروحي بما سنّ الله ﷻ من أسباب لسعادته في الدنيا والآخرة، وذلك باتباع شرع الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، ولكن لهذه القوانين والسنن التي ربطها الله ﷻ ببعضها ربط الأسباب بالمسببات، قيود وضوابط بينها العلماء حيث قال جماعة من العلماء: "أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول السبب"(٣).

وذلك لأن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه، ورجاؤه والاستناد إليه، واعتقاد تأثير الأسباب على سبيل الاستقلال دخول في الضلال، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، ولابد

---

(١) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ص١٨-٢١.
(٢) مجموع الفتاوى: ١/١٣٧.
(٣) انظر: . إحياء علوم الدين: ٤/٢٢٥. مجموع الفتاوى: ٨/١٣٩. شرح الطحاوية: ص٤٦٠.

للسبب من أسباب مساعدة، واجتناب الموانع ومع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب ﷻ لم يسخر[1].

إن الله ﷻ هو خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سبباً لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته، وقدرته منقادة لحكمه، إن شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما إحراق النار على خليله إبراهيم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩] وأبطل إغراق الماء على كليمه موسى عليه السلام وقومه وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٥، ٦٦] وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلا بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل ما يشاء[2].

فجماهير المسلمين يقرون أنه ﷻ ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي، ومحل ملكه وتصرفه في أمره الكوني القدري، فإنكار الأسباب، والقوى، والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء، فقد جعل الله ﷻ مصالح العباد في معاشهم، ومعادهم، والثواب، والعقاب، والحدود، والكفارات، والأوامر، والنواهي، والحل، والحرمة، كل ذلك مرتبطٌ بالأسباب قائمٌ بها. بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف وفقها، فالأسباب محل الشرع والقدر[3].

إن الله ﷻ يعلم الأمور على ما هي عليه، حيث جعل للأشياء أسباباً تكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، كما علم أن الزرع ينبت بما يسقيه من الماء، ويبذره من الحب؛ وكما جعل الدعاء سبباً لقضاء حاجات العباد، والتي ينال بها مغفرته، ورحمته، وهداه، ونصره، ورزقه، وإذا قدر للعبد خيراً أن يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء، والكسب والسعي سبب للرزق، والقتل سبب للموت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد سبب في نشر الدين، وتغيير الواقع، فلا بد من الأسباب التي علم الله ﷻ أن هذه الأمور تكون بها، فما قدّره الله ﷻ وعلمه من أحوال العباد، وعواقبهم، فإنما قدره الله ﷻ بأسباب يسوق بها المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات.

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة: ٥٢/٢. مجموع الفتاوى: ٣٩٢/٨. شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٦٠.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة: ٥٢/٢. شفاء العليل: ص٣٥٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٣٠/٨. شفاء العليل: ص٣٥٠.

كذلك أمور الآخرة مقضية مقدّرة مقسومة، والأعمال من العباد في أسبابها الظاهرة جارية، والأوامر والنواهي فيها ثابتة، والوعد، والوعيد، والثواب، والعقاب فيها عامل، فالله ﷻ لا يُدخِل النار أحداً إلا بذنبه، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥] فأقسم أنه يملؤها من إبليس وأتباعه، ومن اتبع إبليس فقد عصى الله تعالى، ولا يعاقب الله ﷻ العبد على ما علم أنه يعمله حتى يعمله.

وكذلك الجنة خلقها الله ﷻ لأهل الإيمان به وطاعته، فمن قدر أن يكون منهم يسره للإيمان والطاعة. ﴿...قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ...﴾ [آل عمران:١٥] . وقد وضح النبي ﷺ أن الإنسان ليس بمجرد العمل ينال السعادة في الآخرة، وإنما هو سبب، وذلك فيما ورد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَت: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ) قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ)** [1]. وقال تعالى: ﴿...ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]. فهذه باء السبب أي: بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة أي: ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله[2].

ولقد أرشد النبي ﷺ الأمة في القدر إلي أمرين هما سببا السعادة: [3]

١- " الإيمان بالأقدار هو نظام التوحيد.

٢- والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره، وتحجز عن شره".

فالنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة، وبيان ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)**[4].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمته، ١٣٩/٨.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة: ٥٤-٥٦. مجموع الفتاوى: ٦٨-٧٠. العبودية: ص٦١.

(٣) شفاء العليل: ص٢٦.

(٤) صحيح مسلم: كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٥٦/٨.

وبعد الوقوف على معنى الأسباب وضرورة الأخذ بها، يعتبر القرآن الكريم أعظم كتاباً في إثبات الأسباب، "ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة، لزاد على عشرة آلاف موضع"(١).

ويمكن القول بأن سورتي الكهف ويس من أعظم سور القرآن، التي تناولت موضوع الأخذ بالأسباب، والتي ظهر فيها جلياً التطبيق العملي الصحيح للأخذ بالأسباب في كل نواحي الحياة الدنيا والآخرة، وهي كما يأتي:

أولاً: الأخذ بالأسباب والدعوة إلى الله ﷻ:

تعد الدعوة إلى الله ﷻ المهمة الأولى للمسلمين، وذلك لأنها توضيح للمنهجية الصحيحة لأداء المهمة الأساسية، التي خُلق الإنسان لأجلها، والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، وهي السبب التي نالت به أمة الإسلام الخيرية على جميع الأمم، حيث قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...**﴾ [آل عمران:١١٠].

وتعد الدعوة إلى الله ﷻ من أهم الأسباب التي بها يقيم الله ﷻ حجته على عباده، وبيان طريقي الهداية والضلال لهم، وذلك يكون سبباً للنجاة في الدنيا والآخرة لمن يؤمن، والهلاك والبوار في الدنيا والآخرة لمن كفر، وهذا من مقتضى عدله وحكمته ﷻ.

وقد ورد في سورتي الكهف ويس المنهجية الصحيحة للدعوة إليه ﷻ. وتنوعت أساليبها، وهي كالآتي:

١. <u>إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية:</u>

يعد إرسال الرسل، وإنزال الكتب السماوية، من أهم الأسباب التي يقيم الله ﷻ بها الحجة الكبرى على عباده، حيث قال تعالى: ﴿ .. **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء:١٥] وقال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٦٥].

وقد ظهر ذلك من مطلع سورتي يس والكهف، حيث قال تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾ [يس:٦] وقال تعالى: ﴿**قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ**

---

(١) شفاء العليل: ص١٨٩.

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:٢]، فبينت الآيات أن سبب إرسال الرسل، وإنزال الكتب السماوية من الله ﷻ، هو الدعوة إليه ﷻ وهداية الناس، فمن آمن فله البشرى والفوز، ومن كفر فله الإنذار.

وأورد الله ﷻ في سورة يس مثالاً واضحاً على مدى حرصه ﷻ على إمهال عباده في تكرار إقامة الحجة عليهم، وذلك في قصة أصحاب القرية، والذي تكرر فيها إرسال الرسل، حيث قال تعالى: **﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾** [يس:١٤]، وقال تعالى: **﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾** [يس:٢٠]

ولكن هذا الإنكار المتكرر منهم، وجحودهم المفرط، كان سبباً في عقاب الله ﷻ لهم، حيث قال تعالى: **﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** [يس:٢٩-٣٠].

وعلى هذا فالله ﷻ جعل إرسال الرسل سبباً ووسيلة لهداية الناس، وفي هذه الآيات جعل الجحود، والإنكار بعد إرسال الرسل سبباً في الهلاك بالصيحة.

وبالمقابل جعل الله ﷻ إيمان الفتية أصحاب الكهف، وهجرهم للدنيا في سبيل الثبات على الدين، سبباً في زيادة إيمانهم، والتوفيق والتثبيت الحقيقي من الله ﷻ لهم، حيث قال تعالى: **﴿... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾** [الكهف:١٣].

٢. <u>التذكير بنعم الله ﷻ:</u>

إن الله ﷻ خلق الإنسان، وجند كل ما في الكون لخدمته، وقد أسدل عليه النعم فضلاً منه، ولفت نظره إلى هذه الحقيقة في آيات القرآن الكريم؛ حتى تكون سبباً في إيمانهم وحجة عليهم، فمن بيده الخلق والنعم والفضل، أحق بالعبادة من مخلوق عاجز لا حول له وله ولا قوة.

وقد ورد في سورة يس الكثير من الآيات، التي تستحق الوقوف أمامها، والتأمل فيها لعظيم ما فيها من دلالات على استحقاق الله ﷻ للعبادة، دون أدنى شك، أو تردد، ومن تلك الآيات ما يلي:

أ. قوله تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ، سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يس:٣٣-٣٦].

إن الله ﷻ في هذه الآيات يلفت نظر عباده إلى خلق من خلقه، وهو الأرض، وما فيها من نعم تفضل بها على عباده، وذلك من إحياء الأرض إذا كانت ميتة هامدة، لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء، وإخراج النبات منها بأنواعه المختلفة، وإخراج الماء من بين الصخور عيوناً، فهذه النعم والآيات سبب في استحقاق مسدلها الشكر والعبادة؛ ولكن بيّنت الآيات التالية كفرهم وجحودهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس:٤٦][(١)].

ب. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٧١-٧٥].

ففي هذه الآيات يلفت الله ﷻ أنظار عباده إلى الأنعام التي سخرها لهم، فجعل منها ما يركبون، ومنها يأكلون، ومن ألبانها يشربون، ومن أصوافها، وأوبارها، وأشعارها ينتفعون، فذكرهم بتعدد منافع مخلوق واحد من مخلوقاته ﷻ لعلهم يشكرون، فكيف بباقي ما سخر لهم وخلق؛ ولكنهم كفروا، وعبدوا آلهة عاجزة عن نصرهم إن استنصروهم[(٢)].

ففيما سبق من آيات بيان لأعظم وأقرب الأسباب إلى الإنسان، من نعم تفضل بها الله ﷻ على الإنسان في حياته، وهي بين يديه، والتي تعتبر من أكبر البراهين على كمال قدرة الله ﷻ، وكمال تفضله على عباده وإنعامه، والتي يترتب عليها استحقاقه للعبادة دون أدنى تردد، وبينت الآيات أن عدم الإيمان سببٌ فيما ترتب عليه من عقوبات في الدنيا، وأخذهم بالصيحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:٢٩].

٣. **التذكير بعظيم خلق الله ﷻ وقدرته:**

إن لله ﷻ في خلقه لآيات، لو توقف الإنسان أمامها ملياً، لكانت سبباً كافياً للدلالة على عظيم علم، وقدرة، وحكمة من خلقها جل وعلا، وأنه لا يمكن أن يكون وراءها مخلوق ضعيف عاجز عن أن يرفع عن نفسه ضراً، أو أن يجلب لنفسه نفعاً، وذلك بيّن واضح في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطُّور:٣٥-٣٦] إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطُّور:٤٣]. وقد ورد في سورتي

(١) انظر: معالم التنزيل: ١٧/٧. تفسير القرآن العظيم: ٣٦٠/١١.
(٢) انظر: معالم التنزيل: ٢٨/٧. البحر المحيط: ٣٣٢/٧.

الكهف ويس من الآيات الكونية العظيمة الظاهرة في خلقه، وهي سبباً لإيمان من يتأملها بقلب صافٍ وذهن خالٍ من التبعية العمياء لأفكار مشوشة مشبوهة، وهي كالآتي:-

أ. ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ* وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠]

ففي هذه الآية يلفت الله ﷻ نظر عباده إلى الآيات الكونية المحسوسة، التي يدركها بحواسه في حياته اليومية، والتي هي من أعظم الآيات الكونية التي يراها الإنسان في حياته اليومية، دون تكلّف أو عناء، والتي لو تأملها الإنسان، كانت أكبر سبب في توصله إلى استحقاق خالقها للتفرد بالعبودية له، وتمثلت في الآيات الآتية:

- **الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ تحمل الدلالة على قدرته تعالى العظيمة في خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، ومن ذلك أن الأصل الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سُلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة[(١)].
- **الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [يس:٣٨] والتي تحمل الدلالة على قدرة الله ﷻ في جريان الشمس دون توقف، في نظام محكم إلى قيام الساعة[(٢)].
- **الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] وتحمل هذه الآية دليلاً آخراً على قدرة الله ﷻ، وذلك من خلال تقديره لمنازل القمر المعروفة عند العرب، وهي ثمانية وعشرون منزلة، يقطع القمر منها كل ليلة منزلة، وتناقُص شكله، وعودته، واستهلاله رقيقاً، وحينئذ يشبه غصن النخلة القديم[(٣)].
- **الآية الرابعة:** قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]وفي هذه الآية دليل آخر على كمال قدرة الله ﷻ، ودقة خلقه، وإحكامه، وذلك في أنه لا يمكن للشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره،

---

(١) انظر: لباب التأويل: ٤/٧٠. تفسير القرآن العظيم: ٦/٥٧٥

(٢) انظر: بحر العلوم: ٣/١٢٣، الكشف والبيان: ٨/١٢٨. لباب التأويل: ٤/٧-٨،

(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز: ٤/٤٥. الجواهر الحسان: ٥/١٣.

وأن كل واحد منهما جعل الله ﷻ له وقتاً موقتاً واحداً معلوماً لا يتعدّاه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل(١).

ب. ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ [يس:٤١-٤٣]

وهذه الآيات تحمل في طياتها دليلاً آخراً على كمال عظمة الله ﷻ، واستحقاقه للعبادة، وهي أنه علّم الإنسان صنع السفينة وغيرها، وسيّرها في البحار، وهي تحمل ذريتهم، وهو قادر على إغراقهم فلا منقذ لهم(٢).

فالآيات السابقة كلها آيات كونية، ويعاينها الإنسان كل يوم في حياته، ويدركها بحواسه، لو تأملها يستشعر فيها عظمة الله ﷻ، وقدرته، وحكمته، وإحكامه لخلقه الذي لو اختل مثقال ذرة لهلكت الأرض وما عليها، فهذا سبب كافٍ لأن يُرشد كل عاقل إلى طريق الهداية، والاطمئنان إليه.

ولكن على الرغم من إقامة الله ﷻ الحجة عليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب لتذكيرهم، ولفت أنظارهم إلى هذه الأدلة المشاهدة، الدالة على عظمة الله ﷻ، وأنه هو المعبود بحق، وأنه سيجمعهم يوم القيامة ليحاسبهم، إلا أنهم جحدوا آيات الله ﷻ ونعمه، وكفروا بها، وأنكروا يوم الميعاد، حيث قال الله ﷻ مخبراً عن حالهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يس:٤٨].

٤. توضيح أسباب الضلال والهداية:

إن من أساليب الدعوة السليمة التي تدفع الإنسان إلى التغيير من نفسه، والسير على خطى واضحة العاقبة والنتائج؛ هو توضيح أسباب الهداية وأسباب الضلال له، ومن حكمة الله ﷻ أنه يوضح لعباده الخير وأسبابه؛ ليتبعوه، والشر وأسبابه ليجتنبوه، وقد ورد في آيات سورتي الكهف ويس، آيات بيّن الله ﷻ بعض أسباب الضلال والهداية منها ما يلي:

أ. أسباب الضلال:

إن الله ﷻ قد وضح في القرآن الكريم أسباب الضلال ومن ذلك ما ورد في سورتي الكهف ويس:

السبب الأول: معصية الله ﷻ وطاعة الشيطان اللعين:

(١) انظر: بحر العلوم:١٢٤/٣. التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ١٨٣.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٢٤/١٦. أنوار التنزيل:٢٦٩/٤.

بعد أن أورد الله ﷻ العديد من النعم التي تفضل بها على عباده، وبعض الآيات الكونية، الدالة على عظمة الخالق وقدرته، نبه الله ﷻ في سورة يس عباده إلى السبب الحقيقي لضلالهم وخسارتهم، وهو عدم طاعة الله ﷻ وعبادته، واتباع الشيطان وعبادته، وأن عبادته ﷻ هي السبب، والطريق الوحيد للنجاة، حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

السبب الثاني: الغفلة عن ذكر الله ﷻ:

حيث قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

ففي هذه الآية يبين الله ﷻ أن الغفلة عن الذكر سبب في تحكم هوى النفس فيه، وهذا بدوره سبب في الاستهانة بالمعاصي والإفراط فيها والتدرج فيها حتى تهون عليه، وقد حملت الآيات أروع وأدق صورة لهذه الحالة، وهي تشبيه التدرج بالاستهانة بالمعاصي، بالعقد الذي إذا انفرط منه أول حبة توالى سقوط الحب وبكل سهولة، وهكذا في المعاصي.

السبب الثالث: الإعراض عن التدبر في آيات الله ﷻ:

حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧].

ففي هذه الآية يوضح الله ﷻ أن الإعراض عن آياته، ونسيان ما يرتكب من المعاصي سبب في عدم انتفاعهم بالهداية، بعد أن أصبحت قلوبهم مغيبة، لا يفقهون ما يقرأون، ولا يسمعون ما يُدعَون إليه.

ب. أسباب الهداية:

إن من الأسباب المعينة على الهداية توضيح أسبابها، والطرق الموصلة إليها، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]ففي هذه الآية يبين الله ﷻ أن إيمانهم بالله ﷻ، وعزمهم على الثبات على الحق؛ سبب في زيادة إيمانهم وتثبيتهم.

٥. تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المدعو:

إن من أهم وسائل الدعوة إلى الله ﷻ والنجاح فيها وأسباب الهداية للمدعو؛ هو تبسيط المفاهيم الصحيحة بطريقة سليمة؛ لتوصيل الفكرة للمدعو، وبهذا يتم معالجة ما عند المدعو من

مفاهيم خاطئة، حيث رسمت الآيات القرآنية الخطأ في منطق تفكير المدعو، فقال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، حيث يظهر في هذه الآيات صعوبة استيعاب المدعو كيفية إعادة الإنسان للحساب بعد أن تبلى عظامه؛ فذكره الله ﷻ بأصل خلقه، وأنه كان عدماً فخلقه وسواه؛ فبدء الخلق من غير مثال سبق أصعب من الإعادة، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١] فبينت الآيات أن الذي خلق السموات والأرض بِعِظَمِ ودقة خلقهن، قادر على أن يخلق ما هو دون ذلك، وهو إعادة الإنسان بعد بلائه.

٦. التذكير بمصير المكذبين من الأمم السابقة:

إن الله ﷻ أمر النبي ﷺ أن يذكِّر قريش بمصير الأمم السابقة المكذبة برسلهم؛ وذلك بأن يضرب لهم مصير أصحاب القرية الذين كذبوا الرسل مع تكرار الإرسال والتذكير، حيث قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس:١٣-١٤] والذي كان سبباً في عاقبتهم بالصيحة، حيث قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:٢٩] وأكد الله ﷻ سبب ذلك المصير، هو استهزاؤهم بالرسل في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٣٠]

والسبب في ضرب ذلك المثل؛ عسى أن يكون سبباً في هدايتهم، والاعتبار بعاقبة من يكذب بالله ﷻ، وبيان قدرته ﷻ على خلقه حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١]

٧. الأخذ بالأسباب والفتنة في الدين:

إن من سنن الله ﷻ في عباده المؤمنين أن يختبرهم؛ حتى يرى فيهم مدى ثباتهم أمام الفتن، حيث قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]، وإن من أعظم الفتن التي يمر بها المؤمن هي فتنة الدين؛ والتي إن لم يثبت أمامها يخسر الدنيا والآخرة.

وقد عالجت سورة الكهف في قصة أصحاب الكهف الأسباب التي تعين على الثبات على الدين وهي كالآتي:

أ- العزلة سببٌ للحفاظ على الدين:

إن الله ﷻ سن العزلة، وجعلها سبباً ووسيلة للحفاظ على الدين؛ حيث قال تعالى على لسان أحد فتية الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ [الكهف:١٦] ففي هذه الآية بيان لذلك الرأي، الذي توصلوا به إلى الهرب من الفتنة والفرار بدينهم، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الْغَنَمُ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ)**(١). ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع، فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم(٢)، ولقد استنبط كثير من العلماء من هذه الآية استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو لخوف من فتنة في الدين، أو وقوع في حرام، وشبهات(٣).

ب- الحيطة والسرية في حركة الداعية حال الاستضعاف:

لقد بينت الآيات في قصة أصحاب الكهف المنهج السوي لتحركات العمل الدعوي الناشئ في حالة الاستضعاف، وذلك سبب في الاستمرار في الدعوة، والحفاظ على المنهج من الفناء، بهلاك حامليه، وظهر ذلك جلياً في قوله تعالى على لسان الفتية أصحاب الكهف: ﴿... فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا، إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:١٩-٢٠].

٨- الأعمال سبب في مصير الإنسان في الدنيا والآخرة:

لقد ورد في سورتي الكهف ويس كثيراً من الآيات، التي تربط مصير الإنسان في الدنيا والآخرة بسببها، ومن المواضع ما يلي:

أ. <u>من الآيات التي ربطت مصير الإنسان في الدنيا ما يلي:</u>

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الرقاق، باب: العزلة راحة من خلاط السوء، ١٠٤/٨، ح ٦٤٩٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٢٨/٥-١٢٩.

(٣) رياض الصالحين: ص١٣١. عمدة القاري: ١٦٠/١. إرشاد الساري ٢٨٣/٩.

- ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٢٩-٣٠] ففي هذه الآيات بيّن الله ﷻ أن سبب ما أصابهم به من العقوبة بالصيحة، هو استهزاؤهم بالرسل، وإصرارهم على الكفر.
- وما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] وفي هذه الآية بيّن الله ﷻ أن سبب ما أصاب الجنة من هلاك، وإتلاف، هو شركه بالله ﷻ.

ب. ومن الآيات التي ربطت مصير الإنسان في الآخرة بسببه ما يلي:

- ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٥٤] فقد بينت الآية أنه في يوم القيامة لا يجازى العبد إلا بما عمل في الدنيا، ولا يُظلم مثقال ذرة، ومما يؤكد هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى على لسان العصاة والمشركين يوم القيامة: ﴿... مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]
- ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩] فهذه الآية بيّن الله ﷻ فيها أن الكفر بالله ﷻ سبب في دخوله النار، بما أعد فيها لهم من أصناف العذاب، وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس:٦٣-٦٤]
- وكما بينت الآيات حال الكافرين، والمشركين، والعصاة يوم القيامة، وبيّنت سببه، ولقد أورد الله ﷻ بالمقابل حال المؤمنين يوم القيامة وبينت سببه، وهذا من مطلق حكمة الله ﷻ وبلاغة كلامه، فهو يتردد ما بين الترغيب والترهيب، لما له من أثر قوي في استجابة المدعو إلى الإيمان، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

٩. الأخذ بالأسباب والتمكين في الأرض:

وقد تمثل ذلك في قصة ذي القرنين، وقد مكن له في الأرض، وآتاه الله ﷻ أسباب التمكين، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤] قال بعض المفسرين: آتيناه من كل ما يحتاج إليه الخلق علماً ومعونة(١).

إلى غير ذلك من المواضع التي إن أردتُ حصرها طال الحديث في هذا المقام، ومما سبق يتضح من الآيات أن الله ﷻ قد جعل لكل شيء سبباً، فهو مقدِّر الأسباب، والمسببات، وربط بينها بقوانين ربانية واضحة، ويجب الإيمان بها، والتسليم لما قدر ﷻ.

المطلب الثالث: الأخذ بالأسباب وعلاقته بالتوكل:

لقد اتفقت جميع الكتب السماوية، والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال؛ بل يوجب الجد، والاجتهاد، والحرص على العمل الصالح، فالله سبحانه وتعالى قدَّر المقادير وهيأ لها أسباباً. وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلاً من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فإن العبد ينال ما قُدِّر له بالسبب الذي أقدر عليه، ومكن منه وهيئ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها، كان أشد اجتهاداً في فعلها، والقيام بها، وأعظم منه في أسباب معاشه، ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً في وجود الزرع، والنكاح سبباً في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار، وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر "ما كنت بأشد اجتهاد مني الآن"(٢).

أولاً: التعريف بالتوكل:

التوكل لغة:

التوكل أصله اللغوي من الثلاثي وَكَلَ، والتَّوَكُّلُ: إظهار العجز، والاعتماد على الغير والتفويض إليه(٣). وتوكل على الله ﷻ: استسلم إليه واعتمد عليه، ووثق به(٤).

---

(١) انظر: معالم التنزيل: ١٩٨/٥. البحر المحيط: ٢١٨/٧. شفاء العليل: ص١٨٩.

(٢) انظر: شفاء العليل: ص٧١. معارج القبول: ٣٠٧/٢.

(٣) انظر: كتاب العين: ٥/ ٤٠٥. النهاية في غريب الحديث: ٢٢٠/٥. مختار الصحاح: ١/ ٧٤٠. القاموس المحيط: ص ١٣٨١.

(٤) انظر: المصباح المنير: ٢/ ٦٧٠. القاموس المحيط: ص ١٣٨١.

التوكل اصطلاحاً:

اتفق العلماء على أن تعريف التوكل: "صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المنافع، ودفع المضار من أمور الدينا والآخرة" (١).

ثانياً: أنواع التوكل:

بعد الوقوف على التعريف، يمكن الخروج بالقول أن التوكل نوعان(٢):

أحدهما: توكل عليه ﷻ في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية، أو دفع مكروهاته، ومصائبه الدنيوية، فغايته المطلوبة وإن لم تكن عبادة إلا أنها محض حظ العبد، فالتوكل على الله في حصوله عبادة، فهو منشأٌ لمصلحة دينه ودنياه.

ثانيهما: توكل عليه ﷻ في تحصيل مرضاته من الإيمان، واليقين، والجهاد، والدعوة إليه. فغايته عبادة، وهو في نفسه عبادة، فلا علة فيه بوجه، فإنه استعانة بالله ﷻ على ما يرضيه. فتركه ترك لشطر الإيمان، والعلة إنما هي في ضعف هذا التوكل.

فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه.

فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسول، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

ثالثا: علاقة التوكل بالأخذ بالأسباب:

إن سر التوكل وحقيقته، هو اعتماد القلب على الله ﷻ وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب المباحة التي قدر الله ﷻ بها المقدورات، فكما أن المسببات من قدره الذى فرغ منه؛ فأسبابها أيضاً من قدره الذى فرغ منه. فتقديره المقادير بأسبابها لا ينافي القيام بتلك الأسباب؛ بل يتوقف حصولها عليها، وجرت سنته ﷻ في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، فالله ﷻ من شأنه سوق

---

(١) انظر: أنوار البروق في أنواع الفروق: ٨/ ٢٩٨. زاد المعاد: ١٥/٤. جامع العلوم والحكم: ص: ٤٣٦. تيسير العزيز الحميد: ص:٨٧.

(٢) طريق الهجرتين: ص٢٧٦. الفوائد: ص١٠٧.

المقادير بأسبابها، والمتوكل من شأنه سكون قلبه إلى ما سبق من القسمة بعد الأخذ بالأسباب مع تسليمه بالنتائج(١).

وإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه؛ بل التوكل هو مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: ﴿ ... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾ [الطَّلاق:٣] أي أن الكفاية من الله ﷻ لا تنال إلا بأسبابها من عبوديته، وسببها المقتضي لها هو التوكل، فربط الكفاية بالتوكل كربط سائر الأسباب بمسبباتها(٢).

بل إن الأخذ بالأسباب استعمال لنعمة الله تعالى، وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه يريد إظهار ودائعه، فلا وجه لتعطيل ما أودع من قدرات ونعم، اعتماداً على ما جاد به؛ لكن يجب استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده، ومن عطل نعمة الله ﷻ الأخذ بالأسباب فقد عطل حكمته، كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضاً، وما ينبغي عليه الحال أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب، وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى؛ لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة(٣).

وقد ورد عن بعض السلف الصالح قولهم: "من طعن في الحركة يعني في السعي والكسب، فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته ﷺ، فمن عمل على حاله ﷺ، فلا يتركن سنته ﷺ"(٤).

رابعاً: الأدلة على أهمية التوكل، وعلاقته بالأسباب:

لقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، أدلة كثيرة تبين أهمية التوكل، وعلاقته بالأسباب، وهي كالآتي:-

أ. الأدلة من القرآن:-

لقد تناول القرآن الكريم موضوع التوكل، وبين أهميته، ومكانته من الدين بأكثر من صورة، وهي كالآتي:

---

(١) انظر: الفوائد: ص١٠٨. طريق الهجرتين: ص٢٧٧. الطب النبوي: ص٤١. جامع العلوم والحكم: ص٤٤٣. فتح الباري: لابن حجر، ٢١٢/١٠.

(٢) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص٢٧٢. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: ١٢٧.

(٣) انظر: تلبيس ابليس: ص٢٤٩.

(٤) تلبيس ابليس: ص٢٤٨. جامع العلوم والحكم: ص٤٤٣.

الصورة الأولى: **التوكل شرطاً للإيمان:**

فلقد جعله الله ﷻ شرطاً في الإيمان في كثير من آيات القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿... وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿... إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]

الصورة الثانية: **أنه صفة لتمييز المؤمنين:**

إن الله ﷻ وصف المؤمنين أنهم هم المتوكلون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]

الصورة الثالثة: **أمره للنبي ﷺ والمؤمنين للأخذ بالأسباب مع التوكل:**

فقد أمر الله ﷻ بالتوكل بعد استفراغ الوسع في الأخذ بالأسباب، وذلك فيما أمر به نبيه ﷺ والمؤمنين بالشورى في الأمر، وبعدها يتوكل عليه، كما في قوله تعالى: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] فلو كان الأخذ بالأسباب قادحاً في التوكل، لما خص الله به نبيه ﷺ، وكذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١]وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾ [الأنفال:٦٠] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]. فلا ضيرَ بالأخذ بالأسباب المباحة، مع خلو القلب من الاعتماد عليها، والركون إليها(١).

ب. الأدلة من السنة:

إن السنة النبوية قد تناولت كثيراً من الأدلة، التي أثبتت أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، فإن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه ماضٍ، لم يقدح في توكله تعاطيه للأسباب اتباعاً لسنة النبي ﷺ(٢)، فقد أوضحت السنة النبوية ذلك بصور عدة، منها:

١. فعل النبي ﷺ وأخذه بالأسباب:

ومن ذلك أن النبي ﷺ قد ظاهر في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وتداوى وأمر بالتداوي، وأذن في الهجرة إلى الحبشة

(١) انظر: تلبيس ابليس: ص٢٤٨. جامع العلوم والحكم: ص٤٤٢.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، ٢١٢/١٠ .

وإلى المدينة، وهاجر هو ﷺ، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وهو ﷺ كان أصح الخلق فهماً وتطبيقاً للتوكل(١). ومثال ذلك ما ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: سَهِرَ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: **(لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ) إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ فَقَالَ** ﷺ: **(مَنْ هَذَا) فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ)**(٢).

ففي الحديث سن النبي ﷺ الأخذ بالحذر، والاحتراس من العدو، وإنما طلب النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله للإستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين، مع أنه كان إذا اشتد البأس بهم كان أمام الكل، فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب، والأسباب عمل البدن(٣).

٢. أمر النبي ﷺ للصحابة بالأخذ بالأسباب:

ذلك فيما ورد عَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا)**(٤).

وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)** (٥).

"ومعناه أن الإنسان يأخذ بالسعي في الأسباب المباحة، ويتوكل على الله بعد سعيه، وهذا كله إشارة إلى أن التوكل لا ينافي الإتيان بالأسباب؛ بل قد يكون جمعهما أفضل".(٦) "فأمره بالحرص على ما ينفعه، والإستعانة بالله، ونهاه عن العجز، الذي هو الاتكال على القدر ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته؛ بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك"(٧).

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ص٢٧٠. فتح الباري: ابن حجر، ٢١٢/١٠ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ﷻ، ٣٤/٤، ح ٢٨٨٥.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، ٨٢/٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفى ابليس وجنوده، ٤/ ١٢٤، ح ٣٢٨٠.

(٥) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٥٦/٨.

(٦) جامع العلوم والحكم: ص٤٤٧.

(٧) مجموع الفتاوى: ٢٨٥/٨.

٣. توضيحه ﷺ لمفهوم التوكل:

قد يُظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبر بالقلب، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع، إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد، وسعيه بعلمه إلى مقاصده.[١] بل حقيقة التوكل وكماله بمقارنته للطلب ومصاحبته للسبب، وأما توكُّل مجرد عن الطلب والسبب فعجز وأماني. فتوكل الحراث إنما هو بعد شق الأرض وبذرها، وحينئذ يصح منه التوكل في طلوع الزرع، وأما توكله من غير حرث، ولا بذر فعجز وبطالة. [٢] وقد وردت هذه الشبهة على عهد النبي ﷺ في أكثر من موقف فرد ﷺ عليها، ومن ذلك ما يلي:

أ. فيما ورد عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه أنه قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ[٣] بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلِمَ نَعْمَلُ أَفَلَا نَتَّكِلُ قَالَ: (لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى إِلَى قَوْلِهِ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾)**[٤].

إن الحديث يبين أن الله ﷻ أمر عباده بالأعمال، وأخبرهم أن الله ﷻ يسّر كل عبد لما خلق له، فجعل عمله سبباً لنيل ما خلق له من الثواب والعقاب، فلا بد من إثبات السبب والمسبب جميعاً، وأن السابق هو علم الله ﷻ وتقديره للأسباب التي بها ينال الشقاوة والسعادة، فإن الله ﷻ علم وقدر أن هذا يعمل كذا فيسعد به، وهذا يعمل كذا فيشقى به، وهو يعلم أن هذا العمل الصالح يجلب السعادة، كما يعلم سائر الأسباب والمسببات، وإذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على القدر كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقياً.[٥] وهل أطلع الله ﷻ عباده على الغيب فعلم ما قدر الله، وهذا من باب الإخبار عن سعة علم الله ﷻ بما سيكون.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ٢٤٥/٤. تلبيس ابليس: ص٢٤٩. مختصر منهاج القاصدين: ص٢٧٨. شرح العقيدة الطحاوية: ٢٧٠.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص٢٧٨.

(٣) النكث: قرع الأرض بعود أو بأصبع . المحكم والمحيط الأعظم: (٦/ ٧٧٠)

(٤) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤٧/٨.

(٥) مجموع الفتاوى: ٢٨٣/٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص٢٧٧.

ب. ما ورد عن عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ قَالَ** ﷺ: **(اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)** (١).

فأشار إلى قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب، وأن الاحتراز لا يدفع التوكل. (٢)

ج. ما ورد عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا وَرُقًى نَسْتَرْقِي بِهَا أَتَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: **(إِنَّهَا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ)** (٣).

د. وما وردعن جَابِرٍ ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: **(لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**(٤).

ففي هذا الحديث بيان أن التداوي، والأخذ بالأسباب، لا يخرج عن التوكل والرضا بالقضاء؛ لأن الله تعالى لم ينزل داءً إلا أنزل له دواء إلا الموت، وجعل أسباباً لدفع الأدواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع، والله قادرٌ على أن يحيى خلقه بغير هذا؛ ولكنه خلقهم ذوي حاجة، فلا يندفع عنهم أذى الجوع، إلا بما جُعل سبباً لدفعه فكذا الداء العارض.

فقوله ﷺ: (بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ) إشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله، وفيها كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجع بذواتها، بل بما قدره الله تعالى فيها، وأن الدواء قد ينقلب داءً إذا قدر الله ذلك(٥).

هـ. ما ورد عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَاناً)** (٦).

يدل ذلك على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها؛ فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قُدِّر لهم، فلو حققوا التوكل على الله ﷻ بقلوبهم، لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى

(١) صحيح ابن حبان: كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ٥١٠/٢، ح ٧٣١. قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن. وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد، تخريج أحاديث الإحياء: العراقي،٧٣/٩. وقال الألباني: حديث حسن. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: ١٥٠/٢.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، ٢١٢/١٠، ٣٨٤/٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب الطب، وأما حديث طارق بن شهاب، ٢٠٠/٤. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإسناد وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الطب، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ٢١/٧.

(٥) تلبيس ابليس: ص٢٥٦. الطب النبوي: ص٤١. فتح الباري: لابن حجر، ١٠/ ١٣٥.

(٦) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، ١٦٦/٤، ح ٢٣٤٤. قال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال الألباني: "حديث صحيح ". صحيح سنن الترمذي: ٥٤٢/٢.

سبب، كما يسوق الطير إلى أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي لكنه سعي يسير[١].

فمن الأدلة السابقة يتبين أن لا تناقض بين الأخذ بالأسباب والتوكل، ولكن على العبد أن يتوكل قبل ذلك كله على المسبب لا على السبب، ويكون راضياً بكل ما يقضي الله عليه، ومتى اعترض على ما قضى الله عليه، فقد بان بعده عن التوكل، وليعلم أن القدر له كالطبيب، فإن قدم إليه الطعام فرح، وقال: لولا أنه علم أن الغذاء ينفعني ما قدمه، وإن منعه فرح، وقال: لولا أنه علم أن الغذاء يؤذيني لما منعني، ولله المثل الأعلى، فإن كلَّ من لا يعتقد في لطف، وحكمة الله تعالى أكثر مما يعتقده المريض في الطبيب الحاذق الشفيق، لم يصح توكله[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم: ص٤٤٤.

(٢) مختصر منهاج القاصدين: ص٢٨٠.

المبحث الخامس

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثره على الفرد.

المطلب الثاني: أثره على المجتمع.

المبحث الخامس

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد.

إن الإيمان بالقضاء والقدر له الأثر العظيم على المؤمن، وعلاقته بالله ﷻ، وعلى نفسه وشخصيته في كثير من الجوانب، وهي كالآتي:

أولاً: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على علاقة المؤمن بالله ﷻ:

١. استشعار المؤمن بعظمة الله ﷻ، وإحاطته الشاملة بكل شيء، ونفوذ مشيئته على عموم خلقه لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢]

٢. زيادة الإيمان وقوته؛ لأن الإيمان بالقضاء والقدر، ركن من أركان الإيمان، وكل ركن من أركان الإيمان إذا آمن به الإنسان، وعمر قلبه به تصديقاً وإيماناً، زاد إيمانه وقوي قلبه.

٣. الاعتماد والتوكل على الله ﷻ، والإقبال عليه عند الأخذ بالأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره، فيقطع قلبه من الإلتفات إلى المخلوقين؛ لأن الأمور كلها بيده ﷻ، وهذا ما قام به الفتية أصحاب الكهف في اعتزال موطن الفتنة أخذاً بأسباب النجاة في دينهم، وثقةً بأن النجاة الحقيقية والرحمة هي من الله ﷻ، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا**﴾ [الكهف:١٦]

٤. عدم الاعتماد على الدجل، والخرافة، والكهنة، والعرافين، والمنجمين، وتحرير العقول؛ لأن المؤمن بالقدر يؤمن بأنه لا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، ولا نافع ولا ضار، ولا ممرض ولا شافٍ إلا هو ﷻ، فيعتمد في بناء مستقبله على الأساس الصحيح بالإيمان، والجد، والعزيمة الصادقة، والاجتهاد في العمل.(١)

٥. إن الإيمان بالقدر طريق النجاة من الشرك، فالذين آمنوا بالقدر وأيقنوا بأن هذا الكون وما فيه صادر عن الإله الواحد الأحد الخالق لكل شيء، المعبود الحق دون سواه ﷻ، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فسلَّموا بذلك من الشرك، الذي وقع فيه المجوس الذين قالوا بإلهين: النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والفلاسفة القائلين بأن الخير من الله، والشر من

---

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: ص٤٥٠. القضاء والقدر: ص١١٢.

صنع آلهة غيره، ومن قالوا بتفرد الإنسان بخلق فعله من دون الله ﷻ؛ فالإيمان بالقدر طريق التوحيد والنجاة.

ومن خلال الإيمان بالقدر لا يسقط الغني في حبائل الشرك بالله اغتراراً لما فيه من نعمة، فينسى فضل الله ﷻ عليه وقدرته ﷻ، وهذا سبب شرك صاحب الجنتين في سورة الكهف، حيث قال تعالى مخبراً عنه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣٥] اغتراراً بما ابتلاه الله ﷻ من غنى، فطمس على قلبه، فأعماه عن التسليم بأن الله ﷻ هو مقدر الأرزاق، والقادر على الإحاطة بملكه وإهلاكه.

٦. التسليم التام لحكمته ﷻ في تسيير شؤون عباده، ولهذا كان سلف الأمة ﷺ، أكمل الأمم عقلاً وتسليماً لحكمته تبارك وتعالى، لم تسأل نبيها ﷺ: لم أمر الله ﷻ بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدّر كذا؟ ولم فعل كذا؟؛ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، ومخالفة لقوله ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر؛ التسليم والتصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به، والحذر عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته، فالله ﷻ لا يسأل عما يفعل، لكمال حكمته، ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته(١). فقصَّ القرآن الكريم لنا أحداث قصة موسى والخضر عليهما السلام؛ ليوضح لنا تبارك وتعالى كمال عجز المؤمن عن إدراك حكمة الله ﷻ، مع وجوب التسليم والرضا بقدر الله ﷻ، استسلاماً لحكمة العزيز الحكيم تبارك وتعالى.(٢)

٧. يوجب للعبد توحيد الله ﷻ ، وإفراده بالعبادة، والتضرع، والطاعة، وأن الأمور كلها بيد الله ﷻ، وأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله ﷻ من ونفع أو ضر، وأن الله ﷻ وحده الضار، والنافع، والمعطي، والمانع، وهذا ما كان يؤمن به الداعي الذي جاء لأصحاب القرية في سورة يس، ويبين ذلك ما جاء مبيناً لموقفه، في قوله تعالى: ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس:٢٣] فالنفع والضر في الدنيا والآخرة كله بيد الله ﷻ، المتفرد بالعبودية الحقة له.

(١) انظر: شرح الطحاوية: ص٢٦١.

(٢) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: ص١٨٦. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: ص١٢٨.

٨. يجعل قلب المؤمن متردداً بين الخوف والرجاء من الله ﷻ؛ لإيمانه بأن الهداية والضلال بيده ﷻ، فهو حذر من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] وقوله تعالى: ﴿... مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧] ، وما ورد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)[1]. وهكذا فالمؤمن دائم الحذر من فتن الدنيا وشهواتها، ويجاهد نفسه على الاستقامة، وقلبه متعلق بالله ﷻ رجاءَ أن يثبِّت قلبه على الإيمان، ويختم له بخاتمة الصالحين. وهكذا كانت قلوب الفتية أصحاب الكهف تلهج بالدعاء رجاء بأن يثبتهم الله ﷻ على دينهم، ويرشدهم إلى الخير، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠].[2]

ثانياً: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على نفس المؤمن:

١. مراقبة الذات، والاعتراف بالذنب، والمسارعة للتوبة منه؛ اقتداءً بسيدنا آدم عليه السلام فيما ورد على لسانه عليه السلام ولسان حواء، من قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وعدم الاحتجاج بالقدر على الذنوب اقتداءً بإبليس عليه لعنة الله ﷻ، فيما قص القرآن الكريم عن رد إبليس عليه لعنة الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]، وإنما يراجع المؤمن نفسه، ويعقد العزم على عدم العودة؛ طمعاً في رحمة الله ﷻ؛ وراجيا منه القبول بالانكسار، والتذلل بين يديه؛ خشية مما يترتب على الذنوب من مصائب وابتلاءات في الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورى:٣٠] ؛ خشية منه أن تكون معاصيه وإعراضه عن الله ﷻ سبباً في أن يُطبع على قلبه، فيخسر الخسران المبين، لقوله

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ٥١/٨.

(٢) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة: ص٣٣. معالم العقيدة الإسلامية: ص٩٤. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: ص٤٤٧-٤٥٨. القضاء والقدر: ص١٠٩-١١٢. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: ص١٨٣-١٨٧. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: ص١٢٥-١٣١. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٦٨-٢٧١. الإيمان بالقدر: ص٢٥٦-٢٧٧. أركان الإيمان: ص٣٤٩. العقائد الإسلامية وأسسها: ص٨٠١. مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية مبادئ وآثار: ص١٨٣-١٨٩.

تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧] وما يترتب عليها من عذاب يوم القيامة.

٢. التواضع: فإن المؤمن يعرف قدر نفسه فلا يتكبر، ولا يتجبر؛ لإيمانه بأن المالك الحقيقي له ولما يملك هو رب العزة، فما أعطاه إلا ليبتليه ويحاسبه، ومن أعطاه قادر على سلبه ما يملك، فلا يبطر ولا يتعالى أبداً؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور، وما سيحدث في المستقبل، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه، وحاجته إلى ربه ﷻ دائماً. ويتجنب ما وقع فيه صاحب الجنتين من هلاك ملكه، بسبب تكبره وغروره.

٣. استقامة المؤمن على منهج سواء في السراء والضراء، فلا تبطره نعمة، ولا تيئِّسه محنة أو مصيبة؛ فلا يرضى لنفسه أن يكون ممن قال فيهم الله ﷻ: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الرُّوم:٣٦]؛ فهو راضٍ مستسلم لقدر الله ﷻ، صابر على الضراء، محتسب الأجر عند الله ﷻ، وشاكر على السراء، خاضع لله ﷻ، متذلل متواضع القلب والجوارح، ويرى الخير في ما قدره له ﷻ، بأي صورة كان، فهو يؤمن بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣] وبما ورد عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)**(١). وبما ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ ﷻ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا)**(٢)، فيرى المؤمن الخير في أي أمرٍ قدره الله ﷻ له، سواء كان ظاهره خيراً أو شرَّ، وخير مثال على ذلك ضربه الله ﷻ في القرآن الكريم؛ قصة موسى والخضر عليهما السلام؛ فكل تقدير الله ﷻ لعباده هو لحكمة مطلقة، ولمصلحة وخير العباد، وإن خفيت عليهم، وإنْ عجزنا عن إدراكها فما علينا إلا التسليم المطلق. (٣)

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٢٢٧/٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ١١٤/٧، ح ٥٦٤٠.

(٣) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: ص١٨٤. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: ص١٢٨. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٦٩.

٤. الإقدام والشجاعة مع الأخذ بالأسباب من أهم الآثار التي تظهر على المؤمن بالقدر؛ وذلك لما يعلم بأن الجبن والتخاذل لا يطيل في عمر المرء، تصديقاً بقوله تعالى عن المنافقين: ﴿...يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. [آل عمران:١٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ...﴾ [آل عمران:١٤٥] ذلك اقتداءً بفعل النبي ﷺ وصحابته الكرام من إقدامهم في الحروب مع أخذهم بأسباب النصر؛ تطبيقاً لأمر الله ﷻ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾ [الأنفال:٦٠]. وينطبق ذلك على فعل داعي أصحاب القرية، مع علمه بتكذيب قومه للرسل، حرصاً منه على هدايتهم، أقدم عليهم دون تردد بكل إقدام، وثقةً بأنه على الحق، ولن يصيبه إلا ما كتب الله ﷻ عليه.

٥. الإيجابية والعزم وعدم التردد؛ ليقينه بأن جميع الظروف والاحتمالات التي قد يمر بها المؤمن هي مقدرة بقدر الله ﷻ، فإذا يسر له ما عزم عليه فهو الخير المقدَّر له، وهذا ما كان يؤمن به ذو القرنين، حين عزم على بناء السد، إيماناً منه بأن الله ﷻ سيعينه على الخير، مع أخذه بالأسباب المادية؛ حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥].

٦. قطع التشاؤم والدعوة للتفاؤل؛ وهذا بدوره يدفع المؤمن إلى المضي قُدماً؛ للقيام بشئون حياته بطمأنينة، واستسلام لقدر الله، مستسلماً قلبه للنتائج التي يتوصل إليها بعد سعيه؛ لأنه يؤمن بأن عليه الأخذ بالأسباب، وأن النتائج على مسبب الأسباب رب العالمين.

٧. الثقة بالله ﷻ ثم بالنفس؛ هذا حال المؤمن بقدر الله ﷻ، يمضي فيما ينوي القيام به بعزيمة قوية وثقة؛ وذلك لما يتسلح به من استخارة ربه ﷻ والالتجاء إليه بالدعاء وطلب المعونة، إيماناً منه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]؛ فلن يعود عليه اللجوء إلى الله ﷻ إلا بالرشد والسداد، وهكذا كان حال الفتية أصحاب الكهف قلوبهم تلهج بالدعاء والتوجه إلى الله ﷻ؛ ليثبتهم وينجيهم، مع عزمهم على ذلك، فكان لهم الأمَنَةُ والطمأنينة.

٨. له الأثر الواضح على جرأة الداعية، وأن يصدع بالحق، ويقارع الاهوال والمصاعب، والثبات في سبيل إعلاء كلمة الحق، وأن لا يخاف في الله ﷻ لومة لائم؛ لأنه يثق بأن الأجل

والرزق بيد الله تعالى، ليس بيد أحد كائناً من كان، ويؤمن بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة:٥١].

٩. يزرع في النفس الطمأنينة، والهدوء، والراحة النفسية التامة، ويحررها من الخوف والقلق، والاضطراب؛ لأن المؤمن يعلم بأن مسيِّر الأمور هو رب العزة، من لا يعجزه شيء في السماوات، ولا في الأرض، فيؤمن بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس:٨٢] ، ويؤمن بأن الخير كله في تقدير الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿ **...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾. [البقرة:٢١٦].

١٠. شعور المؤمن بالعزة والأنفة والكرامة، لتوكله على الله ﷻ والتجائه إليه، وثقته بقدرة الله ﷻ على قضاء جميع حوائجه، وتسيير أمور حياته، وعدم افتقاره لغيره من مخلوقاته ﷻ.

١١. يدعو للقضاء على الكسل والتواكل، ويدعو للعمل الجاد، والسعي فيما فيه خير له في الدنيا والآخرة، أخذاً بما ورد عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟. قَالَ ﷺ: فَقَالَ ﷺ: (نَعَمْ). قَالَ ﷺ: قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟. قَالَ ﷺ: (**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**)(١). فعندما يرى المؤمن أن الله ﷻ يسر له طريق الخير يفرح؛ لإيمانه بأن هذا التوفيق والتيسير لعمل الخير علامة رضا من الله ﷻ، وقبول وحسن خاتمة؛ فيزداد اجتهاداً وعملاً وعطاءً، فإن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد؛ ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن(٢).

١٢. يدفع المؤمن إلى عدم التحسر والندم على ما فات من منافع الدنيا، فلا يعيش المؤمن بين لو وليت، واللَّذَين يفقدان المؤمن سكينة النفس وأمنها، ورضاها بقدر الله ﷻ، أخذاً بما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ**

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤٨/٨.

(٢) شفاء العليل: ص٢٥.

الشَّيْطَانِ) [(١)]. فهذا الحديث فيه حث على أن يحرص المؤمن على ما ينفعه في أمور دينه ودنياه والاستعانة بالله ﷻ، ومع ذلك عدم التحسر على فوات شيء لم يحصله، وعدم التلفظ بلو وما يؤدي معناها؛ لما فيهما من اعتراض على تقدير الله ﷻ، وفتح الباب لوساوس الشيطان، فما الدنيا ونعيمها إلا فتنة وابتلاءً، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الكهف:٧] فإنما هي دار زاد نتزود منها بما ينجينا في دار القرار إلى جنة العزيز الغفار.

١٣. رضا المؤمن بما قسم الله ﷻ وقناعته بذلك، مع الثقة بأن الله ﷻ قادر على تغيير هذه الحال، ومثال هذا، الرجل المؤمن في قصة صاحب الجنتين، حيث قال تعالى مخبراً عنه:﴿**فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ...**﴾ [الكهف:٤٠] وهذا يثمر بدوره غنى النفس، فهو الغِنَى الحقيقي لِمَا ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)**[(٢)].

١٤. يدفع المؤمن للبذل والعطاء والكرم، والبعد عن الشح والبخل؛ نزولاً عند قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:٢٦٢] ؛ لإيمانه بأن الرازق هو الله ﷻ، وأن الإنفاق في سبيل الله ﷻ هو سبيل لحفظ المال ومضاعفته إيماناً بقوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٦١]. [(٣)]

١٥. الصبر عملاً بما أمر الله، حيث قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:٢٠٠] رضاً بما كتب الله ﷻ، وطمأنينة لحكمه، وطمعاً في عظيم أجره، حيث قال تعالى: ﴿**...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزُّمر:١٠]. والصبر هو الأساس الذي تقوم عليه الناحية العملية في الدين؛ فالصبر يكون على المداومة على الطاعة، والبعد عن المعاصي، ويكون في تحمل الابتلاءات والشدائد، ويكون في

---

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، ٥٦/٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، ١٠٠/٢.

(٣) انظر: الإيمان بالقضاء والقدر: ص ٣٩. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٧٠. أركان الإيمان: ص٣٤٩-٣٥٠.

مواجهة الأعداء، ويكون في كظم الغيظ، وسعة الصدر في التعامل مع الناس، فهو يحفز همة المؤمن على عمل المكارم والبعد عن الخبائث، ويحميه من الحرام.

وقد ورد في سورة الكهف أمر الله ﷻ للنبي ﷺ بالصبر على مشاق الدعوة إلى الله ﷻ، والثبات على الحق مع الفئة المستضعفة، فامتثل النبي ﷺ أمر الله ﷻ استسلاماً لحكمته ﷻ في تقديره أن تبدأ الدعوة بالمستضعفين، حيث قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]. (١)

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على المجتمع:

إن للإيمان بالقضاء والقدر الأثر الإيجابي الكبير على بناء المجتمع الإسلامي القوي، وحري بنا غرسه في نفوس المؤمنين غرساً روحياً وعملياً، كما كان حال الرعيل الأول للأمة الإسلامية من الصحابة والتابعين ﷺ، والذي بُني على أكتافهم مجد وعز الأمة الإسلامية؛ وإذا أردنا أن نبني مجتمعاً سليماً من الآفات الأخلاقية والسلوكية، وأمة ترتقي في سلم العز والرفعة، والرقي التكنولوجي والاقتصادي، فيجب علينا أن نقتفي أثرهم، ويظهر أثر الإيمان بالقضاء والقدر على المجتمع من خلال ما يلي:

أولا: الرقي بالجانب الاقتصادي:

يمكن للأمة الإسلامية الرقي بواقعها الاقتصادي، من خلال الإيمان بالقضاء والقدر، وذلك باتباع ما يلي:

١. الانطلاق في البحث عن سنن الله ﷻ في الكون، وإدراك بعض قوانين الأسباب المنظمة لهذا الكون، فيدفع ذلك إلى استخراج كنوز الأرض، والانتفاع بما خلق الله ﷻ، حيث قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة: ص٣٣. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ص٩٣-٩٥. الإيمان خصائصه علاماته ثماره: ص٥٩-٦٢. معالم العقيدة الإسلامية: ص٩٣. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: ص٤٤٧-٤٥٨. القضاء والقدر: ص١٠٩-١١٢. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: ص١٨٣-١٨٧. الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع: ص٣١٩-٣٢٠. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: ص١٢٥-١٣١. الإيمان بالقدر: ص٢٦٥-٢٧٧. الإيمان بالقضاء والقدر: ص ٣١-٤٤. شرح أصول العقيدة الإسلامية: ص٢٦٨-٢٧١. أركان الإيمان: ص٣٤٩-٣٥٠. العقيدة الاسلامية: ص٦٦٨-٦٦٩. العقائد الاسلامية وأسسها: ٨٠١-٨٠٢. أصول العقيدة الاسلامية ومذاهبها: ص٣٣٢-٣٣٣.

[الجاثية:١٣]، وعلى هذا يكون الإيمان بالقدر باعثاً على الاكتشاف، والتطوير، واستغلال الموارد المتاحة للرقي بالواقع الاقتصادي.(١)

٢. الإيجابية والعمل الجاد والدؤوب الذي يرتقي بحال الأمة من الرجعية والضعف إلى التقدم والرقي، وذلك من خلال الفهم الصحيح لمعنى التوكل على الله ﷻ، بالعمل والاجتهاد، والأخذ بالأسباب في حدود ما شرع الله ﷻ، وقد ضرب الله ﷻ لنا مثلاً على ضرورة الأخذ بالأسباب، وترك التواكل مع الثقة بما عند الله ﷻ، بقصة مريم عليها السلام، برغم ما هي عليه من ضعف وتعب لم يُنزل الله ﷻ لها الطعام جاهزاً؛ بل أمرها بهز الجذع، فتساقط الثمر، حيث قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]، وهذا ليس بمقدور من هو معافىً وبكامل قواه، ولكنه دعوة للعمل، والإيجابية، والأخذ بأبسط الأسباب، وترك النتائج على رب الأرباب، من لا يعجزه شيء في السماوات والأرض.(٢)

ومثّل لنا القرآن الكريم هذا المعنى في قصة ذي القرنين وبنائه السد، فما كان منه إلا الإيجابية والسعي في التعامل مع الواقع، والتوكل على الله ﷻ، فكان من الله ﷻ أن يسر له أسباب إنجاز هذا العمل الذي خلّده الله ﷻ، وجعله آية في كتابه الكريم، تتلى إلى يوم القيامة.

٣. الحب والتعاون والقناعة؛ والذي بهم تتألف العلاقات الحميمة بين العاملين؛ وهذا من أهم أسباب النجاح في العمل؛ والذي بدوره يجعل كل تركيز العاملين مُنصب على جودة الإنتاج، والحرص على خدمة المجتمع بأفضل الوسائل، بدلاً من الحسد، والحقد، وعدم القناعة بما أكرمهم الله ﷻ؛ والذي بدوره يؤدي إلى الانشغال بالصراع على المناصب، ونصب المكائد لبعضهم البعض، وترك العملية الإنتاجية والتأخر الاقتصادي.

٤. زيادة فرص العمل والإنتاج؛ وذلك بإعمال أموال الأغنياء في المجتمع المسلم بالمشاريع الخيرية، التي ترتقي بالمستوى الاقتصادي، مع اطمئنان أصحاب رءوس الأموال بأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله ﷻ، وإيماناً منهم بأن الإنفاق مصدر لإنماء مالهم، ومصدر استقرار، وراحة نفس لهم؛ تصديقاً وإيمانا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية: ص٢١٣.

(٢) انظر: العقيدة الاسلامية وأثرها في بناء المجتمع: ص١٥٨.

ثانياً: الرقي بالعلاقات الاجتماعية:

بعد الوقوف على المعاني التي يحملها الإيمان بالقضاء والقدر، يمكن القول بأنه من أكبر الأسباب التي بها تبنى علاقات اجتماعية قوية متينة، خالية من الآفات التي تفتك بالمجتمعات الأخرى؛ وذلك لما للإيمان بالقضاء والقدر من أثر على تهذيب، وتربية النفس البشرية، وتنقيتها من الأمراض التي تفتك بالمجتمع، وذلك كما يلي:

١. زرع القناعة والرضا في قلب المؤمن بما هو عليه، والذي يثمر حب الخير للغير والنظرة الإيجابية للناس، والاستقرار النفسي، والذي بدوره يبني مجتمعاً مستقراً نفسياً، مبنياً على التسليم بقدر الله ﷻ، وهذا من أهم الأسس التي ينبت منها الاستقرار الاجتماعي، وبه يتخلص المجتمع من الحقد، والحسد، والضغينة، وتعد هذه من أكثر الآفات التي تفتك بأواصر العلاقات الاجتماعية.

٢. الإيجابية والمواظبة على الأعمال الخيرية، وخدمة المجتمع بقدر المستطاع، لما يُرى في ذلك من علامات القبول عند الله ﷻ، إيماناً منه بقول النبي ﷺ: **(كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)**(١). فثباته واستمراره في طريق الخير والصلاح مع اخلاص النية من علامات حسن الخاتمة، فهذا بدوره يقوي الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

٣. بذل المال والنفس في سبيل خدمة المجتمع، وذلك بالصدقات، وكفالة الإيتام، والقيام على العائلات المحتاجة؛ إيماناً منه بأن ذلك لا ينقص من ماله وعمره شيئاً، فالرزق والعمر محدد منذ كان المؤمن في رحم أمه، وهذا بدوره يقوي المجتمع من خلال تجنيب تلك الحالات الانحراف السلوكي، والأخلاقي، والأمني الناتج عن إهمالها، وتركها للحاجة تكسرها أمام تيارات فاسدة تستغل حاجتها، فيكونوا أداة سهلة في أيديهم لتدمير المجتمع الإسلامي. (٢)

ثانياً: الحفاظ على الواقع الأمني للمجتمع المسلم:

لقد ثبت واقعياً أن بغرس عقيدة الإيمان بالقدر، من أكبر الأسباب التي يمكن بها الحفاظ على مجتمع إسلامي كمجتمع صدر الإسلام؛ آمن من الآفات والأمراض الأمنية، التي تفتك بالمجتمع المسلم، والتي من أخطرها: خيانة الأوطان، السرقة والقتل والاعتداء على الآخرين، ويمكن تحقيق ذلك الأمن من خلال ما يلي:

---

(١) سبق تخريجه: ص٢٤٦.

(٢) انظر: الإيمان بالقدر: ص٢٧٠. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: ص٤٥٣.

١. توضيح المفاهيم العملية التي يحملها معنى الإيمان بالقدر، وتطويع النفس بتدريبها على التطبيق العملي لهذه العقيدة.

٢. تربية المسلم على القناعة والرضا بما قسم الله ﷻ له، وعدم النظر إلى ما في يد الغير؛ وخلو قلب المؤمن من هذه الخصلة يعتبر من أكثر الأسباب التي تدفع الإنسان إلى التطاول على حقوق الآخرين، والتخلي عن مبادئه.

٣. تسليم المسلم أمره لله ﷻ، وأنه هو الرازق، مع الأخذ بأسباب الرزق؛ لتوفير الحياة الكريمة له ولأسرته، والسيطرة على أفراد الأسرة من التسيب والحاجة، وهي من الأسباب التي تدفع لتلك الآفات.

٤. اطمئنان المؤمن على ماله؛ لإيمانه بأن الرزق مقسوم، وأن الإنفاق في سبيل الله ﷻ سبب في نماء المال وزيادته؛ والذي يدفع بأصحاب رؤوس الأموال للقيام بالكفالات الاجتماعية، وتسديد حاجات الأسر المحتاجة، مع التوعية والرقابة على أساليب التنشئة؛ لتجنب ظهور مثل هذه الحالات.

٥. إيمان القائد بضرورة الأخذ بالأسباب مع تعلق قلبه ورجائه بالله ﷻ، يدفعه إلى الإعداد الروحي والمادي لجنده في سبيل الدفاع عن المجتمع المسلم، وعقيدته، ونشر الدعوة، وهذا بدورة يحفظ بلاد الإسلام آمنة من الاعتداء عليها من خصومها، وقد ضرب الله ﷻ في قصة ذي القرنين، وبنائه السد مثالاً تطبيقياً واقعياً، فقد يسر الله ﷻ كل أسباب النصر والتمكين له، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾[الكهف:٨٤] فأخذ بها مع يقينه بأن التمكين والنصر من الله ﷻ، ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي** ...﴾ [الكهف:٩٨].(١)

٦. التحلي بالحس الأمني العميق لدى المجتمع المسلم، والأخذ بأسباب الأمن في كل مناحي الحياة سببٌ في نجاة المجتمع من التفكك والتسلل إليه من أعدائه لضربه، وإضعافه، أو القضاء عليه، وحتى في حال الاستضعاف جعل الله ﷻ في فتية الكهف مثلاً راقياً للمجتمع المسلم المستضعف في العمل الأمني، فأخذوا بأسباب الأمن، وذلك بفرارهم بدينهم سراً إلى الكهف، حفاظاً على إيمانهم من الفتن، مع تحصين أنفسهم بالدعاء، حيث قال الله ﷻ: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [الكهف:١٠]، وعندما احتاجوا لمخالطة المجتمع تواصوا بسرية العمل والحركة؛ حيث قال تعالى: ﴿...

---

(١) انظر: العقيدة الاسلامية وأثرها في بناء المجتمع: ص١٥٥.

وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:١٩]. فالثبات على الدين، والمبدأ، واللجوء إلى مقدر الأقدار بالدعاء، والتذلل، والافتقار إليه، والحفاظ على سرية الدعوة، تلك هي أسباب الأمن، والتمكين للمجتمع المؤمن المستضعف.

الخاتمـة

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، سيدنا محمد ﷺ عدد ما أظلت السماوات من مخلوقات، ورضي الله ﷻ عن صحابته الكرام ما تعاقب الليل والنهار في البريات. وبعد فهذه الدراسة المتواضعة التي بعنوان "**الغيبيات وأثرها على الفرد والمجتمع في سورتي الكهف ويس**"، يمكن الخروج منها بالعديد من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة:

أولاً: النتائـج:

لقد تميزت سورتي الكهف ويس بأسلوب عرضهما لقضايا العقيدة بتقريرها وإثباتها، من خلال القصص، وضرب الأمثال الواقعية، فلم تدع مجالاً للشك أو التردد، يتبعه استسلام للعقل والروح لما تقرره السور من عقائد، وهذه أهم النتائج:

١. افتتحت السورتان إثبات لرسالة خير البرية محمد ﷺ، وما أنزله الله ﷻ من وحي، واستقامة القرآن الكريم، وتقرير لعدم تحريف أو تعارض آيات كتاب الله ﷻ.
٢. بيان أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ، وأن ما على الرسول والداعية إلا البلاغ المبين.
٣. وفي قصة أصحاب الكهف ترسيخ لعقيدة البعث، وأنها للروح والجسد، وأن الهداية والضلال بيد الله ﷻ.
٤. وفي قصة ذي القرنين قررت أحد أبرز علامات الساعة الكبرى؛ وهي خروج يأجوج ومأجوج، وأثبتت وجوب الأخذ بالأسباب، مع تعلق القلب بمسبب الأسباب جل وعلا، وردّ الفضل إليه ﷻ. فلا تعارض بين التوكل والأخذ بالأسباب.
٥. وفي قصة موسى والخضر –عليهما السلام– إثبات لعقيدة القضاء والقدر، وأن تقدير الله ﷻ مبني على علمه الأزلي، وحكمته المطلقة تبارك وتعالى ، ووجوب التأدب مع الله ﷻ، وعدم نسبة الشر إليه.
٦. وفي قصة صاحب الجنتين إثبات لكمال قدرة الله ﷻ، وجريان مشيئته في خلقه؛ فما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن.
٧. وفي قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام، إثبات لوجود الملائكة والجن، وأنهم خلقوا قبل آدم عليه السلام، وإثبات أن الملائكة جُبِلت على الطاعة، وأن الجن فيهم المردة العصاة ومثلهم في الآية إبليس لعنة الله ﷻ. وبينت أن موالاته سبب في الضلال في الدنيا والآخرة.
٨. وفي فضل سورة الكهف إثبات لفتنة الدجال، وكيفية النجاة منها.
٩. وفي باقي آيات السورتين تقرير لكمال قدرة الله ﷻ، وعدله، وحكمته، وذلك بإثبات البعث، ومقدمات وأهوال يوم القيامة، والنفخ في الصور، والحشر، ونشر الصحف، والعرض، والحساب، والميزان، والصراط، والشفاعة.

١٠. وقد تميزت السورتان في أسلوب الترغيب والترهيب، مع تقرير أهم مسائل العقيدة، وذلك بتعجيل عقوبة الله ﷻ في الدنيا لمن كفر وكذب بدينه، وتثبيت أهل الإيمان، أو بالعرض التفصيلي لبعض مشاهد نعيم أهل الجنة، ومشاهد عذاب أهل النار.

١١. وقد أثبت البحث أن للعقيدة الإسلامية أثرها الإيجابي الكبير على بناء الشخصية المؤمنة، وعلى بناء مجتمع قوي اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً والرقي به في كل المجالات، تأكيداً على أنها سبب عز الأمة الإسلامية، والتي بها بُني مجتمع صدر الإسلام، الذي به فُتِحت الأرض من مشرقها إلى مغربها، ولن تعود لنا العزة إلا بأن نجعل العقيدة منهاج حياة.

ثانياً: التوصيات:

١. تفعيل دور العلماء والدعاة في بناء المجتمع المسلم، على أُسس عقدية سليمة، وجعل العقيدة منهاج حياة. ونشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع، وحمايته من الخرافات والضلالات.

٢. تبسيط مسائل العقيدة لحفظة كتاب الله ﷻ، وغرسها بهم، وجعلها منهاج حياة لهم؛ للخروج بأمثال صحابة رسول الله ﷺ في الالتزام، والتطبيق، والحرص على دين الله ﷻ، فبِهم تنتصر الأمة، وترسيخ مفهوم أن الدين منهاج حياة لا شعارات ترفع.

٣. التوسع في مسائل العقيدة وأخذها من نبعها الصافي؛ القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلاج مسائلها بأسلوب مبسط، بعيد عن آراء الفرق الضالة، وتشويش عقول غير المتخصصين بها.

٤. أوصي الباحثين بالربط بين مسائل العقيدة، وتطبيقاتها العملية في حياة المسلمين، وآثارها على بناء مجتمع قوي عزيز بعزة دين الله ﷻ.

وبعد فهذه رسالة من يعترف بقلة علمه، وقلة زاده، وكثرة ذنوبه، وأنه لا يزال في بداية طريق العلم، فما كان فيها من صواب فمن الله ﷻ وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ﷻ ورسوله ﷺ منه بريئان، وحسبي أني اجتهدت، ﴿... **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود:٨٨]

وصلِّ اللهم، وسلِّم، وبارِك على عبدك، ورسولك محمد ﷺ، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

بحمد الله تم

الفهـــارس العـــامـــة

أولاً: فهرس الآيات القرآنيـة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ ...﴾	٣٦	١٣٧
﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	٣٨	٧
يس		
﴿يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	١–٥	١٧–١٢١–١٩١
﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	٦	١٨٧–٢٢٣
﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٧	١٨٨
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ...﴾	٨	١٩١– ١٨
﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ ...﴾	١٠	١٩١–٢٠٢
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ ...﴾	١٢	١٤–١١٦
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ ...﴾	١٣	٢٢٨
﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا ...﴾	١٤	٢٢٤–٢٢٩
﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا ...﴾	١٨	١٩٨
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾	٢٠	٢٢٤
﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ...﴾	٢٢	١٧– ١٤٢– ٢١٦
﴿... لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾	٢٣	١٧–٢٠٦
﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ ...﴾	٢٥	١٣٣– ١٨
﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ يَا حَسْرَةً عَلَى ...﴾	٢٩	٢٢٤–١٩٨
﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٣٠	١٩٩–٢٢٤
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	٣١	٢٢٩
﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾	٣٢	١٠٩–١٥٥
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ ...﴾	٣٣	٢٢٤–١٥٥
﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾	٣٥	٢٠١–٢٢٤
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ ... ﴾	٣٧	٢٢٦
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	٣٨	٩٤–٢٢٦
﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	٣٩	٢٢٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الحاقَّة		
﴿... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾	١٧	٣٣
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨	١١٥
المعارج		
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	٣٦
نوح		
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ ...﴾	١٠	٦٤
الجنّ		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	١	٤٧
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ...﴾	٨	٤٩
﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾	١٠	٢١٥
﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾	١٤	٤٦
المزمل		
﴿... وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾	١٤	١٠٦
﴿... يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾	١٧	١١٠
المدَّثر		
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	١٤٣
القيامة		
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	١	٧١
﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	١١٦–٢٠٢
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦	١٥٤
الإنسان		
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٣٠	١٨٢
المرسلات		
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾	٢٠	١٥٢
﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾	٣٨	٦٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفلق		
﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	٢	٢١٤

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الحكم	الكتاب	الصفحة
١	إنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ، وَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ	حسن لغيره	مسند الإمام أحمد	١١٤
٢	أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ	صحيح	صحيح البخاري	١٣١
٣	أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ	صحيح	صحيح مسلم	٤٨
٤	أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْس	صحيح	صحيح مسلم	٩٤
٥	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ	صحيح	صحيح مسلم	١٤١-١٤٧
٦	أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	صحيح	صحيح مسلم	٩٨
٧	أخرج الله ﷻ أَهْلَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	صحيح	المستدرك	٩٢
٨	إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ	صحيح	صحيح البخاري	٢٣٦
٩	إذا أَكَلَ أحدكم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وإذا شَرِبَ	صحيح	صحيح مسلم	٤٨
١٠	إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ	صحيح	صحيح مسلم	٨٧
١١	إِذَا خَرَجَتْ أَوَّلُ الآيَاتِ حُبِسَتِ الْحَفَظَةُ وَطُرِحَت	سنده صحيح	المصنف	١٠١
١٢	إِذَا قَالَ الْإِمَامُ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾	صحيح	صحيح البخاري	٣٨
١٣	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلَائِكَةُ	صحيح	صحيح البخاري	٣٦
١٤	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ	صحيح	صحيح مسلم	١٢٣
١٥	أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ قَالَ اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ	حسن	صحيح ابن حبان	٢٣٨
١٦	أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ	صحيح	صحيح مسلم	١٣٣
١٧	اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ	صحيح	صحيح مسلم	٧١
١٨	أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي	صحيح	صحيح مسلم	٥٠
١٩	أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ	صحيح	صحيح البخاري	١١٧
٢٠	أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ	صحيح	صحيح مسلم	٩٠

الرقم	طرف الحديث	الحكم	الكتاب	الصفحة
٨٥	قَالَ يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا	صحيح	صحيح مسلم	٨٤
٨٦	قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِنِّي أَقِفُ	صحيح	المستدرك	١٣
٨٧	قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ	صحيح	سنن الترمذي	١٣
٨٨	قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ	صحيح	صحيح البخاري	٣
٨٩	قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	صحيح	صحيح مسلم	١٧٦
٩٠	كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ	صحيح	صحيح مسلم	١٦٦
٩١	كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ عَلَى شَجَرَةٍ يَجْتَنِي لَهُمْ	صحيح	المستدرك	١١٩
٩٢	كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ	حسن صحيح	سنن أبي داوود	٣٣
٩٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي	صحيح	صحيح مسلم	٢٧
٩٤	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ	صحيح	صحيح مسلم	٢٣٧
٩٥	كَانَتْ الْأَنْصَارُ بَعِيدَةً مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ	صحيح	سنن ابن ماجة	١٤
٩٦	كانت بَنُو سَلَمَةَ ﷺ في نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَأَرَادُوا	صحيح	سنن الترمذي	١٤
٩٧	كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ	صحيح	صحيح مسلم	١٧٩
٩٨	كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ	صحيح	صحيح مسلم	١٩٧
٩٩	كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ	صحيح	صحيح مسلم	٢٤٦،٢٥٠
١٠٠	كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ	صحيح	صحيح البخاري	١٢٠
١٠١	كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَضَحِكَ فَقَالَ	صحيح	صحيح مسلم	١٨
١٠٢	كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ	حسن	سنن الترمذي	١١٤
١٠٣	كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ	صحيح	سنن الترمذي	٣٣
١٠٤	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ	صحيح	صحيح مسلم	٩١
١٠٥	لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ	حسن صحيح	سنن الترمذي	٧٣
١٠٦	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	صحيح	صحيح مسلم والبخاري	١١٥،١٠٦

الرقم	طرف الحديث	الحكم	الكتاب	الصفحة
١٠٧	لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا	صحيح	صحيح البخاري	٧٦
١٠٨	لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ	صحيح	صحيح مسلم	١٦٦
١٠٩	لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ	صحيح	صحيح مسلم	١٢٣
١١٠	لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى	صحيح	صحيح مسلم	٩٧
١١١	لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمْ	صحيح	صحيح مسلم	٣٤
١١٢	لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ:	صحيح	مسند الإمام أحمد	١٧٧
١١٣	لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى	صحيح	صحيح مسلم	١٤٢
١١٤	لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ﷺ	حسن غريب	سنن الترمذي	١٣٦
١١٥	لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ	صحيح	صحيح مسلم	٢٣٨
١١٦	لو أن الله تعالى عذب أهل سماواته وأرضيه	صحيح	السنة	٢١١
١١٧	لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ	صحيح	صحيح البخاري	٢٣٦
١١٨	لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ	صحيح	صحيح البخاري	١١٨
١١٩	لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ	صحيح	صحيح مسلم	٨٠
١٢٠	لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ	صحيح	صحيح مسلم	٧٧
١٢١	مَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا	صحيح	صحيح البخاري	١٣١
١٢٢	مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ:	صحيح	صحيح البخاري	١١٠
١٢٣	مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ	صحيح	صحيح مسلم	٩٠
١٢٤	مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا	صحيح	صحيح مسلم	٨٦
١٢٥	مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ	صحيح	صحيح مسلم	٢٧
١٢٦	مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ	صحيح	مسند الإمام أحمد	١٢٠
١٢٧	مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ	صحيح	صحيح مسلم	٦٢
١٢٨	مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ	صحيح	صحيح البخاري	٢٤٤

الرقم	طرف الحديث	الحكم	الكتاب	الصفحة
١٥١	وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	صحيح	صحيح مسلم	٢١١
١٥٢	وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ	صحيح	صحيح مسلم	٧١
١٥٣	وَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	صحيح	صحيح مسلم	٩٢
١٥٤	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ	صحيح	سنن الترمذي	٢١١
١٥٥	يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ خَيْرُ مَالِ ...	صحيح	صحيح البخاري	٢٣٠
١٥٦	يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ	صحيح	صحيح مسلم	٨٥
١٥٧	يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ لاَ يأتي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ	صحيح	مسند الإمام أحمد	٨٥
١٥٨	يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ	صحيح	صحيح البخاري	٣٦
١٥٩	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ	صحيح	صحيح البخاري	١٠٦
١٦٠	يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ	صحيح	مسند الإمام أحمد	٨١
١٦١	يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ	صحيح	مسند الإمام أحمد	١١٤
١٦٢	يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ	صحيح	المستدرك	٧٣
١٦٣	يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	صحيح	صحيح البخاري	١٣٨
١٦٤	يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِى الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا	صحيح	صحيح مسلم	١٤٣
١٦٥	يُسْأَلُ عَنْ الْوُرُودِ فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	صحيح	صحيح مسلم	١٢٤
١٦٦	يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ	صحيح	المستدرك	١٢٨
١٦٧	يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً	صحيح	صحيح البخاري	٣٤
١٦٨	يَقُولُ لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ	صحيح	صحيح مسلم	٨٨
١٦٩	يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ	صحيح	مسند الإمام أحمد	٨٤-٧٦
١٧٠	يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي	صحيح	صحيح البخاري	١٣٧
١٧١	يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	صحيح	صحيح مسلم	١٢٦
١٧٢	يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ	صحيح	صحيح مسلم	٧٣

فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: كتب العقيدة

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الراية للنشر والتوزيع– الرياض.

٢. الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٣. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة – بيروت،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤. الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدي، مكتبة دار القرآن.

٥. الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول البرزنجي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٧. أصول الإيمان: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، مطبعة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٨. أصول الدين: أبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق: هانز بيترلنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٩. أصول الدين: جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي، تحقيق : عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠. أصول السنة: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار المنار، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١١. أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها: محمد أحمد الخطيب، دار المسير، الطبعة الأولى ٢٠١١م-١٤٣٢هـ.

١٢. اعتقاد أئمة الحديث: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار ابن حزم –بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٤. الاعتقاد: بو الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

١٥. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي– القاهرة.

١٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٧. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف– الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

١٨. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: محمد نعيم ياسين، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ– ١٩٩١م.

١٩. الإيمان بالملائكة: علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ –٢٠١١م.

٢٠. الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل ومكتبة الزهراء، ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م.

٢١. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٢. الإيمان خصائصه علاماته ثمراته: أحمد عز الدين البيانوني، دار النشر: دار السلام، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.

٢٣. الإيمان والحياة: يوسف القرضاوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

٢٤. الإيمان: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٥. بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.

٢٦. البعث والنشور: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول الإبياني، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٧. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٨. تبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد أيوب، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٢٩. التبيان شرح أركان الإيمان: سعد عبدالله عاشور، مكتبة ومطبعة دار المنارة، الطبعة الأولى١٤٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٣٠. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣١. تقريب التدمرية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

٣٢. تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر- بيرزت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٤. ثلاثة الأصول: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، جامعة الأمام محمدبن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٥. الجن: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مكتبة الإيمان.

٣٦. الحبائك في أخبار الملائك: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٧. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم اسماعيل ابن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود أبو ارحيم، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٨. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ،

٤٠. السنة والرد على الجهمية: أحمد بن حنبل، تحقيق: أبو مالك الرياشي، مكتبة الإمام البخاري- دار ابن الجوزي.

٤١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤٢. شرح أصول العقيدة الإسلامية: نسيم شحدة ياسين، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

٤٣. شرح السنة: أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: أبو ياسر الردادي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٤. شرح السنة: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق . بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٥. شرح العقيدة الطحاوية: أبو العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة.

٤٦. شرح العقيدة الواسطية ويليه ملحق الواسطية: محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع- الخبر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٤٧. شرح المقاصد: مسعود بن عمر المشهور بسعد الدين التفتازاني، تصدير: صالح موسى شرف، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٨. الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن الخميس مكتبة الفرقان-عجمان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٩. شرح بدء الأمالي: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، تحقيق: أبي عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

٥٠. شرح ثلاثة الأصول: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٥١. الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض.

٥٢. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥٤. الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الله ﷻ: طه عبد الله العفيفي، الدار المصرية اللبنانية.

٥٥. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية- القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

٥٦. العبودية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٧. العقائد الإسلامية: سيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٠م،

٥٨. العقائد الاسلامية: محمود سالم العبيدات، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٥٩. العقائد السلامية الإلهيات والنبوات والسمعيات: سعدون الساموك، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

٦٠. العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء- الرياض، ١٤١٢هـ.

٦١. عقيدة أهل السنة والجماعة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ.

٦٢. العقيدة رواية أبي بكر الخلال: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة–دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٣. علامات يوم القيامة: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد المحسن سليمان، المكتبة الوقفية.

٦٤. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي، أبو عبد الله عز الدين من آل الوزير، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٦٥. غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن الكريم: محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن.

٦٦. الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.

٦٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٦٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦٩. الفقه الأكبر: لأبي حنيفة النعمان بن ثابت، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٠. الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الثانية١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٧١. القضاء والقدر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧٢. القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة: محمد بن عبد الوهاب السخاوي، تحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل، أضواء السلف.

٧٣. قواعد العقائد: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٧٤. اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب: جمال الدين أبو محمد علي بن أبي يحيى زكريا بن مسعود الأنصاري الخزرجي المنبجي، تحقيق: محمد فضل عبد العزيز المراد، دار القلم – الدار الشامية – سوريا / لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٧٥. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٧٦. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٧٧. مجلة الجامعة الإسلامية، موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد: سعد عبد الله عاشور، غزة، العدد الثاني.

٧٨. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

٧٩. مجموع فتاوى ورسائل: حمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر ابن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ.

٨٠. مختصر منهاج القاصدين: أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، دار التربية–بغداد، الطبعة الأولى١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

٨١. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار: محمد حافظ صالح الشريدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٨٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٣. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

٨٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٨٥. النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق : ضبطه وصححه: الأستاذ عبده الشافعي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن

٨٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٧. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٨٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٩. إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد المرادي النحوي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٩٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨هـ.

٩١. بحر العلوم: بو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٩٢. البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٩٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م–١٤٢٣هـ.

٩٤. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٩٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٩٦. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٩٧. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩ م.

٩٨. تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٩٩. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٠٠. تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مجموعة من العلماء، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى.

١٠١. التفسير القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

١٠٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٩م.

١٠٣. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

١٠٤. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لعبد الله بن عباس ﷺ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.

١٠٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٠٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٠٧. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٠٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٠٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

١١٠. الدر المنثور في التأويل بالمأثور: جلال الدين السيوطي، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار النشر: مركز هجر للبحوث-القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١١. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.

١١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، دار إحياء التراث العربي.

١١٣. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

١١٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

١١٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ.

١١٦. في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر.

١١٧. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت- القاهرة، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-٢٠٠٢م.

١١٩. الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢١. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

١٢٢. مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم- دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣.

١٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٢٥. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ.

١٢٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٢٧. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٢٨. مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

١٢٩. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية.

١٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

١٣١. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١٣٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم و الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

ثالثاً: كتب السنة وشرحها

١٣٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر. الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

١٣٥. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٣٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، المكتبة السلفية–المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

١٣٧. الترغيب والترهيب: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣٨. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودي.

١٣٩. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٩هـ -١٩٨٩م.

١٤٠. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، سنة الوفاة ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب.

١٤١. التيسير بشرح الجامع الصغير: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، الطبعة الثالثة١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٤٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

١٤٣. الجامع الصحيح: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة. بيروت.

١٤٤. الجامع الصحيح: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الجيل بيروت ودار الكتب الإسلامي، ١٩٩٨م.

١٤٥. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ا: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٤٧. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان – دار النشر الخبر بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٤٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ابن كثير للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٤٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

١٥٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.

١٥١. سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق:بشار عواد معروف، دار الجيل بيروت، الطبعةالأولى١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٥٢. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- صيدا - بيروت.

١٥٣. السنن الصغرى: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٥٤.شرح سنن أبي داود: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.

١٥٥.صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنئوط، ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كرهه، الناشر مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م،.

١٥٦.صحيح ابن ماجة: ناصر الدين الألباني: كتاب الصلاة والآذان والمساجد، مكتبة التربية العربي لكتب الخليج، الطبعة الثالثة.

١٥٧.صحيح أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٥٨.صحيح الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع–الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

١٥٩.صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٦٠.صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

١٦١.ضعيف الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض.

١٦٢.ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم: محمد ناصر الدين الألباني، الإسلامي– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٦٣.عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن الغيتابى الحنفى –بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦٤.عون المعبود شرح سنن أبي داد: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية–المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م.

١٦٥.الفائق في غريب الحديث و الأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية.

١٦٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة– بيروت.

١٦٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي – السعودية/ الدمام، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

١٦٨. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر– بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٦٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: محمد عبد الرؤوف المناوين، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٧٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

١٧١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين القادري الشاذلي الهندي الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

١٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١٧٣. المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، دار المعرفة، بيروت.

١٧٤. مسند إسحاق بن راهويه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٧٥. مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٧٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٧٧. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م.

١٧٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

١٧٩. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٨٠. معالم السنن: أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

١٨١. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٨٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

١٨٣. موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر: علي ابن أحمد ابن حجر العسقلاني تحقيق وتعليق: حمدي عبد المجيد السلفي وصبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الراشد الرياض.

١٨٤. الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ابن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م.

١٨٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

رابعاً: كتب اللغة

١٨٦. أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.

١٨٧. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٨٨. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٨٩. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٩٠. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

١٩١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٩٢. العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٩٣. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٩٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف – القاهرة.

١٩٥. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٩٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.

١٩٧.معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩٨.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

خامساً: كتب أخرى

١٩٩.الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.

٢٠٠.الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

٢٠١.أسد الغابة: عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٠٢.أصول التربية الإسلامية وأساليبها: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠٣.الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٢٠٤.البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان١٣٩٥ هـ– ١٩٧٦ م.

٢٠٥.تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٢٠٦.تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

٢٠٧. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٢٠٨. تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٠٩. التَّلْخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق، الطبعة الثانية١٩٩٦م.

٢١٠. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٠ هـ– ١٩٨٠م.

٢١١. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية– مصر الجديدة ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.

٢١٢. السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م.

٢١٣. الطب النبوي: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الهلال – بيروت.

٢١٤. غاية السول في خصائص الرسول ﷺ: أبو حفص عمر الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية.

٢١٥. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٢١٦. الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢١٧. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢١٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢١٩. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٢٢٠. الوابل الصيب من الكلم الطيب: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، مكان النشر بيروت١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

رابعاً: فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة باللغة العربية

إن خلاصة هذا البحث تتلخص في إقرار وجوب الإيمان بالغيبيات، وهذا في ضوء سورتي الكهف ويس، ووجوب التسليم بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان آثار الإيمان بها على الفرد والمجتمع.

وقد تناول البحث في الموضوعات على النحو التالي: قد قسمت البحث إلى تمهيد، وثلاثة فصول:-

التمهيد: وتناولت فيه التعريف بالسورتين، وفضلهما، وأسباب النزول لآياتهما، ومعنى الغيبيات، والموضوعات التي تناولتهما السورتان، والمناسبة بين الموضوعات.

الفصل الأول: وتناولت فيه الحديث عن الإيمان بالملائكة والجن، واشتمل على: التعريف بهم، وحكم الإيمان بهم، وصفاتهم، وعلاقة الملائكة بالإنسان، وحقيقة إبليس، وعلاقته بالجن. وأثر الإيمان بالملائكة على الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني: وتناولت فيه الحديث عن التعريف باليوم الآخر، وعلامات الساعة الكبرى، ومظاهر يوم القيامة من أهوال، ومقدمات اليوم الآخر، والنفخ في الصور، والحشر، والعرض، والحساب، ونشر الصحف، والميزان، والصراط. وتناولت الحديث فيه عن الجنة والنار، وإثبات أنهما مخلوقتان، ولا تفنيان، والشفاعة. وعن إثبات البعث أنه للروح والجسد، والرد على منكريه. وتناولت فيه الحديث عن آثار الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع.

الفصل الثالث: وتناولت فيه الحديث عن الإيمان بالقضاء والقدر، واشتمل على: تعريفه ومراتبه. وتناولت الحديث عن الهداية والضلال، ومراتبهما، وأفعال العباد. والحديث عن المشيئة والإرادة الإلهية، وهل ينسب الشر إلى الله ﷻ؟، والحديث عن الأخذ بالأسباب، والتعريف بها وأنواعها، وضرورة الأخذ بها، وعن علاقتها بالتوكل، وتناولت الحديث عن آثار الإيمان بالقضاء والقدر.

وفي الخاتمة سجّلْتُ أهم ما توصلْتُ إليه من نتائج، وتوصيات.

Abstract

This abstract stresses the need to acknowledge the belief in supernatural aspects in light of Surat Al-Kahf (The Cave) and surat yasin the need to accept what was mentioned in the holy Qyran and the Prophets sunnah, showing the effects of the belief in them on the individual and society. The research tackled these topics as follows:

The research was divided in to the introduction and three chapters:

Introduction: It dealt with the introduction to the supernatural aspects, the issues which the two suras tackled and the consistence between the issues.

First chapter: I tackled the issue of the belief in the Angles an Jinn, defining them, rule of belief in them and Their characteristics, the relation between the humans and Jinn, the reality of Lucifer and his relation with the Jinn and the effects of the belief in Angles on the individual and society.

Second chapter: I talked about the definition of the day of judgment. Signs of the day of judgment, manifestations of the day of resurrection including the horrors and the introduction of the day of judgment, trumpet blowing, the field of resurrection (Hashr). Display and accountability, display of deeds' book, scale (meezan) and the straight path. I also talked about heaven and hell and the proof that they are creatures and will never vanish as well as intercession. In addition to addressing the proof of the resurrection of the spirit and flesh and refutation of its denial. I also addressed the effects of the belief in the day of judgment on the individual and society.

Third chapter: I talked about the belief in fate and destiny, its definition and grades as well as guidance and misguidance, their grades and acts of the humans, in addition to the will of Allah and whether evil is attributed to Allah. I also addressed the effect of Belief in fate and destiny.

In conclusion, I put down the results concluded and the recommendations made.

تم بحمد الله